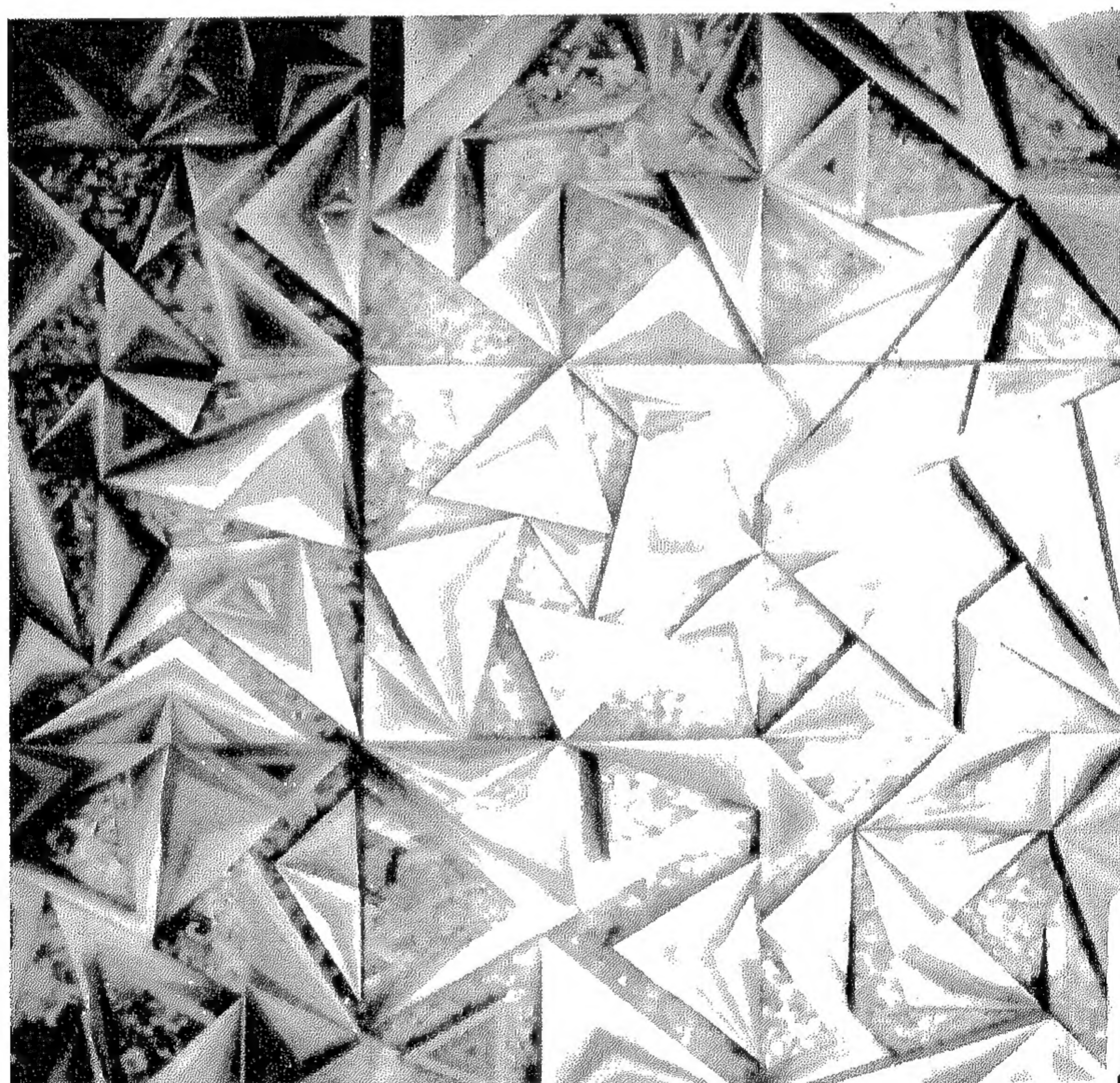


علي عبد الفتاح

أعلام

في الأدب العالمي



Bibliotheca Alexandrina



0112563

مركز
الحضارة
العربية

أعلام في الأدب العالمي

على عبد الفتاح

لوحة الغلاف للفنان : عبد الرحمن النشار

الطبعة العربية الأولى : يوليو ١٩٩٩

رقم الإيداع : ٩٩/٧٣٤١

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-291-152-3



- مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والوعي القومي العربي ، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

الجمع والصف الالكتروني

مركز الحضارة العربية

جرافيك : د. يحيى عبد الظاهر

تنفيذ : شريف على

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

على عبد الفتاح

أعلام
فري
الأدب العالمي



إهداء

إليكِ أنتِ ..

أهدي كتابي ..

ثمرة حبك ..

وسنبلة حنانك الجميل

لولاكِ ..

ما كتبتُ وما أبدعتُ ...

علي عبد الفتاح

مقدمة

في لحظة تتمزق روحي ...
تغيب شمس في بحر أحزاني ...
ويرحل قمر المساء في سحابات غائمة غامضة ... دون رؤى أو ظلال ...
ويتسلل قلبي يهفو إلى إشعاعات فجر جديد يشرق في روحي ...
وحين يغلبني اليأس .. وتهوى نجماتي من علٍ ... أفتح كتب الأدب وأسبح في آلام
الشعراء والأدباء ... علني اكتشف ذاتي وأمس وجه الحياة الرقيق .
وهكذا أستغرق بوجداني وروحي مع شهب الإبداع العالمي ...
أجل عشت بهم ... أجل تأثرت بهم ... واحترقت في جحيم مآسيهم ...
ومزقت وتناثرت كالأعشاب على بحيرة الدمع ...
فما أروع الموت بين صفحات يتوهج عليها الإبداع ...
وما أجمل الرحيل في صور الحب .. والثورة .. والتمرد ...
« أعلام في الأدب العالمي »
عايشتهم تذوقت من نسائم حروفهم رائحة الفلّ ، وعذوبة المطر في ليل صحراوي طويل ،
فإذا به حديقة غناء .. وحقول خضراء .
وأيضاً ضربتني عواصف هوجاء .. وأطاحت بأشراعتي قصائد غاضبة .. رافضة للفساد
والانهيار والسقوط . وأنا دائماً أعاني من تلك الحالات الوجدانية العنيفة التي تتلبسني
وأأقمصها حين أعيش مع شاعر أو أديب يثيرني ، ويذهلني .. ويصدمني بروائعه .
فإذا بروحي ترتعش على أوتار قلبي .. وعيوني تحتضن الضوء المنسكب من حروف
الإبداع .. وتحتوي آهات المعاناة ونزيف الجراح .

وأحببت هؤلاء المبدعين جميعاً ... وعشقت القيم والمبادئ الجميلة التي ناضلوا من أجلها...

وكلما قرأتُ .. وشاهدتُ .. وتأثرتُ تمردتُ وانفعلتُ وثرثُ وانفتحت أمامي أبواب من المعرفة ... ومدائن من الدهشة ... وجزر من الحنين لم أسافر إليها من قبل .

هؤلاء « أعلام في الأدب العالمي » اضاعوا كياني وأثاروا ذكرياتي .. وارتقوا بأحلامي وسيرتهم الذاتية أرهفت إحساسي ، ورقرت مشاعري ووجداني ..

ورغم ذلك ... كنت أتمزق وأتألم حين أتابعهم .. تنهشني أنياب الغربة .. والرحيل إلى ماوراء هذا العالم رغبة في اكتشاف ذاتي الغارقة في حلم بلا انتهاء .. وطموح بلا حد .. وارتجافة دمعة تنتفض حين تواجهني بشاعة الواقع .. وقسوته ...

ولذلك ألجأ إلى الحلم في حياة جديدة ، ناسها كأنهم ملائكة وأبطالها غاضبون .. رافضون لواقعهم .

ولكن الحلم وحده لا يكفي .. وهذا قدرتي ... أن يتصارع العالم أمامي وأدير له ظهري وأركض على ضفاف الحدائق الخضراء أبحث عن وردة ياسمين أهديها لامرأة أحببتها تحت عيون الشمس ..

وقد تعلمت من هؤلاء « الأعلام في الأدب العالمي » أن يمتد حبي وينمو ويصبح حراً عميقاً يضم إليه المراكب الحائرة .. والنفوس الظامئة للحنان ، والعيون التائهة في الليل ... والدمعات المختفية تحت الأجفان ..

تعلمت منهم .. رغم انهيار مبادئ الإنسانية أن أكون إنساناً عاشقاً للحياة وللحب والخير والجمال .

وكتابي هذا ليس إلا رحلة عشق .. هروبا من صور زائفة .. باهتة أمامي .. إلى حقيقة أخرى شفافة تسمو فوق الواقع والأشياء والكائنات .. حقيقة الأدب القادر على التغيير والرفض والثورة .

فما حياتي إلا وهم كبير ...

وحقيقة وجودي في بحر الأدب والمعاناة ...

علي عبد الفتاح



فيرجيل

(٧٠ - ٩١ ق.م)

فيرجيل شاعر البطولة والقصائد القصصية الطويلة في الأدب الروماني ، واسمه بالكامل «بوليوس فرجيليوس مارو» وقد ولد في أسرة فقيرة بسيطة الحال ولعل هذا ما دفعه إلى الدراسة والثقافة والاطلاع على التراث الروماني القديم ، واقتبل على دراسة كتب النحو والصرف والفلسفة والبلاغة ، وكذلك قراءة مؤلفات كبار أدباء عصره .

درس فيرجيل الأدب والرياضيات والطب وتأثر بأستاذه الفيلسوف سيرو الأبيقوري ، ودأب على حضور حلقاته الفكرية واقترب من فلاسفة و أدباء عصره ، وعاش يقرأ ويتأمل الحياة ويفكر في كتابة قصائد تعبر عن أحلام وطنه ووجدان قومه .

بدأ فيرجيل في كتابة القصائد الرعوية ، وهي نوع من الشعر يخلق جواً ريفياً يكتب فيه الرعاة مجموعة مختلفة في الغزل والثناء والوصف ، ويرجع الفضل إلى فيرجيل في كتابة القصائد الرعوية في الأدب الروماني، وإن كان قد بالغ في التصوير إلى حد التكلف والصنعة.

اشتهرت القصائد الرعوية التي كتبها فيرجيل باللاتينية كما كتبها من قبل في الأدب اليوناني الشاعر ثيوكريتوس ، وأصبح فيرجيل علماً في الشعر واحتفى به الشعراء والأدباء في المنتديات الثقافية وحلقات النقاش والنقد الأدبي .

وتميزت القصائد الرعوية بالنغم الموسيقي البارع وتكرار بعض الأبيات لتعميق فكرة أو التركيز على قيمة وطنية وجمالية ، وكذلك استطاع فيرجيل أن يجسد عالم الرعاة ويطلق الأناشيد المرتبطة بالطبيعة والحلم والتغني بما يدور في عصره من قيم وأحاسيس ومشاعر وبذلك أوجد علاقة وثيقة بين حياة الرعاة والمجتمع الكبير الذي يعيشون فيه ، وتحولت هذه القصائد الرعوية إلى ملاحم طويلة أثارت الخيال بما ذكره من تطلع إلى الغيب وتشوق إلى

أرض المجد والعظمة التي أطلق عليها اسم "أركاديا" .

وقد تمعن فيرجيل في واقع روما فتألم لهذا الصراع القائم بين الناس على النفوذ والسلطة والمال فحاول أن يخفف من حدة المؤامرات بإيقاظ الحلم الجميل لدى هؤلاء الغارقين في نيران الحقد والغيرة والألم .

كتب فيرجيل أيضا الملحمة الزراعية التي تمجد العمل حيث كانت الفترة التي عاش فيها تُمنح الاراضي من الدولة إلى الأفراد مما أدى إلى تقاعس السكان عن العمل الجاد ، وهنا حاول فيرجيل أن يجعل قيمة العمل أقرب إلى العبادة والإصلاح الذي تأمر به الآلهة ليصبح الرجل مواطنا شريفا ، ويقبل على الأرض الزراعية ولا يحتقر العمل فيها .

بعد الملاحم الرعوية والزراعية انطلق فيرجيل يحلم بنوع آخر من الملاحم ينفذ فيها الغبار عن أمجاد وطنه وتراثه العريق ، ومن هنا جاءت فكرة ملحمة الإنياذة التي قامت على فكرة الحروب الطروادية والإيطالية والتقاليد الشهيرة لليونان . وتتألف الملحمة من حوالي عشرة آلاف بيت من الشعر نقل فيها فيرجيل أحداثا من ملحمة هوميروس في الإنياذة ومزجها بالتقاليد الرومانية والعادات الشائعة والقيم التراثية لبلاده .

وقد شاعت في ملحمة « الانياذة » مآثر أبطال طروادة الذين أسسوا الإمبراطورية ، الرومانية حيث البطولات والمآسي وما في نفوس البشر من شرور و آلام .

ورغم هذا الجهد الإبداعي الكبير داهم المرض فيرجيل فلم يتمكن من وضع نهاية لهذه الملحمة ، وقد حاول أن يكتب باقي نصوص هذه الملحمة ، ولكنه لم يستطع أن يواصل الكتابة. ورحل تاركاً في تراث الأدب الروماني ثروة إبداعية مازالت مصدر إلهام للشعوب في أنحاء العالم .



كونفوشيوس

(٤٧٩ - ٥٥١ ق.م)

كونفوشيوس أديب وفيلسوف صيني أسس مذهباً أخلاقياً يقوم على احترام الفرد لذاته وللمجتمع والتقاليد والتراث القديم ، ودعا في كتاباته إلى الفضيلة والأخلاق الرفيعة والسلوك القويم ، فالحياة ليست إلا محاولة للبحث عن الحكمة والارتقاء بالروح إلى عالم نوراني شفاف قادر على اختراق الظلمات ، وتجاوز النظم الجامدة والعقول الخاضعة لإغراء المادة والنفوس اللاهثة وراء المتع الزائلة .

واستطاع كونفوشيوس أن يؤسس مدرسة قوامها الأخلاقيات العالية والمبادئ الإنسانية والمثل الرفيعة ، والثقافة الجادة القادرة على تغيير المجتمع وتكوين عادات وأفكار جديدة تواكب العلوم والفنون والآداب والعقائد الدينية .

وبدأ كونفوشيوس في مدرسته الخاصة يعلم التلاميذ معنى الحكمة ، و يفسر وثائق التراث الديني ، ويستلهم من خلاله مواقف النفس الشجاعة التي لا تهاب شيئا في الدفاع عن الحق والعدل وعن حبها للسلام والجمال والسكينة .

شغل كونفوشيوس وظيفة في مجلس الدولة وأصبح رئيسا للوزراء ، ولكنه لم يكن قانعا بتلك المراكز المادية وشعر بأن ما في أفكاره ورسالته أكبر من ذلك وتخلي عن كل شيء وأخذ يتجول في البلاد داعيا إلى الحب والقيم الأخلاقية ، ولكنه واجه العداء والحقد من الناس ولم يحقق نجاحا في دعوته إلى مبادئه العظيمة .

قام كونفوشيوس بتعليم وتربية أبناء الطبقة الأرستقراطية ، وظل يحاول أن ينال تأييدا من بعض الحكام لتطبيق تعاليمه والاعتراف بمدرسته ، إلا أن هؤلاء الحكام أيضا لم يكثرثوا

لأهمية دوره أو رسالته التنويرية ، ولكنه ظل في مدرسته وبين تلاميذه في حلقات النقاش المعلم الأخلاقي الكبير والفيلسوف الصيني الذي لا يفوقه أديب أو عبقرى آخر في هذا المجال.

دون كونفوشيوس أقواله وكلماته في عدة كتب رائعة هي : كتاب الشعر ، التاريخ ، التغيرات ، الطقوس وأخبار الربيع والخريف ، وكتاب المنتخبات .

وفي هذه الكتب دعوة إلى إصلاح النفس من الفساد ، والإصرار على السمو الأخلاقي والتحليق في عالم من نور ، والانطلاق داخل فضاءات من الخير والمحبة والوفاء .

وقد تقترب تعاليم كونفوشيوس من الفلسفة الأخلاقية التي تؤمن بالقيم الثلاث وهي : الخير والحب والجمال ألا أنه أضاف إليها معني التضحية من أجل الآخرين والتعاطف مع البؤساء وإنكار الذات وإيثار الغير ، ودعا الحكام أيضا أن يجاهدوا من أجل هذه المبادئ .

وبذلك حاول كونفوشيوس أن يخلق من الإنسان قديسا أو رجلا خيرا بطبعه يقف ضد الشرور ، ويقوم سلوكه على العقائد الدينية ، وإن من يتمثل بهذه الصفات يصبح هو الرجل الأعلى أو الإنسان الأرقى الذي تكاملت فيه شفافية الروح وطهارة النفس ورجاحة العقل وصلاح الشخصية .

وإذا قرأت بعضا من منتخبات كونفوشيوس وجدتها أقرب إلى جوهر الأديان ورسالات الوعظ وآيات الحكمة ، يقول :

- يظل الإنسان تائها على وجه الأرض وحين تمس الحكمة شفاف قلبه ينبثق نور من داخله يهديه إلى طريق الخير .

- إن خدمة الله تبقى دون فائدة إذا أهمل المرء خدمة ذاته وخدمة الإنسان .

- الروح تخلق في الفضاء تبحث عن عالم آخر ناءٍ وتنظر من أعلى إلى الدنيا الفانية ، وتظل تخلق فوقها ولا تلمسها .

- البر بالوالدين ، واحترام تراث الأجداد من صفات المرء الجليل بالفضيلة والخير والمحبة .

- العلاقة بين الأخ الكبير والصغير تقوم على المحبة والتعاطف والتآزر الوجداني حتى الموت .

ومع مرور السنوات بدأ أهل الصين ينظرون إلى كونفوشيوس نظرة قداسة وتعظيم حتى

إن البعض أطلق على فلسفته ومذهبه أنه رسالة دينية ، ورأى أنه قد أسس ديانة جديدة في الصين .

وفي الحقيقة خاف الحكام من تلك الظاهرة وأحرقوا كتبه وحذروا من انتشار أفكاره وتعاليمه ، ورغم ذلك أصبحت هذه الكتب تمثل أكبر نسبة من ثقافة الصين وتراثها بل أصبحت العقيدة الرسمية للدولة . وقد تفاقم الأمر بالأباطرة قبل ظهور المسيحية إلى تقديم الأضحيات على قبر كونفوشيوس .

وعندما ظهرت الماركسية تحولت النظرة عن كونفوشيوس ، واعتبر المعلم الذي علم عشرة آلاف جيل في الصين القديمة ، ويقال : إن فلسفة كونفوشيوس استمرت تحكم الصين حوالي عشرين قرناً من الزمان .



جيو فاني بوكاشيو

«١٣١٣ - ١٣٧٥ م»

رائد النشر الحديث في الأدب الإيطالي بما أضافه من كتابات عاصرت الحياة الاجتماعية بالنقد الساخر ، وتعرية الشخص أمام ذاتها ، وكشف خيانة الأزواج ولاسيما المرأة ، ومواجهة الاضطراب الأخلاقي الذي ساد الحياة والفوضى التي انتشرت والقيم الغربية المادية التي تفشت بين الأفراد .

وأصدر بوكاشيو مجموعة من الدراسات والمقالات والقصص ، من أهمها حكايات «ديكاميرون» التي تعتبر من أهم إبداعات تلك المرحلة ، فقد ساهمت في تطور القصة القصيرة في إيطاليا خلال تلك العصور الوسطى . وقد أعطت هذه القصص لبوكاشيو أهمية كبيرة ومنحته فرصة ليصبح علما من اعلام الأدب في النثر الإيطالي .

احتوت قصص الديكاميرون على خبرة بوكاشيو وقراءاته الكثيرة في الآداب اليونانية والشرقية ، ويقال أنه تأثر بروايات ألف ليلة وليلة الشعبية التي تتميز بالطرافة ، وأنها قصة من داخل قصة فياضة بالمغامرات والمتعة الذهنية والمواقف الخفية .

وتبدأ قصص الديكاميرون من كارثة الطاعون الأسود الذي ساد إيطاليا عام ١٣٤٨ ، والقصص عبارة عن جماعة تتكون من سبع نساء وثلاثة رجال فكروا في الهرب من الطاعون إلى أحد القصور الريفية والاعتزال هناك خوفا من العدوى ، ولأنهم يجلسون طوال الوقت لا يدرون ما يفعلون قرروا أن يقوم كل واحد منهم بتأليف قصة تخفف عنهم احساسهم بالخوف والملل والكآبة ، ومن هنا جاء اسم القصص بالديكاميرون أي الأيام العشرة ، حيث يقضي الجميع عشرة أيام داخل القصر يستمعون إلى قصص بعضهم هربا من الرعب الذي يطاردهم ، وبلغت القصص حوالي مائة تدور في إطار من المفاجآت والتشويق والخيال .

وفي هذه القصص طرح بوكاشيو فلسفته القائمة على السخرية من الأوضاع السياسية والاجتماعية ، حيث عبر عن سخطه على خيانة المرأة ، ويعتقد أن المرأة لا تعرف الوفاء إطلاقا فهي خائنة وغير قادرة على تأسيس حياة جميلة مع الرجل ؛ أما الرجل فهو الزوج المخدوع الذي لا يدري شيئا ويسقط في براثن المرأة عن سذاجة وطيبة قلب .

اهتم بوكاشيو بإصلاح أحوال المجتمع الذي عاش فيه رغم إيمانه في بداية حياته بمبدأ اللذة والاقبال على متع الحياة دون خشية الشرائع أو القوانين الأخلاقية ، ولكنه في نهاية حياته اجتاحته تجربة روحية خالصة فأنفق أيام عمره في الدعوة إلى الآداب الرفيعة والقيم العليا وكان يقوم بشرح « المهزلة الإلهية » لدانتي في ساحات الكنائس ، وكتب بوكاشيو الشعر في بداية حياته الأدبية حين التحق بالبلاط النابولي وعاش بين المفكرين والشعراء والأدباء والفلاسفة وتأثر بهم ولاسيما دانتي وبتراكي ، ويبدو أن حياة القصور رقرقت عواطفه وسبح في أجواء الخيال فكتب يقول في إحدى قصائده :

ثلاث فتيات صغيرات جلسن على ضفة نبع صافي الحياة

وكن يتبادلن أقاصيص الحب

فقال إحداهن : تذكرا يا صاحبتى

فبعد ساعة يأتي العشاق إلى هذا المكان

تري : هل سنجري هاربات ويعترينا الخوف ؟

فقال الصديقتان : مجنونة تلك الفتاة التي تهرب من أسعد اللحظات .

وسجل بوكاشيو بملاحظاته في جوانب الحياة الإنسانية بداية الاتجاه الإنساني الذي بدأ يشق التيارات الأدبية ، فقد كان بارعا في تحليل أعماق النفس البشرية والتعبير عن أدق الخلجات والأحاسيس ، ولذلك ظل أدبه تراثا عالميا حتي اليوم .



جفري تشوسر

(١٣٤٠ - ١٤٠٠ م)

رائد النهضة الأدبية في إنجلترا ، وبعث روح الحياة في اللغة السائدة التي ظلت تعاني من سيطرة اللاتينية ومفردات من الشعوب الجرمانية والنورماندية حين اتجه للكتابة بلغة أهل لندن .

اتصل تشوسر بالبلاط الملكي وعمل في الجيش ، واقترب من حياة الطبقة الوسطى ودعا إلى الحرية ، وعبر عن انفعالات الحب والحياة في أشعاره .

تأثر بالثقافة الفرنسية والإيطالية فقد سافر إلى بلاد كثيرة وعاد لبدء أعماله الأدبية التي اعتبرت نواة الرواية الإنجليزية وهي حكايات « كنتري » متأثرا فيها بالأديب الإيطالي بوكاشيو .

وحكايات « كنتري » هي مجموعة قصص يرويها مجموعة من الحجاج في طريقهم إلى كنتري وهم حوالي تسعة وعشرين فردا قد اجتمعوا في أحد الفنادق ويتم الاقتراح بأن يقوم كل فرد بتقديم قصتين في الذهاب والعودة ، وبذلك يمكن لرحلتهم أن تكون ممتعة . وهكذا كتب لنا تشوسر مجموعة من القصص الطريفة التي استمد بعضها من الواقع .

وترجم تشوسر مجموعة قصص شعرية عن الفرنسية ثم الإيطالية ، وصدرت في كتب ، من أشهرها : (ترويلسي وكرسدا) ، لكن أدبه الحقيقي قد تجلي في الحكايات التي حقق فيها نبوغا لأنه رسم صور مجسدة لرحلة الانسان في الحياة وشقاءه مع المرأة والأنظمة السياسية .

وقد أعلن تشوسر في حكاياته وأدبه أن المرأة كائن مخادع وكل النساء قاسيات وليس لهن آمان ويقول :

أنتِ أيتها الساكنة في جوارحي ..

تتألقين .. ترتعشين .. تخفقين بالحب والأحاسيس .

وكل يوم قصة جديدة ..

وكل يوم رجل آخر ..

فلماذا أنتِ خائنة .. وتافهة ؟

لماذا أنتِ قاسية ؟

ورغم هذه الآراء إلا أنه قد عبر عن أحاسيس رقيقة في حبه للطبيعة ووصفه لقطرات المطر في شهر أبريل .

فرغم سخريته اللاذعة من المرأة إلا أنه تسرب كالنهر إلى عناصر الطبيعة في لغته البسيطة المحلقة ويقول :

قطرات المطر البريئة

تتدفق إلى الجنود .. تعانقها ..

تغسل كل غصن

تسري في الأزهار والسنابل ..

تورق الأشجار

وتضمك الأنسام اللطيفة في البستان

وتغرد الطيور الحانها الجميلة

ويتشوق القلب إلى السفر ..

والرحيل في هذا العالم .

وقد قيل عن تشوسر أنه أبو الشعر الإنجليزي لأنه ترك تراثا من الأدب يعتبر ثروة إبداعية* وتراثا أدبيا كبيرا تجلت على صفحاته صورة العصر وسماته .

إن أدب تشوسر لوحات صافية ومرايا مشرقة بروح الحياة والطبيعة وأنفاس ووجدان الأفراد في ذلك الزمن . حين تقرأ أدبه تقترب من تلقائيته وعفويته ، وتتأثر بالأحداث الخالية من

المبالغة أو الصنعة والتكلف .

كذلك تجلت روح الفروسية في أدب تشوسر ، وبرزت كتاباته عن أفكار جديدة كالحرية والإنسان والنضال من أجل القيم الرفيعة ، وقدم صوراً ساخرة من الطبقات الاجتماعية الهشة التفكير ، السلبية الموقف .

وقرأ الناس لأول مرة كتابات في لغة جديدة نابغة من أعماقهم ، ومعبرة عن وجدانهم ومعاناتهم وآلامهم ، وقد كانت اللغة قبل تشوسر معقدة وخليطاً من لغات أخرى كثيرة .
ولذلك ظهر أدب ركيزك لا يعبر عن عصر ، ويخلو من الذوق الرفيع والحس المرهف ونبض الحياة .

وظل الأدب معزولاً عن الجماهير لا يفهمه أحد حتي ظهر تشوسر وارتقى باللغة والصور العميقة والدلالات الثرية والخيال الخصب والألفاظ الجزلة فاستحق حقاً أن يقال عنه . . .
« أبو الشعر الإنجليزي الحديث »



إدموند سبنسر

(١٥٥٢ - ١٥٩٩ م)

أدموند سبنسر شاعر إنجليزي يمثل عصر اليزابيث بما فيه من تسامح ديني ويقظة فكرية واتجاه إلى التراجم من اليونانية إلى الإنجليزية ، ويزوغ نجم إنجلترا بعد انتصارها على أعدائها ، واتجاه المغامرين إلى رحلات الكشف والبحث عن أرض وشعوب جديدة ، وبالطبع أرتقى الأدب وسمت الفنون وظهر الشعراء الأفذاذ ومنهم سبنسر .

أمضي فترة من حياته في أيرلندا في قصر كلكومان حيث عمل سكرتيرا للورد جراي وأتاحت له هذه الحياة الهادئة المنعزلة أن يقرأ في الأدب والتاريخ والفلسفة والدراسات الإنسانية وتكونت نظرتة للحياة والناس ويزغت موهبته الشعرية وبدأ الكتابة .

أصدر مجموعات شعرية بالطبع متأثرة بالمناخ الذي عاش فيه ، حيث الضجر الذي يسود أيرلندا ، والطبيعة التي ترمي بظلالها وخضرتها على المساحات الكبيرة من الروابي والسهول والمزارع واستطاع أن يثري وجدانه بهذا الجمال حوله .

من أروع أعماله قصيدة (ملكة الجن) التي يرمز فيها إلى عصر الملكة إيزابيث ، ويمزج بين العاطفة والتاريخ والقيم الإنسانية وقد ظل ينظم هذه القصيدة عشرين عاما ، ولكنها لم تكتمل ، ورحل ومازالت بلا نهاية .

ويقول سبنسر عن تلك القصيدة : إن هدفي خلق أجيال تعشق الفضيلة وتعرف الأخلاق العالية والقيم الشريفة ، أود أن أرى الجيل الجديد على قدر كبير من النبل والشهامة والرجولة والشرف .

وقصيدة « ملكة الجن » عبارة عن قصة الملك آرثر الذي يعشق ملكة الجن ، وكلاهما مثل أعلى في الخلق القويم والأخلاق السامية ، وتقوم الملكة بإرسال عشرين فارسا من بلاطها يمثل كل منهم فضيلة من الفضائل لإصلاح أحوال الناس ، ونشر الموعظة والخوف من الله ، والدعوة إلى الخير والتسامح الديني .

وهذا هدف سبنسر من محتوى القصيدة التي أصبحت ملحمة طويلة في الفضائل والخير وهذه القصيدة هي التي جعلت لسبنسر شهرة كبيرة بين معاصريه ، وقد تأثر بها شعراء كثيرون مثل جون ملتون وكيثس وتومسون وأطلقوا على سبنسر لقب (الأب الروحي لهم)

وإذا كان سبنسر يولي اهتماما لقصائد الأخلاق والقيم فإنه أيضا وطني غيور على بلاده فخور بدورها الكبير وسيطرتها على البحار وريادتها بين الدول الكبرى ، وتجلت في قصائده هذه الملامح الوطنية دون مبالغة أو إسراف في الصور .

ولذلك عد بحق أبو الشعراء لما تمتاز به عبقريته الأدبية من صدق وقدرة عميقة على كشف عواطف النفوس وطموحات الأمة واليقين الديني الذي يلازمه دائما .

ومن قصائد سبنسر الشهيرة أيضا (أنشودة عرس) يقول فيها :

أيها النهر العذب تدفق برفق حتى أتم نشيدي

هناك فوق الموج على جانب النهر

رأيت سرايبا من الحور

كلهن من بنات هذا النهر الحسان

يتدلى من ورائهن شعر ذهبي منقوش

لأن كلا منهن في ذلك اليوم عروس

وكن يحملن سلال الصنصاف من رشيق الغصون

أيها النهر العذب

تدفق برفق حتى أتم نشيدي

في نهاية حياته فقد ابنه الوحيد حين هجم الأيرلنديون على قصر كلكومان وأحرقوا ما فيه ، وانتابه حزن شديد، ورحل بعد وفاة ابنه بأيام قليلة .



وليم شكسبير

(١٥٦٤ - ١٦١٦ م)

وليم شكسبير روح انجلترا ، وتراثها الساحر العميق . منبع العواطف الجياشة والانفعالات الوجدانية فى عنفها ورقتها . وجه الكائن البشرى فى انسحاقه أمام الثروة والمال والسيطرة والتفوذ ، فيقتل ويقترب الجرائم دون وعى أو يقظة ضمير . الخيانة والغدر . والغيرة وما يدور فى القصور والبلاط الملكى من صراع بين الفرسان من أجل الحب والبقاء . والأنانية والحقد والتميز والأمجاد الزائفة والأصيلة .

هذا الكاتب المدهش الذى أثرى الأدب العالمى واقتضى أثره فى كتاباته كثيراً من الأدباء الشعراء ليس فقط فى أوروبا وإنجلترا وأمريكا وإنما فى العالم العربى والغربى . إن إبداعه يتألق فى تصويره للبشر بغرائزهم وأحلامهم وأحزانهم ومسراتهم ، وطموحاتهم نحو فناء الآخرين من أجل انتصارهم وتفوقهم ، واستحواذهم على كل شىء فى الحياة . فجاءت مسرحياته لا ترتبط بزمان أو مكان ولا يحدها حدود أو بلاد أو أقاليم . لم يكن شكسبير يكتب عن عصره وإنما كل العصور ، فأضاف إلى الآداب الإنسانية إبداعاً لا يخبو وميضه أو ينضب نبعه أو تنطفى شموعه .

وإذا قرأت مسرحية «أوتلو» شاهدت كيف يتحول البطل الفارس النبيل إلى قاتل ووحش كاسر لأن الغيرة قد كسرت رفته ، وأطلقت ما فى خباياه من هدير المشاعر وقسوة الانفعال . لقد قتل زوجته التى يحبها لأن صديقه «اياغو» أوحى له بذلك . وبعد أن يقتلها يكتشف أنها بريئة ، فتكون تلك نهاية مأساوية لهذا البطل النبيل .

أما فى مسرحية «ماكبث» فتشاهد انقراط نسيج النفس الظامئة إلى القوة والسلطة والحكم حين يقوم البطل ماكبث بقتل الملك النائم بتحريض من زوجته ، ثم صديقه الأثير «بانكو» ، وتهدر العواطف فى النفس البشرية بعد أن تفجرت فيها الخشونة والطباع الفظة والكراهية والبدائية والجاهلية الحقيقية . لقد قاده طموحه إلى تأنيب الضمير وفقد راحة النفس

فأصبح مثل المجنون يتخيل من قتلهم ويأثم معه على مائدة الطعام. إنه الندم المؤلم والنهاية المفجعة.

أما مسرحية «هاملت» فهي الحيرة والتردد، وصراع الإنسان بين الإقدام والإحجام، أن يكون أو لا يكون. إن الأمير هاملت أدرك الحقيقة بأن أبيه قُتل على يد عمه ليتزوج أمه. وتعلو همسات النفس حتى تصل إلى صرخات تدوى في القصر، والأمير المنكوب يحدث نفسه حتى قيل أنه يهذى ومجنون وبلا قرار، وتمزقه التناقضات في هذه الحياة بين الخير والشر والرزيلة والفضيلة والحرب والسلام، ويضرب بسيفه في الهواء فلا يدرى إلى أين؟ ومن يغتال؟ ومن يتهم؟ ومسرحية «روميو وجوليت» مأساة عاطفية تنتهي بموت عاشقين بسبب نزاع عائلي لا يمثل قيمة في موقف عاشقين. وإذا ذهبت إلى بلده «ستراتفورد» وزرت قبر هذا الكاتب المسرحي الكبير وجدت هذه الكلمات على قبره:

«قف يا صاح ناشدتك الله ألا تزبح عني التراب.. بارك الله من يصون هذه الحجرة تمهل أيها العابر، لم العجلة؟. إنه شكسبير زينة هذا الضريح.. لا تقدر بثمن.. لأنه في كل ما كتب جعل من الفن الأصيل له عبداً».

لقد تحول بيته متحفاً يزوره الناس من كل أنحاء الأرض، ويقال بأن شكسبير قد أخذ أفكار مسرحياته من كتب التاريخ الإنجليزية القديمة وشيء من القصص الإيطالية، وكذلك الحكايات الشعبية وبعض الكتب القديمة.

ومن أشعار شكسبير:

أنا أفنى ويفنى معي فني
أذهب ويلفني النسيان ..
وتبقى أنت
في العيون التي نظرت إليك
والقلوب التي أحبتك
خذ أناملى بين كفيك
ترها انعقدت أو كادت
خذ يدي بين كفيك
ترها سالت أو كادت



دانيال ديفو

(١٦٦٠ - ١٧٣١م)

الأديب المغامر الخائف دوماً من الموت .. والفقر .. والضياع والجوع والتشرد فى عالم خلت روحه من الرحمة والحب والحنان .

دانيال ديفو عاش وفى أعماقه رغبة حادة لتأكيد ذاته فى مواجهة الاضطرابات .. والفوضى والجشع والحروب والفتن السياسية ولذلك قرر أن يظل باحثاً عن حقيقة ما فى خياله ربما قادته إلى ابتكار رؤى لا تغيب فى الأدب الإنجليزى والعالمى .

نشأ دانيال ديفو فى أسرة فقيرة ، فأبوه قصاب وأمه سيدة شعبية لم تنل حظاً من التعليم ، وقد جزع فى طفولته حين شاهد حريقاً ضخماً يلتهم البيوت والمزارع والأشجار ، ويقف أهل قريته بلا حيلة ولكنهم يقاومون .

وكذلك تفشى مرض الطاعون وسقط آلاف الضحايا وعجزت المستشفيات عن علاجهم . وظلت هذه الصور الكئيبة فى ذاكرته حتى عبر عنها فى روايته التاريخية «مذكرات سنة الطاعون» .

انغمس ديفو فى الحياة السياسية محاولاً إصلاح فساد المجتمع فكتب مقالات عن إنشاء الطرق وحرية المرأة ، وسخر من القوانين البريطانية الظالمة للأجانب ، وعمل فى التجارة ولكنه خسر أموالاً كثيرة وتعاطف مع حركة الثوار والمنبوذين والمضطهدين فى المجتمع .

وكانت هذه المقالات التى كتبها سبباً كافياً لغضب الكنيسة عليه ووقوف رجال الدين ضده وأن تنهال عليه الاتهامات حتى سجن . وبعد السجن أسس صحيفة واصل فيها كتاباته النقدية الساخرة ونشر أيضاً بعضاً من رواياته ، وإليه يرجع الفضل إلى ما عرف بالأدب الصحفى .

وفى الخمسينات من عمره شعر بالملل وانتابته الكآبة وقرر أن يظل يبحث عن حقيقة غائبة عنه فاهتدى إلى العزلة فى أحد ضواحي لندن .

وخلال عزلته برقت فى ذهنه فكرة أهم رواياته وهى «روبنسن كروزو» وقد استمدتها من قصة واقعية قام بها الكسندر سلكيرك البحار الذى عاش أربعة أعوام وحيداً فى جزيرة «جوان فرنانديز» . واستطاع ديفو أن يجعل من روايته فناً رائعاً مشوقاً جعل الناس تفكر فى المغامرات والإبحار إلى جزر نائية مع الطبيعة . وقد استفاد ديفو من ثقافته وتجاربه وخبراته المتعددة الثرية فى نسج أحداث الرواية .

«روبنسن كروزو» رواية تحلل صراع الفرد مع قوى الطبيعة ، وكيف استطاع أن يتغلب على الصعاب من زلازل وعواصف وأمطار وبراكين ووحوش ضارية . وظل روبنسن فى هذه الجزيرة حوالى ثلاثين عاماً يشعر أنه البطل الفرد الذى هزم الطبيعة بفكره وقدرة احتماله . هذا ابن الطبقة المتوسطة قد حول الطبيعة إلى ينابيع يغرف منها ويفيد ذاته ويسجل مجد الفرد فى التاريخ ضد الغيب والأخطار وغرائب الحياة .

والرواية ذات خيال جامع ولكن ديفو جعل القارئ يعتقد أنها قد حدثت بالفعل ؛ فقد كانت القصص إلى عهد قريب من ديفو تروي المغامرات فى لغة متكلفة فيها الكثير من الصنعة وبعيدة عن تصور القارئ العادي .

أما ديفو فقد أضاف إلى روايته اللغة السهلة والصور المباشرة وبساطة الحكمة مع الخيال الثرى والطبيعة الفاتنة وعشق المغامرة والبحث عن المجهول والاعتزاز بالفردية الذاتية وهذا جعل القارئ يتوهم بأن هذه الرواية قد وقعت حقاً .

وهناك مؤلفات أخرى كتبها ديفو هى :

الكونيل جاك ، ملك القراصنة ، ذكريات فارس ، تاريخ الشيطان ، كابتن سنجلتون ومول فلاندرز . ولكن عندما كتب رواية روبنسن كروزو قال : «لقد اهتديت إلى الحقيقة التى كنت أبحث عنها وهى بطولة الإنسان فى مواجهة الطبيعة وما وراء الطبيعة» .



جان دى لافونتين

(١٦٢١ - ١٦٩٥م)

ولد الشاعر الفرنسي لافونتين فى مقاطعة بري على نهر المارن ، اتجه إلى القراءة وعشق الخيال وظل دائماً يفكر فى حياة المفامرة واكتشاف معنى جديد يساهم فى تألق ذاكرته الإبداعية .

درس علم اللاهوت ، وحوارات أفلاطون ، والأبحاث الأخلاقية، وتعلم الإيطالية، وتأثر بأعمال فيرجيل وأوفيد ، وبدأ يميل إلى القصيدة الخرافية الخاصة بالرعاة .

أعجب لافونتين بحياة الخيال ، وتأثر بالجمال ، وقرر أن كل شيء ليس إلا مجرد خرافة . ويؤكد أن سعادة الناس تكمن فى هذه الخرافة ، ويقول :

- لا ينبع سر إسعاد الناس فقط من انسجام النص أو لذته وإنما من كونه خيالياً أو خرافياً .

واهتم لافونتين بالحكايات الشعرية الخرافية ، وبحث عنها فى التراث الأدبى للشعوب وأضاف إليها ما يجعلها أكثر تشويقاً .

وقد رأى لافونتين أن الناس فى عصره تعشق حكايات الغرام والهزل ، وقد لا يقبلون على قراءة كتاب إذا لم يحتو على هذين العنصرين . ولذلك اتجه لافونتين إلى مزج حكاياته بالمواقف الغزلية والعاثية من خلال تجربة الخرافة الشعبية التى تثير وعى القارئ وتحفز ذكائه للتفكير وتثري خياله ، وأصدر كتاباً بعنوان : "أعمال من النثر والشعر" وكذلك أصدر كتابه "حكايات لافونتين" الذى يشتمل على سرد فلسفى لأحوال الإنسان وظروفه النفسية مع سخرية حادة تذكر بموقف أفلاطون النقدي من عصره . وتحتوي أيضاً على تحليل للعلاقات الإنسانية فى الحب والصداقة ، يقول للعشاق :

أيها العشاق السعداء .

كونوا لبعضكم البعض

عالمًا دائماً جميلاً

دائماً متنوعاً وجديداً

فى قصائد لافونتين وصف للمشاعر الرقيقة والروحىة ، والحسنىة الماآنة وإن كان يغلفهما نظرات فلسفىة وأفكار جرىئة .

وفى حكائىاته على لسان الحىوانات ابتعد عن الأنظمة السىاسىة ، وندد بآنون الطموح ومنح الحىوانات القدرة على النقاش والآدال والمعرفة .

وقد عشق لافونتين مآموعة كبرىة من النساء وكتب عنهن وذكرهن فى قصائده . وفى الحقىقة لىس هناك ما ىشىر إلى أنه ارتبط بعاطفة قوىة آآاه امرأة واحدة ، فقد عرف رنىسة الدير وأحبها ثم افترق عنها بعد أن وجه لها رسالة قاسىة ، وعشق امرأة اسمها كلودىن وأمضى معها فترة وقدمت له مآموعة من الأشعار كتبها لها زوجها الكهل وادّعت أنه من نظمها ، وعشق مدام سىفىنىه التى وضعتة بىن الآلهة حىن مدحت أعماله وكذلك مدام فوكىه والدوقة بوىون دمارىان المرأة الغربىة الأطوار ، التى أخلصت له لأنه حماها من أعدائها .

وقد عبر عن نفسه آآاه هذه الغرامىات بقوله :

- لقد أعطانى الله قلبًا قلىل الرضا عن نفسه مضطربًا ىركض وراء كل حب جدىد قلبًا ىرغب فى الإخلاص لكل حب جدىد ، لكن دون أن ىستمر هذا الإخلاص طوىلاً .

تزوج من امرأة اسمها مارى هىرىكارت فى السادسة عشرة من عمرها وهو لم ىتآاوز السابعة والعشرىن، واكتشفا بعد الزواج أن هناك أآتلافات كثرىة بىنهما ولم ىوفقا فى الحىاة.

كان لافونتىن ىقول :

- أحب اللهو والحب والكتب والموسىقى ومطالعة الرواىات الغرامىة .

وقالت عنه : إنه ىحلم وىفكر وىستغرق فى التفكىر بآىث إن ثلاثة أسابىع تمر دون أن ىحس بوىوذى . وشعر باللامبالاة والفتور آآاه زوجته إلى حد أنهم قالوا له :

- إن هناك رجلاً ما ىغازل امرأتك . فقال لهم بلا اكتراث :

- لن أقلق بهذا الخصوص ، لأنه لن ىلبث أن ىمل منها كما مللت أنا منها .

وأخىراً ... هجرته زوجته ولم تستطع أن تواصل الحىاة معه ، وعاشت وحدها .

ظل لافونتىن طائر الحب المآلق من غصن إلى غصن ومن شآرة إلى أخرى ومن أآمل

قصائده :

أيها العشاق السعداء
هل ترغبون في السفر
إلى ضفاف الأنهر القريبة ؟
هل ترغبون في أن تخلقوا عالمًا
دائمًا جميلًا ومختلفًا وجديدًا
لقد أحبيت أحبابًا
ولم أرغب في أن أبدل حبي مقابل اللؤلؤ وكنوزه
مقابل السماء والقبة الزرقاء
مقابل الغابات وكل الأشجار
لأنني كنت أشعر بفخر
بخطوات حبيبتي
وكان نور عينيها ينير طريقي
لكن للأسف متى تعود هذه اللحظات
وفي قصيدة أخرى يقول :

ماذا فعلت لك أيها الحب ؟
قل لي ما هي جرمتي ؟
كيف يحدث أن أكون أنا دائمًا ضحيتك
من يجبرك على وضع قيود جديدة في يدي
ألم تكتفى بالحن التي عانيت منها ؟
تذكر أيها الظالم
كم من النساء الخاليات من الإنسانية
يتبجحن بأنهن أذقنني كافة عذاباتك
لقد أحبيت وكنت سعيدًا .
وكنت ظالمًا لي دائمًا .

وكتب إلى محبوبته كليمان يقول لها :

جعلتني أيها الحب أرى كليمان

الجميلة الفاتقة الجمال .

ولكنها تذرف الدمع لأتفه سبب

وأرادت أن تحبس قلبها في قبر

كان في إمكانها أن تحب ولكنها لم تعرف كيف تحبني

لم يبق لي سوى هذا الاستشهاد الجديد

فهل تريدني أن أستشهد أيها الحب اللعين ؟

فإن لم تكن راغباً في قتلي ستأخذ كليمان قلبي

قل لها ذلك أنت لأنني أخشى أن أثير عذابها .

عندما أصبح لافونتين في الأربعين من عمره عاش في عزلة نفسية وفي أماكن هادئة بعيداً عن صخب المدينة . وفي تلك الفترة ارتبط مع أرملة الدوق أورليان بعلاقة حب بدأت عندما كانت تستقبله في صالونها الأدبي وكتب لها لافونتين أروع كلمات الحب حين سافر إلى إنجلترا ويقول لها :

أتذكر ذلك الصباح عندما

كنت أقرأ عليك أشعاري

كنت في نفس الوقت تهتمين بما تسمعين وتراقبين شجار الحيوانات

اقترب لافونتين من الشخصيات السياسية البارزة في الدولة وقدم حكاياته الشعرية إلى ابن الأمير ، لتعليمه الحكمة والفضيلة ، وأصبح بعد ذلك الشاعر الرسمي لبلاط الأمراء .

وساهمت علاقاته في التعرف بكبار الشخصيات في الدولة وكبار الأدباء والشعراء والنقاد ، وعشق امرأة أخرى هي مدام دي لاسابليار وارتبطت معه بعلاقة حب قوية ، ولكن سرعان ما حدث انفصال بينهما وانزوت مدام دي لاسابليار عن المجتمع واتجهت إلى العبادة والإحسان .

ووجه قصائده للحفلات الرسمية ومدح الملك وابنه وعشيقاته ، وعندما شعر لافونتين بالإرهاق كتب إلى أحد أصدقائه يقول :

يا صديقي العزيز ، الموت لا يعني شيئاً بالنسبة لي ، ولكن أرتجف عندما أفكر بأنى سأواجه
الله، أنت تعرف كل تفاصيل حياتي المأجنة .

ورغم الشهرة والمجد الذى حققه لافونتين وعلاقاته المتعددة مع النساء إلا أنه كان يعاني
من الوحدة واليأس أحياناً وسيطرة اللذة الحسية على مشاعره ، يقول :

أيتها اللذة الحسية التي بدونها ومنذ طفولتنا

يتساوى الموت والحياة

أيّاً من المجاذبية التي تمارسين علينا لكى نحب كما تحب الحيوانات

كل شئ يتحرك على الأرض

يتحرك لأجلك

لأجلك أنت نركض وراء العذاب

ليس هناك لا جندي ولا ضابط

ولا وزير في الدولة

لا أمير ولا مواطن عادي

لا يسعى وراء التمتع بك

أيتها الشهرة التي كانت

سيدة في اليونان

وأخضعت لسلطانها

النايفين والفلاسفة

لا تبتعدي عني

تعالني واسكنني في داخلي

فسوف تجدني عملاً لك

أحب اللهو والكتب والموسيقى

والمدينة والريف

كل شئ يجذبني إليه

حتى الحزن بالذات

و حين ترحل عنه إحدى عشيقاته يصرخ كالطفل محاولاً الإبقاء عليها ؛ فالحب لديه ضرورة للنشاط الإبداعي . وضرورة للتغلب على القنوط واليأس والألم .
وهنا تكمن تجربة اللذة والألم لدى هذا الشاعر الذي عاش دائماً في عيون امرأة ما ويقول لها :

يا حبيبتي ألم تحبى أنت الحياة لتركينى بقساوة دون وداع

افتحي عينيكَ واجعلي نفسك

أشد إحساساً بآلامي .

انظري كم هي تعبسة حياتك .

لقد صرخت كثيراً وعالياً

لأن ليلاً أبدياً

أجبرك على تركي

لا تفيد دموعي ولا تأوهاتني

في منعك من الذهاب

بعيداً عني

وأخيراً انتهى إلى عشق العزلة ، يقول :

العظمة الحقيقية بالنسبة للفلاسفة هي السيطرة على النفس وأهوائها ، واللذة الحقيقية هي الشعور بالسعادة ولا توجد هذه السعادة إلا في العزلة فقط .
وبدأ يشكو من داء المفاصل الذي منعه من السير .

وعندما بلغ الثانية والسبعين وقع فريسة مرض شديد ، وبدأ يشعر بالندم والأسف وقد قام بحرق بعض من أشعاره واعترف أمام وفد من الأكاديمية الفرنسية بذنوبه ، ووعد أعضاء الوفد بأنه إذا شفي من مرضه فسوف يستخدم قلمه في كتابة أشعار جميلة تحت الناس على التقوى وبالفعل بعد أن شفى قليلاً بدأ يترجم التراجم الدينية من اللغة اللاتينية إلى الفرنسية ولكن هذا لم يطل كثيراً ..

ففي ذات يوم عندما كان عائداً من مبنى الأكاديمية الفرنسية أصيب بدوار شديد ، وسقط على الأرض قرب قصر اللوفر ، وأغمض عينيه إلى الأبد .



جون دريدن

(١٦٣١ - ١٧٠٠ م)

جون دريدن شاعر البلاط الملكي الذي أعجب به الملك شارل الثاني وعطف عليه وقربه من الطبقات النبيلة ، وتزوج منها امرأة عاشت معه مواقف الإبداع والنضال من أجل عصر خال من الأزمات والمحن والمآسي .

يمثل دريدن تلك الفترة في تاريخ إنجلترا التي تسمى بعودة الملكية وذلك بعد انتهاء عصر المطهرين ، حيث سيطر الجمود والتحفظ والعودة إلى الأفكار التقليدية والرجعية .

أما في عصر عودة الملكية فقد ساد المذهب الواقعي في محاولة جادة لتصوير واقع الحياة الاجتماعية والاضطراب الخلقي والانهييار السياسي في البلاد ، فقد قام الملك شارل الثاني بإعطاء الوظائف الكبيرة للمنافقين وأشعل الصراع بين المذاهب الدينية ، ولم يكن يشعر بالولاء لوطنه وخرق معاهداته مع هولندا التي قامت بضرب لندن بالمدافع .

ولذلك كتب دريدن قصيدته الشهيرة «سنة العجائب» أشار فيها إلى الحرب مع هولندا ووجه النقد الحاد لأحوال البلاد ، ولكنه من جهة أخرى انساق في مديحه إلى الملك فأصبح شاعر البلاط الوحيد الذي لا يشق له غبار فكتب للمسرح عدة أعمال تضمنت سخريته من حزب الأحرار الذين هاجموا الملك بعد أن أرسل زعميهم إلى المقصلة .

وازدهر المسرح بعد الحرب ، وكتب دريدن مسرحيات يمجّد فيها البطولة ويدعو الأمة إلى التضحية والبحث عن البطل الذي يقودها إلى المجد والعظمة والتاريخ المضيء في درب الحرية والتقدم . وقد مزج في المسرح بين الملهاة والمأساة وصور حدة العواطف وأحزان الشعوب في مواجهة المحن والآلام وتعددت مسرحياته حتى بلغت الثلاثين .

غلبت على كتابات دريدن النظرة العلمية والروح الموضوعية ، ورغم مديحه للملك إلا أنه تخلّى عن موقفه في البلاط الملكي وطرح قضايا مصيرية وناقش هموم الشعب الإنجليزي

وأفاد من المنهج التاريخي والنفسي .

وفى الحقيقة شعر دريدن بالحيرة والألم من ظروف عصره الغريب ، ولم يكن يدري هل يظلّ محافظاً على روح العصر اليزابيثي بما فيه من وطنية وخلق وابتكار وإغراق فى الخيال أم يظلّ مرتبطاً بعصر الملكية حيث صراع المذاهب والانتماء إلى الواقعية ؟ غير أنه يقول :

- أننى أحاول خلق أدب جديد يساند الإنسان .

ويقول فى أجمل قصائده «وليمة الإسكندر»:

عزف المغني على قيثارته ثانية

وعلت النغمات ثم علت

ألا فلتعظم يا مغنينا قيود النعاس

ولتقذف بها عنا بعيداً

وأيقظ زعيمنا بنغم كهزيم الرعد

جلجلة وقصفا وقصفا

أنصتوا أنصتوا ها هو ذا ينهض برأسه

وكأنه يصحو من الموت بعدما طرق النغم القوى مسمعيه

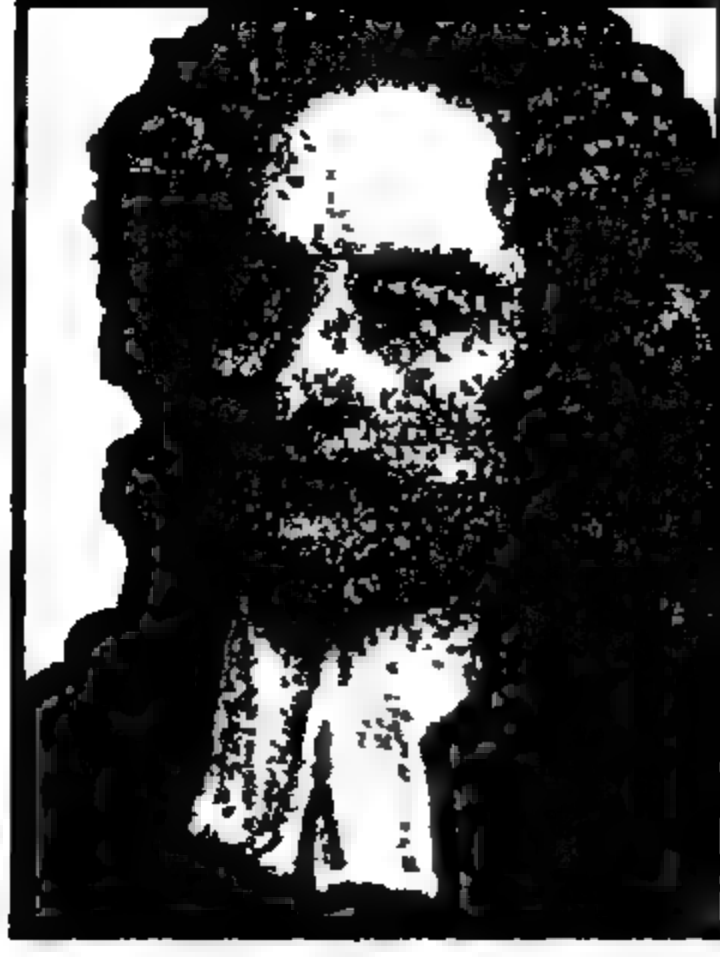
وإنه فى دهشه

ألا فلتنتقم فلتنتقم ولتشر روح الغضب

أما عن حياة دريدن فقد تألفت موهبته وهو يزال طالباً وكتب شعراً غامضاً تسوده النزعة الميتافيزيقية ، غير أنه تحول إلى الرومانسية بعد ذلك وأفرط فى الخيال والأحلام وقرأ فى الأدب الانجليزى والفرنسي واليوناني وعشق الشعر والمسرح ، وتكاملت فى شخصيته السخرية من التناقضات حوله وشعوره بالمأساة والحزن للكوارث التي تجتاح إنجلترا .

كان دريدن يحلم أن يكون رائداً لأدب جديد ، غير أنه لم يوفق فى ذلك ورحل وترك وراءه مجموعة من الكتب والأشعار والمسرحيات ترمز إلى عصر كامل بما فيه من قلق واضطراب .

ومن أهم مؤلفات دريدن : مقال فى الشعر التمثيلي ومقدمة القصص الخرافية والأقدمون والمحدثون وثلاثون مسرحية شعرية .



جوناثان سويفت

(١٦٦٧ - ١٧٤٥ م)

ينتمي الكاتب الساخر جوناثان سويفت إلى تلك الفترة التي عرفت في تاريخ الأدب الإنجليزي بالعصر الكلاسيكي الأول (١٧٠٠ - ١٧٤٠ م) وكان من أعلامه ألكسندر بوب وداينال ديفو وجوزف أوسن وريشارد ستيل وغيرهما . وقد غلب على هذا العصر روح التقليد والاتجاه إلى البحث عن المعرفة والتعبير عن روح الشعب ومعاناته ووجدانه . اتجه سويفت إلى الدراسات الدينية واهتم بإصلاح أحوال المجتمع فهاجم المسيحية التي يتمثل بها قومه ، وكشف مواقف الساسة الكبار وتناقضهم حتى ثارت الكنيسة ضده والناس وادعوا أنه زنديق يجب أن يُعاقب . ويضحك سويفت ويقول :

- إنني أقدم حياتي فداء إذا كانت هناك في كتاباتي فكرة واحدة ضد الدين أو الأخلاق والمثل العليا .

وجمع سويفت تلك المقالات وأصدرها في كتاب "حكاية برمبل عام ١٧٠٤ وكان ينظر إلى كتابه هذا ويقول : "لقد كنت عبقرياً حقاً ونابهة حين كتبتة "

وشاهد سويفت فقراء أيرلندا يتسولون في الشوارع والنساء قد جررن في أعقابهن ثلاثة أو أربعة أطفال يرتدون أسمالا بالية ويلحون في طلب الصدقة من كل عابر . ويشور سويفت ضد النظام والحكومة والأغنياء الذين يتمتعون بلذة الحياة ورغدها ، بينما فقراء أيرلندا يتضورون جوعاً فقام بإصدار فكرة تحت عنوان (اقتراح متواضع) سخر فيها من الأغنياء وقرر تقديم الأطفال إليهم كوجبة شهية . ويصرخ سويفت بأن هؤلاء الأغنياء ينهشون لحم الأطفال الفقراء . وعندما شاهد سويفت أيرلندا تترنح تحت رياح الخلافات الحادة ويمزقها الجشع والطمع كتب

مقالاً حاداً هاجم فيه النواب فى البرلمان ونشره دون توقيع . -

وثار النواب وقرروا إعطاء جائزة مالية لمن يكشف عن صاحب المقال .. ولكن سوفيت لا يبالي ولا يهدأ بل يواصل رسالته لإصلاح عيوب المجتمع وإنقاذ شعبه من براثن الجوع والفقر والمرض .

وحين اختلف الأدباء والكتاب حول قضايا التجديد فى الأدب وغرقوا فى الصراعات والحروب شعر سوفيت بالغضب لأنهم تخلوا عن قضايا بلادهم فقام بتوجيه اللعنات إليهم وصب حرائق غضبه عليهم ودعاهم إلى أدب صادق من أجل الجماهير .

ومن أهم مؤلفات سوفيت الغاضبة الساخرة ما عرف باسم . "رحلات جلفر" والكتاب فى أربعة أجزاء يبدأ بموقف البطل جلفر فى بلاد الأقزام ثم العمالقة ويذهب إلى جزيرة «لابوتا» حيث يصف نفاق العلماء وتفاهتهم وكيف يبددون الوقت فيما لا طائل منه ، وفي الجزء الرابع يصل جلفر إلى بلاد تحيا فيها مخلوقات مروعة بشعة غريبة يطلق عليها اسم (ياهووز) ويلاحظ أن كل ما يقوله عن ياهوز هى عيوب البشر فوق الأرض ويكشف نظام الحكم فى إنجلترا ومساوئه حين يقول ملك جزيرة العمالقة :

- أفهم من حديثك يا سيد جلفر ان الغالبية العظمى من مواطنيك جنس رهيب بشع يتكون من ديدان حقيرة تعتبر أشد خطراً وضرراً من كل ما يدب فوق الأرض ؟

وقد لاقت رحلات جلفر شهرة كبيرة ومن الغريب أنها عدت روايات سياسية تنقد الأحوال الاجتماعية فى إنجلترا ، إلا أن هذه الأجزاء الأربعة قد أعجبت الأطفال وأصبحت من أروع قصص الأطفال حيث غلب عليها الخيال والمغامرة والمواقف الطريفة .

لقد عاش سوفيت غاضباً على مجتمعه ساخراً من أحوالهم داعياً إلى مجتمع جديد خال من الفقر والأمراض والنفاق والأحقاد ، ولكنه فى نهاية حياته أصيب بالهذيان والجنون لفرط حساسيته ولأنه كان يحلم بالعدل فى مواجهة الظلم والحرية فى مواجهة الشر والقيود والسجون. ولكن من عجائب الأحوال أننا أصبحنا ننظر إلى سلسلة رحلات جلفر على أنها موضوعات للتسلية والضحك وليست أكثر من ذلك فى حين أنها كتابة غاضبة ساخطة على المجتمع الإنجليزى فى ذلك العصر الذى كتبت فيه .



ألكسندر بوب

(١٦٨٨ - ١٧٤٤م)

ألكسندر بوب شاعر القصيدة الذهنية والنظرة الساخرة إلى العالم ، وزعيم الحركة الكلاسيكية والنزعة العقلية التي ترى العالم من خلال المنطق والتناسق والنظم الإصلاحية .

في شبابه كتب مقطوعات شعرية مستوحاة من الريف الإنجليزي وصف فيها جمال الطبيعة وعناصرها القائمة على دقة وإحكام وترابط وانسجام بين الطبيعة والإنسان .

واهتدى بوب في أشعاره إلى فلسفة ترى أن معاناة البشر تكمن في محاولتهم التمرد على واقعهم ورفض صور العالم المألوفة والبحث عن المطلق أو الكمال . فالشر في الكائنات قد يكون ضرورياً ليسمح للخير بالتغلب عليه ومحاربتة . ومشاعر الكبر والزهو والخيلاء التي تسيطر على الفرد قد تكون هي المبرر الوحيد لسقوطه وانهزامه ولذلك أطلق سخريته الحادة من واقعه المضطرب ، وبحث في الإنسان عن ميوله وخصائصه التي تجعله منسجماً مع الكون وليس نافذاً أو شاذاً .

وعبر عن تلك الفلسفة في قصيدته «دنسياد» التي هاجم فيها النقاد حين أكدوا بأنه شاعر ضئيل لا يملك القدرة على التعمق في الأشياء .

ولم يقف الشاعر بوب عند التعبير عن إحساسه في شعره بل هاجم حياة الترف والأثرياء الباحثين عن غرائزهم الحسية واغتالوا الجمال في الكون وخرّبوا الطبيعة بأفكارهم الهشة .

في قصيدته الرائعة «الخصلة المخطوفة» يسخر من المرأة ولا يرى فيها سوى قطعة تغنى وتذروها الريح وتظل ذكراها في القصيدة باقية ، فالشعر قادر على تخليد ذكرى المرأة بعد أن يطويها الفناء وما المرأة في النهاية إلا ظلالاً وأوهاماً .

ويقول :

خفقي عنك أيتها الجميلة الحسناء
ولاتبك على شعرك المخطوف ..
فإن عالم الكواكب يزيد به جمالاً وجلالاً
قل من الخصلات مما تفخر به رموس الحسان
ما يستدعى الحسد كالمحصلة التي فقدت .
ذلك أن صرعى عينيك زائلون
وأنت يا سيدتى فى فناء بعد ما تقتلين الألف .
ولسوف يوارى كل تلك الخصلات التراب ولكن الشعر سوف
يرفع هذه المحصلة المخطوفة إلى سماء الشهرة المقدسة
ويسطر اسمك بين النجوم .

ومن أهم قصائد بوب الشعر الريفى « The postorals » وهى مقطوعات كتبها الشاعر فى
السابعة عشرة من عمره وقسمها إلى فصول السنة ، وكتب بوب مقالات فى النقد وترجم شعر
هومر ، بالإضافة إلى قصائده الطويلة .



فولتير

(١٦٩٤ - ١٧٧٨ م)

المفكر الثوري الذي حرض الشعب الفرنسي ضد أهل الخزي الذين يضطهدون الأحرار ، هذا الأديب الذي دعا إلى نبذ التعصب وإلى الإيمان بالحب والتسامح ومناقشة آراء الغير فى حرية ونزاهة .

عاش فولتير يحارب الظلم فقد أعلن دفاعه عن الشاب الذي اتُّهم بتحطيم الصليب وحياسة المعجم الفلسفي (من مؤلفات فولتير) وكذلك لم يركع عند مرور موكب ديني .

وانتهت المحكمة بحرق الشاب مع المعجم الفلسفي عقاباً له . ولم يتوقف فولتير بل انطلق صوته غاضباً على السلطة الفاشية التي تطيح بأعناق الأبرياء دون ذنب اقترفوه .

ويحكى أن لصاً اقتحم منزله ليسرق رغيماً من الخبز وركع اللص أمام فولتير ليسامحه ولكن فولتير ركع أمام اللص وجفف دموعه وقال له : لا تركع إلا لله وحده .

وأصبح فولتير مطارداً تتعقبه السلطة وتود أن تتخلص منه بأية طريقة ولكن ظل صوته يصيح بالعدل والتسامح والحرية والإخاء .

وفى تلك الأثناء تعرف على امرأة اسمها إميلي دو شاتله سمعت عن فولتير وعاش فى خيالها وأمضت فترة من عمرها تقرأ مؤلفاته وتتمنى أن تراه .

والتقت إميلي بالأديب الثائر واعترفت له بحبها ، وأعجب بها فولتير وقدم لها إحدى مؤلفاته وهى «الرسائل الإنجليزية» وهو الكتاب الذى يشيد فيه بالدستور الإنجليزي ، ويوجه نقده العنيف للحياة السياسية فى فرنسا .

وفى اليوم التالي أمرت السلطة بإحراق كتاب «الرسائل الإنجليزية» واعتقال فولتير. فلم

يجد الكاتب مكاناً يختبئ فيه سوى قصر السيدة إميلى دى شاتله القائم بعيداً عن المدينة .

عاش فولتير فى هذا القصر مع إميلى أجمل أيام حياته واستطاع فى هذا المناخ الهادئ الجميل أن يكتب كثيراً من قصصه وأشعاره وكذلك إميلى ، كتبت رواية «رسالة فى النار» وترجمت عن اللاتينية كتاب نيوتن وكتبت بحثاً فى السعادة وبحثاً آخر عن أهمية الثقافة للمرأة .

وكان العاشقان ينطلقان إلى الصيد بين الغابات وتضحك إميلى ، وهى تضم فولتير إليها وتقول : هل تصدق أن الشرطة تبحث عنك وأنت هنا فى قلبى .

وعندما سقطت التهم عن فولتير بدأ يرتاد الندوات والأمسيات مع إميلى ويقف يناقش قضايا الحرية ويجلس وتبتسم له فى صفاء ويرجع معها إلى القصر يمضي أمسيات حاملة .

وعاشت إميلى تحب فولتير حباً عنيفاً وتغار عليه إلى الحد الذى رفضت أن يسافر إلى ألمانيا عندما دعاه فردريك وكتبت إلى الملك تؤكد له أنها لن تتخلى عن فولتير ولن يسافر إليه .

ورغم أن فولتير لم يتزوج إميلى فقد اعترف المجتمع الفرنسى بهذه العلاقة رغم دلائل الاستنكار والرفض التى كان يعبر عنها البعض عندما يراها .

وذات يوم تخلت إميلى عن وقارها وحياتها وصادقت أحد الأمراء الشبان حتى فوجئت بأنها حامل ، فأسرعت إلى فولتير لينقذها من هذه الورطة .. ووقف معها يرعاها ويشرف على علاجها حتى أوشكت على ولادة الطفل وتعهد لها أن يرعاها .

وحينما وضعت إميلى طفلة بريئة جميلة تلقاها فولتير بين ذراعيه وقال : ما أجملك وأنت طاهرة بلا ذنب . وفجأة سمع أنين إميلى التى بدأت تتوجع فأخذ يواسيها ويذكرها بالأيام والذكريات الجميلة ولكن توفيت إميلى بحمى النفاس .. وتألم فولتير وحمل الطفلة البريئة وظلت معه طوال حياته واستمر فى كفاحه ونضاله الثورى .

وفى تلك الفترة الزمنية التى عاشها استطاع أن يؤلف نحو سبعين كتاباً فى التاريخ والأدب والسياسة والاجتماع والاقتصاد . وفى هذه الكتب أطلق صرخته التى اهتزت لها أفئدة الطغاة وزعزت كيانهم وهى : اسحقوا أهل الخزى .. ويقصد هؤلاء الذين يطاردون الأحرار ويضطهدون الشعب ويكبلونه بالأغلال ، إنها الحرية التى وهب لها فولتير دمه ويقول لها :

« أيتها الحرية الحمراء لك قلبي وفكري .. ودمائي تسقي شجرة الديمقراطية لشعبي العظيم . »

وحقاً لقد زرع فولتير شجرة الديمقراطية بين غابات الاستبداد والتعسف والقمع ، وكتب عن التعصب وضرورة نبذه للدخول فى عالم التسامح والمحبة واحترام الإنسان وكرامته ، وحمل كتابه «قبر التعصب» دعوته إلى هذا التسامح والاخاء فيقول :

« إن من يتلقى دينه بلا فحص ، يكون كالثور يتقبل النير بلا معارضة»

وفى كتابه «التسامح» يقول :

« لا يحتاج المرء إلى براعة فائقة أو فصاحة نادرة لكى يبرهن على ضرورة التسامح بين جميع الناس » ويقول أيضاً « يجب على الناس أن يتجنبوا التعصب لكى يحققوا التسامح » .

ظل فولتير عاشق الحرية وشهيداً الذى لا يهاب بطش المستبدين ، ووقف بجوار شعبه يناصره ضد الظلم وقد تبنى قضية الشاب الذى أدانته المحكمة ظلماً لأنه لم يركع عند مرور موكب ديني ولحيارته المعجم الفلسفى وهو من مؤلفات فولتير . ورغم ما حدث لهذا الشاب لم يتوقف فولتير عن إدانة القوانين الجائرة وكشف مساوئ .. النظام فى سقوط الأبرياء ..

وقضية أخرى شغلت فولتير حين صدر قانون عام ١٧٥٧م بإعدام المفكرين والمؤلفين الذين يكتبون ضد الدين أو ينتقدون الكنيسة ، وتوقفت بذلك الحركة الفكرية الثقافية وامتنع المؤلفون عن النشر والكتابة بحرية ، لم يتوقف فولتير عن الكتابة والنشر والنقد وإن كان بأسماء مستعارة إلا أنه حطم خرافة الاستبداد وأخذ يدعو إلى الحرية والتسامح .

حينما قامت الثورة الفرنسية انطلقت الجماهير الشعبية إلى سجن الباستيل الذى كان يسجن فيه الأبرياء بلا محاكمة وهدموا هذا السجن ، وعُرف بيوم (سقوط الباستيل) فهو معقل من معاقل الظلم والموت والقهر . وفى هذا السجن الرهيب حُكم على فولتير أن يحبس ويجلد بالسوط لأنه كتب قصيدة عن أحد النبلاء ينتقده ، فاستطاع هذا النبيل أن ينتقم منه .

وخرج من السجن لينفى إلى إنجلترا حيث كتب هناك إحدى روائعه وهى (رسائل فلسفية) التى دعا فيها إلى نشر التسامح الدينى ، وقد أعجب بالدستور الإنجليزى وتأثر بالعالم الرياضى «نيوتن» ودعا إلى الأخذ بقواعد الدستور الإنجليزى عندما عاد إلى وطنه .

يعتبر «المعجم الفلسفى» من أهم مؤلفات فولتير فقد صادرت الحكومة الفرنسية وأدانت مؤلفه بالكفر بل حكموا على فولتير بالموت ، ومن هنا اكتسب هذا الكتاب شهرة ولا سيما

حين حكمت المحكمة على الشاب بالحرق عندما اكتشف معه «المعجم الفلسفي» .

وكتب فولتير عن نفسه في المعجم الفلسفي يقول :

«إنى أجهل كيف تكونت وكيف ولدت وقد قضيت ربع حياتى وأنا أجهل تمامًا الأسباب لكل ما رأيت وسمعت وأحسست وكنت مجرد بيفاء تلقنتي بيفاءات أخرى . ولما حاولت أن أتقدم في الطريق الذي لا نهاية له لم أستطع أن أجد طريقًا معبدًا ولا هدفًا معينًا فوثبت وثبة أتأمل الأبدية ، ولكنني سقطت في هوة جهلي»

مؤلفات فولتير كثيرة نذكر منها : رسائل فلسفية ، نبذة عن الأخلاق ، القاموس الفلسفي ، سيرة لويس الرابع عشر ، عقد التسامح ، كانديد ، حكايات ساخرة ، الساذج (رواية) .

وعندما اندلعت شرارة الثورة الفرنسية وأعلنت الحرية والإخاء والمساواة ، شعر فولتير أن بذور أفكاره التي غرسها في عقول الشعب قد ترعرعت أشجارها وارتفعت أغصانها في سماء الحرية .



صامويل جونسون

(١٧٠٩ - ١٧٨٤م)

صامويل جونسون الأديب الكلاسيكي الذي ظل مؤمناً بأن الآثار الغابرة والإبداعات الماضية هي الرمز الحقيقي للأدب والدافع إلى الكتابة الجادة ، فقد ظل ينظر إلى أدب الأقدمين بإعجاب وخيلاء وجاءت أعماله تتألق في الصياغة والعمق في التحليل الخلفي والنفسي والوضوح في الأسلوب والالتزام بقضايا الواقع الذي اتسم بالنزاع السياسي والحروب والفتن والدسائس ورغبة الطبقات الشعبية المشاركة في الحكم كل هذه الأفكار دفعت الأدب والأدباء إلى الارتباط بالواقع والحنين الدافق إلى الماضي الجميل .

صامويل جونسون ولد في أسرة فقيرة كادحة فقد كان أبوه تاجراً للكتب فأتاح له هذا أن يتجه إلى القراءة بسهولة ، واكتشف في الكتب ذاته التي تتألم كل يوم تحت سياط الذل والحرمان والألم .

وقرر صامويل جونسون أن يكافح ويصمد أمام ضربات القدر وعصف الزمن وعندما التحق بجامعة أكسفورد لم يستطع أن يواصل دراسته وترك الجامعة لبحث عن عمل ، فاشتغل في التدريس ثم الصحافة ، واهتم بترجمة الكتب الفرنسية وبدأت أحواله المادية في تحسن ، فأحب امرأة تكبره بعشرين عاماً وتزوجها واقتنع بحياته العاطفية ومضى يخطط لمستقبله الأدبي .

بعد ترجمة الكتب الفرنسية كتب صامويل جونسون مسرحية «أرين» وعدة كتب أخرى هي: حياة ريتشارد سافيدج ، وصديق شاعر مكافح ، وكتاب يحمل بعض المقالات التي نشرها في الصحف . غير أن أهم عمل روائي صدر له بعنوان «راسلاس» ويقال أن هذه الرواية كتبها في أسبوع واحد ليحصل من بيعها على نفقات جنازة أمه .

عرف الجمهور والأصدقاء والقراء شخصية الأديب صامويل جونسون بأنها ذات كبرياء

واعتراز بالكرامة والإحساس المرهف والمشاعر الرقيقة والثقافة الواسعة ورجاحة العقل والاعتدال فى إصدار الأحكام والذاكرة القوية ، ويقولون عنه : إنه عذب الحديث .. طيب القلب مؤمن بقدرة الانسان على السمو والتحدى والنضال .

وظل جونسون يرفض طوال حياته النفاق والتعلق للحصول على مكاسب فى الحياة ، فقد عاش يعانى الفقر فى بداية حياته حتى إنه لم يكن يجد مصباحاً فى بيته يضيء له ليقرأ أو يرى ما حوله ورفض اللجوء إلى أصحاب النفوذ أو السلطة لمساعدته .

دعا جونسون فى كتاباته إلى الاهتمام بالعلوم الحديثة والاطلاع على آداب الأمم الأخرى وقراءة تاريخ الشعوب . وأن قضية الكاتب ليس مجرد التعبير عن فكرة ما حتى وان كانت رائدة فى عصره ، وإنما أن يجعل القارئ العادي مؤمناً بأهمية التغيير والإقبال على العلم والثقافة وصقل الشخصية بالقيم والأفكار النبيلة .

ويقول جونسون : إن الحياة التى تمضي دون أثر للعلم أو الثقافة فيها كأنها لم تكن إطلاقاً ، ولا بد للإنسان أن يترك أثراً كبيراً خلفه يقود الأمة إلى الخير والصلاح والتقدم .

وأصبح صامويل جونسون من أهم أعلام الأدب الإنجليزى بعد صدور هذه الكتب ، وكذلك تأسيسه مجلة أدبية هى «إيدلار» وانتشرت كذلك روايته «راسلاس» التى تتحدث عن الأمير عندما قرر أن يخرج من عزلته فى القصر ويمزج ذاته بحياة البسطاء ويرحل من مدينة إلى أخرى حتى يكتشف أنه لم يكن يعيش حياة أصيلة جدية أن تُعاش حقاً .

وفى السيرة الذاتية للشعراء أصدر كتاب «حياة الشعراء» وهو كتاب نقدي يترجم مجموعة كبيرة من الشعراء المعاصرين ، وتحدث عن أهم القضايا التى شغلت عصره فى الشعر ويقول : إن الشاعر لا يحصى أوراق الشجر ولا يصف الألوان ، وإنما يصور لنا من صور الطبيعة ما يذكرنا دائماً بأروع ما فى الحياة من أحاسيس وقيم ومواقف .



توماس جراى

(١٧١٦ - ١٧٧١م)

شاعر الحزن الساكن فى أوراق الخريف الجرداء .. وغناء الطبيعة الصامتة إلى حد البكاء
ورنين أجراس الكنائس فى صباح يكسوه الضباب وتنتحب على شمسها طيور تهدمت
أعشاشها .. ووقفت حائرة على غصن مكسور .

تلك صور فى قصائد توماس جراى تشعرك بالوحدة والعزلة وأن الحياة لا جدوى منها ..
فالموت يتعقب الإنسان فى كل مكان ، وعلينا الاستسلام لأقدارنا والرياح التى تضربنا كل
لحظة وتطفئ فى داخلنا توهج الأمل وانبعاث الشوق .

وحين يرسم لك الشاعر صورته الفنية ترى الفلاح فى الحقل يعمل فى صمت ، وخرير الماء
وخشخشة أوراق الشجر .. وارتطامها بالأرض الخشنة . والقطعان تشق طريقها فوق الجبل
ويقول :

هذا ناقوس الغروب يدق ينعى يوماً راحلاً
وهذه القطعان الغائبة تشق طريقها وئيدة فوق الجبل
وهذا الفلاح يتعثر فى مشيته منوداً صوب داره
ويهجر الدنيا لظلام ولى
والآن تتلأأ أمام النظر صورة الطبيعة ذات الوميض
ويستولى على الكون سكون عميق

هكذا تبدو القرية فى قصائد غارقة فى الكآبة فلا الأمل يبرق أو اشعاعات القلب تشق
ركام الجراح والدموع وتضيء الذات .

لقد عاش توماس جراى متشائماً لا يرى سوى العصفور المنكسر الجناح ، والنهر الآسن ..
والمراكب الممزقة الشراع ، والمرأة التى هجرها الحب وحطمتها السنون .

إن قضية التشاؤم ترجع إلى صديقه الذى فقدته فى يوم ما ، وكان يحبه ويحمل له قدراً من الوفاء والذكريات الجميلة . وأصبح توماس جراى بعد محنة الموت يركض فى الظلام وينقش قصائده على أوراق الشجر الصفراء ويجلس وحيداً يرقب كل صباح حركة الناس فى الريف ولا يلمح بارقة أمل فالحزن والموت قد تملكا قلبه واعتصرا ذاته .

ورغم هذا التشاؤم تلمح احساساً متدفقاً بالحياة وتطلعاً إلى لحظة من الفرح غائبة لأن المشاعر الانسانية فى محنتها يمكنها أن تترجم أصدق الانفعالات وتجسد المواقف الحزينة .

يقول عن صديقه الذى مات :

هناك يستقر فى حضن الأرض الروم

رأس فتى لم يعرفه الحظ السعيد

ولم يدركه بعد الذكر والصيت

كان وضع المولد

قلم ينشر له العلم السمح جناحه

واصطفاه الحزن العميق

ويرتبط هذا التشاؤم بالإيمان العميق بما تأتى به الأقدار وإن الإنسان لا خيار له وأنه مجرد لعبة فى يد الريح لا يملك مصيره ، وإن علينا أن نلوذ بالصمت ونقدس الحزن . إن الحزن رؤيا إلى داخل الذات المفجوعة بالألم .

ويعتبر توماس جراى من شعراء المدرسة الرومانسية وقد درس فى كمبردج وطاف فى رحلات إلى القارة الأوروبية ودرس العلوم وأتقنها وقرأ فى التاريخ الطبيعى وتفقه فى الدين والسياسة والأخلاق .

ولكن سيطرت عليه نزعة تشاؤمية غريبة حتى إنه اشتهر بقصيدته " مرثية مكتوبة فى فناء كنيسة ريفية التى ذكرنا منها بعض النصوص .

ويعود هذا الحزن والتشاؤم أيضاً إلى انطواء الذات على نفسها واستغراق الشاعر فى فلسفة الحياة والموت .



ألفرد جولد سميث

(١٧٢٨ - ١٧٧٤م)

ألفرد جولد سميث شاعر غنائي كان يطوف في الشوارع وبين الناس يعزف على مزماره وينشد لهم الأشعار التي سجلها من شفاه الشعب . فأحبته الجماهير ورددت هذه الأشعار ولكنه ظل فقيراً يمشي مشرداً ضائعاً ، وينام في المراعي والحقول ويخفي بين طيات ثيابه ديواناً من الشعر أو كتاباً في الأدب .

ويجلس وحيداً تحت الأشجار يقرأ وينسى العالم من حوله ، وإذا تعب افترش الأعشاب وأغمض عينيه على حلم جميل يراوده ، وعانق الغطاء والوحدة والعراء .

ولد ألفرد جولد سميث في إحدى قرى أيرلندا وارتبط بعاطفة قوية مع قريته والناس البسطاء وعلاقاتهم القائمة على المحبة والتعاطف وانطلق ساعات طويلة بين الغدران والبحيرات وألوان الزهر ورائحة الياسمين يقرأ ويكتب ويتأمل ويحلم أن يصبح شاعراً كبيراً وأديباً مشهوراً.

ورغم الفقر الذي تعاني منه أسرته بذل جهداً كبيراً في تحصيل العلم والدراسة والتحق بجامعة دبلن ليدرس الطب .

ولكن بعد تخرجه لم يكن راضياً عن ذاته في الطب وقرر أن يهجر هذه المهنة ليمارس الأدب ويحترفه ، فبدأ يكتب بعض المقالات في الصحف ويرسل لهم بعض أغانيه الشعبية التي استلهمها من وجدان الناس وانفعالاتهم ومشاعرهم البسيطة الرقيقة .

اتجه ألفرد جولد سميث أيضاً إلى التاريخ وأصدر عدة كتب عن تاريخ إنجلترا وعن الحياة الاجتماعية والسياسية في لندن ، كشف عن المساوئ التي لوثت السلوك الإنساني والظواهر السلبية والخلل في العلاقات وانهيار المبادئ . ووجه نقداً عنيفاً لهؤلاء الذين يتخلون عن مواقفهم والتزامهم بقضايا الوطن .

وفي تلك الفترة نشر قصيدته «المسافر» التي حازت إعجاب الجمهور والنقاد لما احتوته من رؤية فلسفية عن رحلة إلى جبال الألب يقوم بها رجل يتأمل الحياة والأنظمة السياسية وعادات الشعوب ويمزج هذا بالنظرة العميقة للتاريخ . وقد نشرت القصيدة عدة مرات وناقشها النقاد

ونشرت حولها تحليلات أدبية كثيرة .

وظهرت روايته الأولى (قسيس ويكفيلد) واعتبرت من أروع الأعمال الروائية التي بث فيها ألفرد جولد سميث خلاصة عبقريته وعشقه للتاريخ والأخلاق الرفيعة رغم انسياق الأحداث إلى الخيال والتطرف في تصوير العواطف والأحاسيس ، فالبطل قسيس يقوم على تعليم الناس ووعظهم وارشادهم إلى الخير .

ويقول سميث عن هذه الرواية : إنها قد لا تسر أحداً في عصرنا لأنها عن شخصية بطل يستمد عزاءه من عقيدته الراسخة في الحياة الأخرى .

أما قصيدته الشهيرة «القرية المهجورة» فهي من أجمل القصائد الحزينة التي ترثي جمال القرية والألفة والحب بعد الثورة الصناعية وهجرة المزارعين إلى المدينة حيث الثروة والترف .

شعر ألفرد بالحزن الشديد والرفض للحياة الصناعية الجديدة التي مست الطبيعة في القرية ونشرت فيها دخان المصانع والتهمت المساحات الخضراء ويرثي قرينته قائلاً :

قريني كم فرشت في الماضي على الوادي جمالاً

وعلى شطبك خصب وغماء

بملاك قلب أهليك سروراً

كم مشى الربيع المزهر

باسماً قبل الأوان

ويأتى الزهر فى الصيف طويلاً

محجماً عند الوداع

قريني يا بسمة الوادى الجميل المزهر

ما لأفراحك قد ولت وغابت

ولهذه الوحشة الضارية

ويد الباغي استباححت مغانيك

وطوقت قبضته أرضك بالظلم

لم يعد جدولك الرقراق يجعلوها بطاحاً

وغناء الطير الشحرور قد أمسى صويلاً

ماراً فى الروض غريباً ..



يوهان جوته

(١٧٤٩ - ١٨٣٢م)

. يوهان جوته أديب وشاعر ومفكر ألماني نشأ في أسرة ثرية/فقد كان والده يعمل محامياً وعلى قدر عال من الثقافة والفكر فتعلم منه كيف يواجه الحقائق ويناقش الأمور ويقف في صلابة وقوة أمام الآراء المعارضة ليثبت رؤاه . أما أمه فقد تميزت بالحس الرقيق والعاطفة الجياشة والخيال الخصب . فاكسب منها جوته هذه الخصال وانغrust في ذاته فأصبحت مزيجاً من الشاعرية والموهبة الفطرية التي صقلها بالدراسة والقراءة.

فتحول إلى كتلة من الأحاسيس تنبض بشتى الانفعالات ، وتهدر فيها أمواج التمرد والرفض والرغبة في البحث عن الجديد .

درس الحقوق وتولى عدة وظائف إدارية وقضائية . بدأ يكتب الشعر في فترة مبكرة من حياته يحاول التعبير عن تجاربه العديدة مع النساء وقصة غرامه بهن . وهذه التجارب أثرت على حياته حين أحب فتاة اسمها «شارلوت» ولكنها تزوجت رجلاً آخر . فقرر هجرة العالم والانعزال والتفكير في الانتحار . ولكنه لم ينتحر بل أفرغ عاطفته في رواية طويلة هي «آلام فرتر» التي انتحر فيها البطل لفشله في الزواج من حبيبته . وقد قال نابليون بونابرت : إنها أعظم رواية حب.. قرأتها سبع مرات .

واشتهر جوته بعد هذه الرواية لما فيها من تصوير لعواطف الحب والمشاعر الرقيقة وأحزان الإنسان واليأس والهروب إلى الطبيعة . وتلك هي تيار الرومانسية الذي يهتم بالإنسان وموقفه في المجتمع وقد ثارت الرومانسية ضد الآداب الكلاسيكية التي تؤمن بالعقل ولا تهتم بالجانب الانفعالي . ومن هنا ساهم جوته في تيار الرومانسية بأحزانه وتقديسه لمشاعر الحب وعلاقته بالمرأة.

وكتب جوته رواية أخرى هي «فاوست» التي حملت تأملات للحياة والبحث عن السعادة

والحب والتلذذ بالألم من أجل اكتشاف الجانب الإنساني . وقد تأثر الكاتب الإنجليزي كريستوفر مارلو بهذه الرواية وكتب مسرحية «فاوست» عن البطل الباحث عن المتعة والجمال في الحياة إلى الحد الذي يبيع حياته للشيطان. وقد تأثر أيضاً توفيق الحكيم بأعمال جوته وكريستوفر مارلو وكتب مسرحية ذات فصل واحد اسمها «نحو حياة أفضل» عن الفلاح الفقير الذي يخرج له الشيطان ويتفق معه أن يمنحه الشيطان الثراء والمال والبيت الكبير وينقله من الريف والفقر والمرض الذي يحيط به ، وفي مشهد آخر نجد الفلاح في البيت الكبير وقد رقدت الماعز والخراف في الحمام الأبيض الفخم وفوق الفراش التنظيف تنام الحيوانات معه وكأنه مازال في قريته الفقيرة الملوثة بالأتربة والغبار وروث الحيوان .

لقد فشل الفلاح أن يستمتع بحياته الجديدة لأن التغيير لا يجب أن يأتي من الخارج بل من الداخل حيث يجب على الفلاح أن يتعلم ليتبدل ما في عقله من ظلام وجهل وتخلف . ويفشل الفلاح في أن يجد متعة داخل هذا الثراء والبيت الكبير الذي يسكن مثله الأمراء والأثرياء .

أما رواية جوته «فاوست» فهي النبع الأصلي لما كتبه الحكيم ، لقد صور «جوته» شخصية «فاوست» أنه متعطش للعلم والمعرفة . يود أن يعرف كل شيء في فترة زمنية قليلة . فيأتيه الشيطان ويعقد معه صفقة أن يبيع فاوست روحه لهذا الشيطان لمدة زمنية معينة ، على أن يقوم الشيطان بفتح أبواب الاكتشاف والمعرفة والذات لفاوست .

وقد وظف جوته داخل هذا العمل الأدبي عناصر فلسفية وقيماً تتصل بمواقف في الحياة ومقاومة الشر والصراع بين الذات والواقع . والصراع بين العقل والمعرفة . وقد انتشرت هذه الرواية في مختلف بلدان العالم لتؤكد قدرة جوته الفنية على تحليل وتتبع نوازع النفس وتطلعات العقل وطموحات الفرد حين تفوق إرادته .

مسرحية الحكيم «نحو حياة أفضل» أبسط وأكثر وضوحاً وهي بعيدة عن التأمل الذهني أو الفلسفي . فهو يخاطب جمهوراً عادياً يود أن يعلمه قيمة هامة عن التغيير في الحياة نحو الأفضل بأنه يعتمد على تغيير النفس والعقل والتعلم والمعرفة وليس على الشكل الخارجي .



وليم بليك

(١٧٥١ - ١٨٧٢م)

الشاعر الإنجليزي وليم بليك أحد رواد الرومانسية الذي يرى في الطبيعة عناصر الخير والحب والحق والجمال .

والشاعر لا يكتب إلا من خلال نوع من الإلهام يبرق في ذاكرته مع لحظات الحلم ، إنه يحتوي الوجود ويتلقاه بأشكال مختلفة وغريبة ليعيد بناءه في حالة الرحيل مع الوحي فتأتي القصيدة روحاً ترفرف على الواقع وتخلق بين ضوء النجمات ونسائم الصباح الطليق . ونحس في شعره كيف تتحرر النفس من هموم الواقع اليومي ، وترى العالم بصور شفافة ولمسات حانية تثير الفرحه وتبعث رؤى الجمال الحالم .

في ديوانه (أغاني البراءة) تبدو الطبيعة هي ينبوع الإنسانية ومصدر الخلاص من أزمة الروح في علاقاتها الحزينة بقوى الشر والصراع على المادة . إنه يدعوك إلى أن تسمو وتخلق بعيداً لتشاهد العالم من علٍ ولا تهبط أو تدنو إلى القاع فيقول لك :

إذا رغبت في مشاهدة العالم ، في حبة الرمل ، والسماء في زهرة برية ، فاقبض في راحة يديك على الخلود ، في لحظة الأبدية .

وتلمح في قصائده حوار الطريف مع الأطفال . فالرمز عنصر فني يهدف منه الشاعر إلى إيقاظ روحك وبصيرتك من الداخل ، لترقب الفراشة وهي تتسحر على حافة الضوء ، والوردة التي تمد أغصانها إلى النهر ، والموجة الهاربة في لون البحر ، والشمس الباكية عند المغيب ، والمروج الشاسعة والتلال . فالطبيعة هنا ترد للشاعر طقوله ، تشاطره شقاءه ، وتعلو به إلى آفاق من الوجد والصور الخيالية التي تصبح أقرب إلى مقاومة الواقع . إنه الغناء الذي يتحدى الجمود . وتلاشي الأحاسيس الدفينة فيقول الشاعر :

عندما تصدح أصوات الأطفال على المروج ، والضحك على التلال يهدأ قلبي في صدري . وكل

شيء إلى سلام وسكون ... إلى منازلكم أيها الأطفال ، الشمس شارفت الزوال ، واتشح الليل بالندى .
هيا دعوا اللهو . اذهبوا من هنا . حتى الشروق ... لا، دعنا نلعب . لم يفت الأوان . لا ننفس باكراً
والطيور فى الفضاء . والخراف متشرة على التلال ... اذهبوا إذن والعبوا ولا تعودوا حتى يأفل النهار .
طار الصغار من الفرح . اخذوا يصيحون ويرقصون ويضحكون . رددت صداهم التلال .

هذه الصورة التى يرسمها الشاعر ولیم بلیك هى مواجهة مجتمع الآلة ودخان المصانع
والزحف العمرانى على المراعى الخضراء والحقول الفسيحة النابتة بالثمار . لقد علا ضجيج
الآلات الحديثة وطغى على مشاعر القلب ونبضاته الخافتة . فتحولنا جميعاً إلى قلوب صدئة ،
ومشاعر من رماد ، وأحاسيس جامدة . وسيطر على الكون النزاع على الأرض ، والحرب من
أجل الاستعلاء والثروات وقتل الطيور فوق الضفاف وتحت الشجر وبين الحقول . تباعدنا عن
الإخاء والتراحم والتعاطف وتمزقت فى داخلنا القيم الدينية والأخلاقية ، وصرنا بفخر نصطاد
الحمام الأبيض فيسقط تحت أقدامنا مضرجاً بدمائه . فمن ينقذ الإنسان من وحشية الإنسان ؟ من
ينقذنا من ذاتنا التى تهوى الذبح وتعشق الانتحار ؟ وإذا كان ولیم بلیك يحاول تطهير القلب من
خطاياہ وآثامه بغنائه للطبيعة فهو قد أطلق لهذا الغناء تلقائيته وتعبيره البسيط الشجى عن أحزان
الوجود . إن الغناء هو رد الحياة للحياة :

اعزف على مزمارك فى هذه الفلاة ، اعزف على أغاني الفرح . هكذا قال الطفل الذى يدور فى
الغمام ضاحكاً : اعزف أغنية الحمل . فعزفت بفرح لا يوصف . أيها العازف .. بالله اعزف تلك الأغنية
مرة أخرى . عزفت حتى بكى . سقط الدمع من عينيه كالندى ... وقال لى : يا منيع الفرح اجلس هنا دون
أغانيك فى كتاب يقرأه جميع الناس . فاقتلعت قصبة جوفاء وصنعت قلماً ريفياً ومن الماء حبراً وبدأت
اكتب أغاني الفرح لجميع الأطفال الصغار .

الغناء للطبيعة محاولة لانتصار الشاعر على مآسيه وحاضره المسكون بالوحشة ويخلو من
عناصر الجمال والالهام . فالشاعر يصنع واقعه ، ويبدد غربته ، ويسمو بروحه فى فرحة الطفولة
والبراءة .



روبرت بيرنز

(١٧٥٩ - ١٧٩٦ م)

الشاعر الانجليزى روبرت بيرنز علمته لغة الريح كيف يكون متمرداً ، واستلهم من اخضرار الطبيعة عشقه للكائنات وتعاطفه مع الفقراء ، وتأثر بمشاهد قريته ونضال المزارعين ضد غضب الأمطار وهديرها .. وصرخات الرعود وضربات العواصف فأيقظت فى حواسه الثورة على الجمود والفساد والأثرياء الذين يكتزون المال ويستعبدون الفقراء .

هذا الشاعر ابن الطبيعة والسهول الخضراء والفطرة الصافية والروح النقية يظل كل يوم يتأمل خروج الشمس من بحر الغمام وطلوع الأشجار من خلف الروابي وتدفق الأنهار فى الحقول والمزارع .

وتساءل الشاعر :

- لماذا لا يصبح البشر فى وداعة الشجر وفى انسياب النهر العذب ؟

ولذلك حين تقرأ أشعاره تكاد تسمع أصوات المطر .. وتهب عليك رائحة السنابل .. وتحس بلمسات النسائم وتغريد الطيور .

ومن هنا تجسد فى كيانه معنى الحرية والانطلاق فى الفضاء الرحب ومعنى أن يعشق الإنسان الحياة والخير والعدل ويزرع فى القلوب وردة بيضاء .

ان الحياة لابد أن تصفو لتصبح خالية من العنف والقهر ويتألق البشر تحت أضوائها فى صدق وانتماء للقيم والمثل العليا .

ولد الشاعر روبرت بيرنز فى أسرة فقيرة واضطر أن يعمل مزارعاً لينفق على أسرته التى تعاني آلام الجوع ويمزقها الحرمان واقترب الشاعر بذلك من حياة الفلاحين الفقراء يرهف السمع إلى عذابهم ويبكى مع أحزانهم تراودهم وأيضاً كان يغنى معهم فى الحقول ، فاستشف عمق

الأحاسيس والأفكار والأحلام التي تروادهم.

وبدأ ينظم أول قصيدة عندما كان يحرق الأرض ، ويجلس آخر النهار بعد يوم عمل شاق يقرأ كتب الأدب والتاريخ والفلسفة وأيضاً كتب عن الموسيقى وتعلم اللغة الفرنسية .

وامتزجت روحه بالطبيعة وصقلها بالثقافة والشعر الرقيق ، فأصبح محلقاً بين الحقول يدعو الفلاحين البسطاء إلى الحب ومقاومة الفقر والنضال من أجل حياة جميلة .

ورغم ذلك تمزق وجداته كثيراً ، واكتشف أن هذا العالم لا خلاص له بالحب وحده ، وإنما بالثورة عليه والتمرد على أوضاعه الجامدة والإطاحة بالطبقات الثرية التي لا هم لها سوى اشباع غرائزها .

وكانت أسرة روبرت تتمزق تحت وطأة ضربات الفقر الساحقة ، والشاعر يقرأ في الليل ويعمل في النهار خوفاً على أسرته من الموت جوعاً ، يقول :

– أشعر بالكراهية للطغاة والمنافقين الذين اقتسموا ثروات الحياة وتركوا الآخرين يموتون جوعاً .

تخطمت روح روبرت بيرنز في مواجهة الحياة وسقط في بحر اليأس والعدم ، وقرر أن يهاجر إلى جزيرة جامايكا ليعمل في إحدى المكتبات العامة .

وحينما بدأ ينظم أوراقه وأغراضه لمح أوراقاً تحمل قصائده فقرر أن ينشرها قبل السفر ، وذهب إلى بعض المؤسسات والأفراد حتى استطاع أن يجمع مبلغاً من المال ودفعه لدار النشر .

وعندما قرر الرحيل أرسل إليه الناشر يهتته برواج ديواناً الشعرى ويطلب ديواناً آخر ، وابتهج روبرت وقرر أن يظل في أسكتلندا ، ونشر ديوانه الثاني وعدة أعمال أخرى حتى أصبح شاعراً مشهوراً وثرياً واشترى مزرعة وسدد نفقات أسرته .

وانتجبه إلى الأغاني الشعبية ونشرها في كتاب أحدث ضجة وصادف نجاحاً كبيراً ، وترك وظيفة الفلاحة وتولى منصب مفتش جمارك إلا أنه لم يستمر وقرر أن يعود إلى الطبيعة يتأمل المزارع والطيور ويشاهد الأنهار والسنابل ، ويناضل للحرية والحب والجمال ويدعو إلى التسامح والتعاطف والقيم النبيلة .

ومن أجمل قصائده عن الطبيعة :

حين تشدو الغابات الخضراء
بأصوات الفرح
والجندول المتموج يجري واقصاً
حين الرياح تمزج معنا وتلهو
وتردد صداها التلال
حين الهضاب والمروج
وأعشاشها
المتماوجة تضحك وتمايل
حين الأطيّار تضحك
عندما الأطفال يطلقون صرخات السعادة
حتى الطيور الصداحة تغرد في الظلال
تعالوا نغني معاً ..
للحب .. والحرية والجمال .



فريدرش شيلر

(١٧٥٩ - ١٨٠٥ م)

فيلسوف وشاعر وأديب بارع ، تميز بركة العاطفة ورهافة الحس وعشقه للطبيعة والغابات ، حيث ولد في قرية ماريباخ الألمانية التي تحتشد فيها المراعي وتطل على نهر النيكار .

درس اللاتينية واليونانية وعلمته أمه التسامح الديني من خلال قصص الانجيل ، فساهم ذلك في تعاطفه مع المساكين والفقراء . وكثيراً ما كانت الأم تفقد ثوباً أو فرشاً للسريير وتعلم أن الصغير تصدق به على مسكين .

في المدرسة العسكرية تعلم الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والعلوم والرياضيات والقانون ، ثم تحول بعد ذلك إلى دراسة الطب ، قرأ كثيراً في تلك الفترة واهتم بالأدب الإنجليزي والشعراء ذوي النزعة الدينية ، وعشق كتابات روسو وجوته .

بعد تخرجه عُيّن طبيباً في الجيش في مدينة شتوتجارت ، وسكن عند امرأة اسمها (لويزا فيشر) وأحبها وكتب لها بعض القصائد العاطفية منها :

حبيتي لاوزا

نبئتني عن هذا الشعور الجياش المضطرب

الذي يشد في عنف جسماً

إلى جسم

نبئتني عن هذا السحر الذي

يدفع الروح بعنف إلى الروح

وبدأت أفكار شيلر تتحدد تجاه الناس والحياة ، فهو يرى الحياة قافهة والناس مجرد قشور
والطغاة يسيطرون على مقادير الأمور ولا بد من مقاومتهم .

وقد عبر عن هذا المعنى فى قصيدة رثاء لأحد الأصدقاء وقال :

ألا صفقوا

صفقوا بأيديكم

واجعلوا التصفيق

معبراً عن الفرح والابتهاج

فإن الموت هو نهاية كل جنون طويل

ورب ألم واره الإنسان

فى جنبات القبر معه

من هؤلاء الناس الذين

يعيشون على الأرض فى نور القمر

إنهم ممثلون

إنهم يلبسون الأقنعة

وبينهم وبين الموت

رباط لا يرونه حق اليقين

إلى أن يخرج النفاق بهم

من ساحة التمثيل .

وهكذا وقف شيلر ضد الاستبداد والقهر ، وظل يحلم بحرية الإنسان من هذه القيود الدامية ،
وكتب عدة مسرحيات يهاجم بها الأنظمة الفاسدة ويرمز إلى الخلل الذى تعاني منه ، ويعبأ الذهن
والوجدان لإطلاق صرخات الحرية فى وجه الطغاة ومن هذه المسرحيات :

قطاع الطرق ، فييسكو، مكيدة حب ، دون كارلوس ، وليم تل ، جان دارك ، ماريا ستوارت .

ومن سمات المسرح لدى شيلر إثارة القضايا ضد القيود والتخلف والجمود ، وتمجيد الإنسان

وأحاسيسه ، وإعلاء قيمة المشاعر الوجدانية ، والاتجاه إلى البساطة ، وتصوير عالم الأطفال والمزارعين والصيادين وأصحاب الحرف البسطاء فى مواجهة الخبثاء والفاسقين من ملوك وأمراء ونبلأء ، يقول فى إحدى قصائده التى تتسم بالحرية والنضال والبحث عن المجد الإنسانى :

ما أجملك أيها الإنسان
وأنت تقف بفهم النخيل
على حافة العصر
فى رجولة كريمة فخورة
بحس منفتح وعقل ملائ
وجد عنيف وسكون غنى بالأعمال
وقد أصبحت أكثر أبناء
الامان تفوجاً
تحررت بالعقل
وقويت بالقوانين
وعظمت بالحلم
وأثريت بكنوز
أخفاها عنك صديرك زمناً
طويلاً
سيد الطبيعة أنت
الطبيعة التى لا تحب قيودك
والتي تعرف قوتك
فى ألف من المأرك
والتي سمت منبتة
من تحتك
خارجة من الهمجية

وفى قصائد الحب مزج بين نضاله الإنسانى ومشاعر الحب الصادقة ، فقد أحب نساء كثيرات ولكن عشق شارلوتة فون كالب وهى امرأة يتيمة عانت من الوحدة واليأس القاتل ، وتزوجت من هانير بش فون كالب ، ولكنها لم تكن تحبه وأحبت شيلر حيث لمست المعانى الجميلة فى كتاباته وثورته ضد القيود ودعوته إلى عالم يؤمن بالإنسان وإبداعه وحرية .
ويقول لها شيلر :

لا لن أستمرفى هذا الكفاح
إلى أبعد من هنا
كفاح الواجب الشاق
إذا لم تكونى قادرة على
إخماد دافع القلب المتأجج أيتها الفضيلة
لا تطلبي هذه التضحية منى لقد أقسمت أنا
نعم أقسمت
على أن أتحكم فى نفسى
خلى تاجك
لقد خسرت إلى الأبد
خلىه ذهبنى أقتب

ومن أجمل قصائده عن الاستبداد والطغيان ، قصيدته عندما هرب من مدينته نتيجة تأزم موقفه مع الرقابة حيث تعرض للمسائلة من قبل الدولة ، وأقفوه عن الكتابة وأخضعوا أعماله المسرحية للرقابة قبل النشر .. فقرر أن يهاجر إلى مدينة أخرى ، وفى تلك الليلة التى هرب فيها كتب يقول:

ها هو ذا فى القبر رفات الأمراء
ذوى الكبرياء
وكان من قبل أصناماً فى عوالمها
بقايا مملعة ويريق رهيب من نور باهت يضيئها

هنا ترقد جماجم النحت نظراتها

وكانت من قبل فى علياء

ترنو بالوعيد لمن دونها

وكانت تحمل للإنسانية

الرعب والفرغ

لأن إيماءاتها كانت تعنى

الحياة أو الممات

ويعود يكتب إلى حبيبته يقول :

إن نظراتك عندما تبسم بالحب

تكاد تبث الحياة

فى المرمر الصلب

وتجعل النبض يدب فى عروق الصخور

إن الأحلام لتتحول من حولي إلى كائنات

إذا استطعت أن أقرأ فى عينيك :

لاوزا .. لاوزا حبيبتى

وتزوج شيلر المرأة التى أحبها شارلوتة بعد وفاة زوجها ، وظل يواصل طريق كفاحه ونضاله حتى بدأ المرض يداهم صحته وبدأ يشعر بالإرهاق الشديد .

وفى يوم سقط طريحاً على الفراش ، يزوره الأطباء كل يوم ولكن لم تكن هناك بادرة أمل فى الشفاء .

وبدأ شيلر يهذى بكلام غير مفهوم ، ويسأل عن ابنته وزوجته ويقول :

- مادام لم يعد هناك من يفهمنى ، ومادمت أنا نفسى لم أعد أستطيع فهمى فالأفضل أن أصمت .

ويغفو ويصحو ليقول :

- هل هذا جحيمكم ؟ هل هذه جنتكم ؟

فليرحمني الله من عذابي الطويل

و ذات صباح طلب من زوجته أن تزيل الستار عن النافذة ليرى الشمس .. وتطلع اليها ..
وألقى نظرة على ابنته ..

وابتسم ..

وفارق الحياة

والشمس منسكبة على وجهه

وانهالت رسائل الأحزان من الملوك والأمراء والنبلاء والمفكرين والأدباء في ألمانيا وخارجها ،

تنعي رحيل الشاعر الكبير شيلر ..

وانتشرت النصب التذكارية

تخليداً لشيلر في أنحاء ألمانيا .



مدام دى ستال

(١٧٦٦ - ١٨١٧ م)

مدام دى ستال عاشقة سحر البطولة ، والثورة ضد ظلم الطغاة فى جراءة صارخة وثقافة عميقة تنتمي إلى أدب الحوار والجدال والنقاش القائم على مبادئ الخلق الرفيع والإيمان بالحق والخير والعدل والجمال .

حين بدأت مدام دى ستال تتألق فى صالونها الأدبي ويلتف حولها مجموعة من أعلام الأدب والشعر والفن مثل مونيه ووالتر سكوت وريكاميه ودى موسيه وغيرهم ازدهرت الحركة الرومانسية الفرنسية وبدأت مرحلة جديدة .

تميزت مدام دى ستال بقدرة بارعة فى الأدب الشفاهي ، فهي متحدثة لبقة ساحرة التعبير عذبة الحديث ، يشاق كل مبدع أن يجلس أمامها صامتاً ويتأملها فى إعجاب ودهشة .

وذات مرة كانت تتحدث إلى الفيلسوف «نيتشة» وسألته أن يشرح لها مذهبه «فى الأنا» وحين بدأ الفيلسوف يحدثها باللغة الفرنسية قالت بكبرياء : هذا يكفى يا سيدى لقد أدركت ماذا يعنى مذهبك ، إنه اسقاط الذات . وحملق الرجل فى هذه المرأة التى لم تنس أنها من باريس .

كان لصالون مدام دى ستال أثر كبير فى الحركة الأدبية حيث رفضت ما يسود الواقع من ظلم وتقشف واضطهاد للحريات ، ودعت إلى حياة قائمة على العدل والحب وإشعاعات العلم والأدب ودعت أيضاً إلى ضرورة تغيير المذاهب والاتجاهات الأدبية لتلائم التغير العلمي والتحول الاجتماعي فى فرنسا . وكذلك تعتبر أول من تحدثت عن الغزو الثقافي وحذرت من سطوة الآداب الألمانية وما تضحخه من أفكار خطيرة ضد فرنسا .

وأكدت أن الشعر الصادق ليس مجرد نظم جيد ، وإنما حالة داخلية فى القلب ومشاعر إنسانية قد يستطيع الشاعر أن ينسجها داخل إطار شعري أو نثري يبلغ بروعته مستوى راقياً لا يصل إليه الشعر .

وآمنت مدام دى ستال أن الشعر احترام ومعايشة وتقديس للشعور ، وإعلاء للعاطفة وتحليقة
فى عالم الحلم والخيال رافضاً ضجيج الأرض وضجر الكائنات الفاسدة .

وكانت تربط بين العبقرية الشعرية والنزعة الروحية ، وخفق الوجدان والتعبير عنه فى لغة
متأججة بالحياة منصهرة بالإبداع .

أما عن النقد الأدبى فإنه كما ترى مدام دى ستال لا يخضع للنظريات أو القواعد ، فالنقد
مرتبط بالإبداع وحين يتغير الإبداع لابد للنقد أن يتغير أيضاً .

وفى أحد الأيام قرأ الأديب «بنجامان» مقالاً فى صالونها يدافع فيه عن الشعب الفرنسى
وينذره ببداية عصر الإرهاب . ومنذ هذا المقال بدأت جماعات فى صالونها تهاجم نابليون ،
ولذلك عندما تسلم نابليون الحكم قرر إبعاد مدام دى ستال إلى ألمانيا وهناك كتبت كتاباً اسمه
«كورين» حقق نجاحاً كبيراً . ونشرت كتاباً آخر عن ألمانيا صادرة الرقابة .

وعاشت مدام دى ستال رافضة للاستبداد عاشقة للفكر الحر والإبداع الصادق ، ورحلت من
ألمانيا إلى سويسرا وشيدت صالونها الأدبى الذى قيل عنه أن له ثلاثة أبواب تطل على فرنسا
وإيطاليا وألمانيا .

أحبت الأديب الإنجليزى السير والتر سكوت (١٧٧١ - ١٨٣٢م) وتبادلت معه رسائل عدت
وثائق تكشف خلجات النفس فى عشقها الراقى وأحاسيسها الإنسانية .

ومدام دى ستال اسمها الحقيقى : جرمين نكر .. تزوجت فى بداية حياتها قبل شهرتها من
البارون دى ستال سفير السويد .

ومازالت فى ذاكرة الأدب رمزاً للمرأة المشققة التى مزجت بين ثقافة العقل وسحر الروح
وروعة أدب الحوار الشفاهي .



فرانسوارينييه شاتوبريان

(١٧٦٨ - ١٨٤٨م)

شاعر العزلة والصمت بين عواء الأشجار .. ودموع الأنهار .. وحزن الغمامة المسافرة وحيدة
في فضاء بلا نهاية .

عاش بين الطبيعة الخضراء .. ومساحات شاسعة من حقول القمح زاهية أمام عينيه ،
والعصافير في مواكبها تعانق سنبلة القمح وتلتقط غذائها .. فكان يمشي ساعات طوال على
ضفاف النهر .. ويرفع رأسه إلى السماء الزرقاء ويتخيل أنه أصبح طائراً يفرد جناحيه في الهواء ..
ويسبح في الآفاق بحرية وانسجام .

ويظل في تأملاته يحتضن النسائم الحانية .. وينصت إلى صفير الريح الرعناء .. وحفيف
أوراق الشجر .. وتغريد العصافير .. هذا عالم السكون .. وهذا شاعر الجمال في لحظات عناق .
كانت أسرته تتمنى أن تراه بحاراً فقد شاهدوه يتجول على ضفاف النهر ويخاطب النوارس
البيضاء .. ويتأمل السفن الراحلة في حزن .

ولكن الشاعر الرقيق قرر أن يصبح قسيساً ، وترك أسرته وسافر مع أخته الوحيدة وعاش معها
في إحدى المقاطعات التي تحيط بها حقول القمح ، ولم يكن لديه ما يفعله سوى التأمل والقراءة
والكتابة ، وكانت أخته أحياناً تشاركه أفكاره .

وبعد فترة شعر شاتوبريان بالملل .. واجتاحته الكآبة ..

وتسربت إليه أنهار الحزن .. وفي ليلة اشتدت عذابات ذاته وقرر الانتحار ..

وقبل أن يقدم على هذه الفكرة لمح عصفورين على نافذته يتناغيان .. فقرر أن يفكر في السر
وراء هذا التناغي أو الحب الجميل في قلب هذه الطيور .

بدأ يقرأ كثيراً في أدب التصوف والديانات السماوية ، ومن حوله الأشجار في عواء .. والريح
ترسل بقايا الأنين وآهات الجراح .. والسنايل في لحظات نحيب فيقول معبراً عن أحزانه :

ادخلي وقد أحاطني ظلام القبور

وظلي وحيد هادئ

في الغابات باحث عن الراحة

لم يكن شاتو بريان يدري كيف يقاوم هذا الضجر الذي ينمو في أعماقه .. وهذا الإحساس
بالإحباط والتأمل في داخله ، وظل يطرح تساؤلات غريبة على الحياة ويعذب ذاته بالبحث عن
إجابات .. وبدأ يفكر في الموت وما بعد الموت .. وكيف يكون مصير البشر ؟

ويقول عن ذلك :

سيموت اسمي

بعد هذه الإقامة الطويلة

بلا مجد

ولكنه سيميش طويلاً تحت

السماء التي تظلل الغدران

وحاول شاتو بريان أن يشارك في الحياة الأدبية والثقافية ولكن ظلت أعماقه خربة ومظلمة لا
يدري ماذا يريد ؟ وحين عشق امرأة قال لها في أول لقاء :

- سيموت حبنا قريباً .

وذهلت المرأة ولم تستطع أن تكتشف ذاته الحادة ومشاعره الغامضة وحياته الغريبة .
قام شاتو بريان بالسفر خارج فرنسا وزار مدناً أمريكية كثيرة وعاد أكثر دهشة وانفعالاً ، تتقد
في ذهنه صوراً أخرى عن الحياة .. ومعاني غريبة عن الموت .. ومواقف أغرب عن الإنسان ،
يقول :

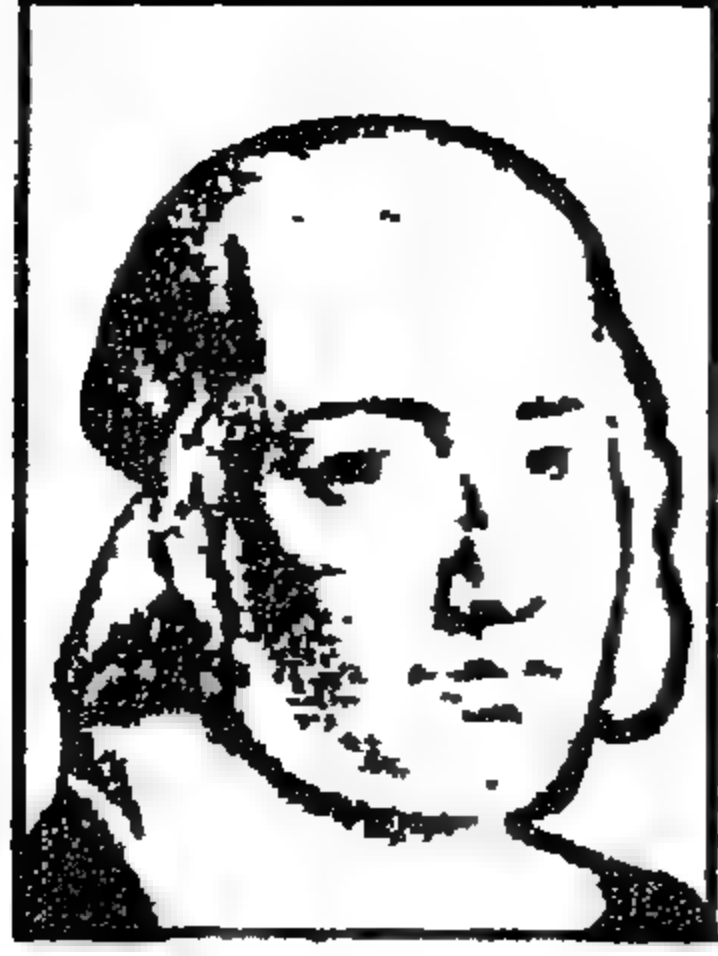
جيلاً بعد جيل سوف يستمع الرعاة

وهم يرمون إبلهم إلى قصتي القصيرة

سوف يقولون :

لقد ولد صديقنا فى هذا المهد
وبدا حياته فى ظل أشجار الصفصاف
لقد مر وهو ناعس بالقرب
من هذا الماء
وفى هذا الوادى تحت الأزهار
ثوى فى لحدّه

وظل شاتو بريان ينثر قصائده عن الموت والإنسان والأمجاد والبحث عن يقين فى العالم .
وحين علم بموت أخته الوحيدة ثم أمه انتابته الأمراض وغرست الأحزان سهامها فى روحه
وسافر إلى إنجلترا وأمضى هناك أياماً حزينة منكسر القلب .
ولكنه استطاع أن يكتب مؤلفه الكبير : رسالته فى الثورات .
وحين شعر بضالة الحياة وأنها رحلة من العبث والجنون اتجه إلى الإيمان بالمسيحية وقرر محاربة
الألحاد .. وأصدر كتابه «عبقريّة المسيحية» .
وظل هكذا .. حتى أغمض عينيه وعواء الأشجار فى قلبه وبكاء الريح فى روحه وانين سنابل
القمح يطوي مساحات الفضاء .



فريدريش هيلدرلين

(١٧٧٠ - ١٨٤٣ م)

على نهر النيجر فى ألمانيا ولد الشاعر وتشربت روحه أحاسيس الحب والجمال وانطلق عصفوراً فى الفضاء الأزرق يغني لهذه الطبيعة الحسنة.

أحب فريدريش قراءة الشعر واتجه إلى الوحدة والعزلة يقرأ فى صمت ويرسم فوق الشجر صور أحلامه الضائعة . فقد شعر باليتم وهو مازال فى الثانية من عمره حيث رحل والده وحُرم من عطف الأبوة . وعاش فى ظلال أمه تغدق عليه من حنانها وترعاه بالصبر والخوف والأمل .

ورغم ذلك .. كان الحزن الذى يطل من عينيه يجرفه إلى شجيرة نائية يجلس فى ظلالها يتأمل ما يحدث حوله وي طرح تساؤلات على الواقع والحياة .

اتجه فريدريش إلى الشعر الذى يخاطب الروح ويسمو بالنفس ويرقى بالوجدان عن غرائز الدنيا . إنه الشعر الروحي والأنفاس الرقيقة واللمسات الحانية والضوء المنبعث متوهجاً يتسلل إلى جوانب النفس فيخلق بها وترقرق الموجودات وتستعذب صور الحياة .

وفى هذا الشعر أيقن أنه الرسالة التى تتيح له أن يمارس إبداعه بهدف كبير ومقصد عظيم، فلم يعبر من خلاله عن قضايا وجدانية وإنما أيضاً عن التزامه بالنضال الإنسانى من أجل الحق والحرية والجمال والحب .

ويقول الشاعر :

نحن الشعراء السنة الشعوب
تعلمنا حب الاختلاط بالاحياء
بتلك الجماعة الصديقة للجميع
السعيدة المفتحة مع الأرجاء
فهذا موقفنا من أجل البقاء .

ويغني الشاعر للطبيعة التي وهب لها قلبه وظل يجلس متأملاً عناصرها في صمت ودهشة
وإعجاب ، وفي هذا الموقف يغمر قلبه تيار متدفق من الشوق والتعاطف مع كائنات الطبيعة
وتترقق الدمعات في أحداقه لهذا الجمال الساحر الذي خلقه الله وأهداه إلى الإنسان .

واقتراب الشاعر من الطبيعة جعله أكثر استشفافاً لروح الوجود بحيث يشعر بخفقة الزهرة
ورقة أهداب البراعم ويذوب قلبه في هذا البحر الزاخر ويصف ذلك فيقول :

عندما كنت لا أزال أصبث بأزرارك

وأتملق بأهدابك كالبرصم

وأحس دقائق قلبك في كل الأصوات

التي تغمر قلبي الضعيف الرقيق

عندما كنت لا أزال أقف متأملاً

صورتك

بقلبي العامر بالعقيدة والحماس مثلك

هيا العالم مكاناً للموصى ووطناً

لحبي

وعشق فريدريش امرأة اسمها زوتسيتة ووصفها بأنها أقرب إلى آلهة الإغريق ، وعبر عن عمق
حبه لها في صور مكثفة بروح دينية قوية وتعبيرات صوفية مؤثرة ، يقول :

أيها الأثير الجاثم

أنت تحفظ لروحي جمالها وسط

الآلام

وتحت سطوة نورك يا إلهي

يسمو قلبي النائر إلى الشجاعة

والنبل

أيتها الآلهة الطيبة

يشقى من لا يعرفك

وتظل روحه الشقية بلا أمل وقلبه تمزقه الفرقة والفراق ، وتصبح الدنيا فى عينيه ظلاماً ويفقد المتعة والغناء .

الشاعر فريدریش هيلدرلين قرأ فى الفلسفة والأدب والتاريخ ، ودرس علم اللاهوت واهتم أيضاً بدراسة الأديان السماوية والتصوف وهذه الدراسات تركت أثراً فى حياته إذ أصبح أكثر تطلعاً إلى عالم الفضيلة والبراءة والنور الذي يغمر الروح ، فأصبحت قصائده تراثيل وابتهاالات نفس تتوق إلى الانعتاق من أسر الحياة المادية وعذابات الصراع اليومي مع البشر الطامعين إلى المتع واللذائذ الحسية .

ويرى الشاعر أنه رغم عراكه هذا مع الحياة ومقاومته للفساد فإنه قادر على حفظ عبقريته وابداعه من هذا الهلاك يقول :

إذا كنت قد عرّكت زحمة وضوضاء الناس وخطوت على بساط الحقيقة

بقدمى فأقدمى إذا يا عبقرتي عارية فى الحياة بلا وحل .

ويرى فريدریش حبيته زوتسيتة الظلال الرحيمة التي تنقذه من واقع الحياة الأليمة ، وتفرد أجنحة الحب والخيال والشفافية ليحلق فى الفضاء البعيد ، يقول :

إن روحى التى لم تحظ بحقها فى الأرض لا تعرف السلام حتى فى الجحيم .

وهذه أشعارى أزهارى الغالية أهديها إليك

أيتها الظلال الرحيمة

سوف أمضى معك أهجر طنبورى وحقولى وسنابلى وأغصانى

وأعيش فى ظلالك أيتها الملاك الرحيم .

ويتعذب الشاعر مع الحبيبة فهى امرأة متزوجة ولها أولاد وحياة خاصة فكيف السبيل إليها . وكان الشاعر يذهب إلى بيت السيدة زوتسيتة ليعلم أولادها بعض دروس اللغات الأجنبية ، وتصادف أن جلس مع السيدة زوتسيتة وتناقش معها فأدهشته ثقافتها وحبها للشعر والأدب فى وحدتها مع أولادها بعد وفاة زوجها . واشتد إعجاب السيدة زوتسيتة بالشاعر ولمست روحها روحه المعذبة القلقة بهموم الناس والواقع وتجسدت أمامه امرأة فوق الخيال والنهى والحدود ، ووهب لها قلبه وحياته وسكن حبها فى جوانحه واستسلم لهذا العشق الخرافى . ولكن هل يمكنه حقاً أن يتزوجها؟؟

تلك هي المشكلة !

إن ظروف زوتسيته تمنعها من الزواج فهي تعيش مع أبنائها وهم في حاجة إليها ، وعائلتها
المتزمتة في التقاليد ترفض هذا الزواج ، فلم يكن هناك مفر من الفراق والعزلة وعودة الشاعر إلى
صومعته بين أشجار الطبيعة ينثر أحزانه على صفحة البحيرات الساكنة ، ويقول لها في حزن
وأسى:

آه يا حبيبتى الرقيقة ..

لم أهد أراك في أى مكان تحت الشمس

وتدوب أشعاري في الهواء

وكلماتي الحنونة

التي همست بها إليك

أنت بعيلة حقاً أيها الوجه البريء

وغريب أن تمضي حياتي في هذا

العبث

والوعته .. أين أنت ؟

أين أنت .. ؟

ويمضي الشاعر فريدريش في أنحاء ألمانيا ضارباً في الأرض لا يدري أين يذهب ، وظل يحب
هذه المرأة سنوات طويلة ويحيا على أمل أن يتزوجها في يوم ما ولكن حالت الأقدار دون ذلك،
فأين يذهب الشاعر في هذا العالم الغارق في البؤس والشقاء ؟

حروب تدمر الأبرياء .. وبؤساء في الخرائب يبحثون عن قطرة ضوء وكسرة خبز .. والحبيبة
هي الرمز للخلاص من هذا العبث الذي يسيطر على الحياة ويهلك بحار الحب وزمان البراءة،
يقول :

أنت تتعلمين في سكوت

أيتها الحياة النيلية

أنت تحتضنين العيون في صمت

تحت وهج النهار الجميل
تبحثين عن القلب الحنون
وقلبي يتمزق على كف الريح
هل كتب حقًا علينا الفراق ؟؟
والبعاد والتناثر في كل الأنحاء ؟

ويتألم الشاعر فريدريش حين يعلم بعد ذلك أنها تزوجت رجلاً من عائلتها فترامت أجنحة
الشاعر محترقة ، وسقط على الشطوط الدامية ركاماً من الرماد ، لا يوقن في لقاء آخر إلا في
السماء حين تتحد الأرواح يقول لها :

انظري حبيتي
قبل أن تستوي قبورنا
سوف تتم المعجزة
والفكاك على صفحة بيضاء
وحقل باسمينة
وغصن وردة تثر عطرها
وسوف نشهد لقاء الضوء بالضوء
والغيمة بالغيمة

ويقرر الشاعر أن يعود إلى الشجر الأصفر ويجلس على صفحة البحيرات الساكنة والوردة
الذابلة والورق اليابس ينثر أحزانه إلى فيروزة الفضاءات الأولى ويعزف لحن الوداع والرحيل
الآخر .

ويسلم الشاعر نفسه للأوهام والظنون تغتال المعاني في أعماقه ويفكر ويتألم ويتعذب ويحس
دييب خطى الموت يدنو منه فيقول لها :

وداعاً حبيتي
يا ملاكي الرحيم

حين يتزوج الياسمين
تبكي عصافير السماء
وترحل الطيور المهاجرة إلى عالم الغربة
وتنطفئ مصابيح النهر في قلبي
وداعاً حبيبتني ..
وداعاً يا ظلالني وأطيافني وأحلامي
وداعاً

ويخرج الشاعر فريدريش في الصباح الباكر يركض على حافة النهر الذي شهد مولده ويجلس
بين الياسمين الأبيض ويصرخ في فضاء الوحدة والسكون الرهيب :
هل يمكن لشخص ما أن يحتوى عطر الياسمين .. هل يمكن لرجل ما أن يقبض على الضوء ويحبس
النهار ؟

أين أنت يا فيروزة الشطوط والفضاءات الأولى ؟

ثم يعلو نسيجه وترتعد أغصان الشجر وتتساقط السنابل صفراء على جسده الذي يرتعش
تحت المطر .

وفي صباح اليوم التالي اكتشف الناس جثة رجل يحتضن زهور الياسمين وتغطيه أوراق
الشجر الذابلة المبللة بدمعائه .

وفي الفضاء تنوح عصافير غريبة .. وغيوم فاضت بدمعائها وأرض تفجرت بدمائها ، وجسد
الشاعر يحتضن الياسمين في دفء ، وأصوات يعلو صداها في كل الأرجاء :

- وداعاً فيروزة الفضاءات الأولى وداعاً - وداعاً - وداعاً .. وداعاً



وليم وردزورث

(١٧٧٠ - ١٨٥٠م)

وردزورث عاشق العشب المتراقص على ضفاف الأنهار وتغريد العصافير في منطقة البحيرات في «كمبرلاند» بإنجلترا . ولد في أحضان الشجر المثمر .. والظلال الوارفة وكتب قصائده متأثراً بهذا النور الذي يغمر القلب ويشير المشاعر .

يقول الشاعر وردزورث :

السعادة الحقيقية حين يرتجف إحساسك المرهف لرؤية المراعي والحقول والتماعة قطرات الماء في النهر المتدفق .

ويشير الشاعر إلى هذا الارتباط الروحي بين مشاعرك الرقيقة وعناصر الجمال في الطبيعة .. إن ورق الشجر .. والظل .. والنهر .. والنخيل والطيور وحشائش الأرض ليست إلا كائنات تعلمنا الحب والعطاء وعشق الحياة والناس .

ولذلك اعتبر أحد شعراء البحيرة مع كولردج وشيللى وآخرين تغنوا بخفق الروح حين تغيب في سحر الطبيعة وتلمس أوتار القلب حزن الياسمين وارتعاشة الفراشات وأنفاس الزهر ونور النجمات واشترك وردزورث مع كولردج في نشر ديوان «الأغاني الوجدانية» الذي تألفت قصائده عابقة بأريج الأعشاب .. وخرير المياه .. وتلألأ الظلال والحقول الشاسعة الخضراء .

ودعا وردزورث في قصائده تلك إلى البساطة في التعبير والتحرر من النماذج التقليدية القديمة في الشعر الإنجليزي ورفض المحسنات البديعية والقوافي الجامدة والخيال السقيم . وسكنت الشاعر وردزورث رغبة جامحة في إصلاح أحوال البشر ورسم ابتسامة مضيئة في القلب الحزين ، والانطلاق من أسر الواقع وكآبته ورد الذات المرحة الحاملة بالمحبة والخير للعالم ، فاتجه إلى العمل السياسي وتحمس للثورة الفرنسية ولكنه واجه فوضى الأوضاع والنظريات القائمة ، ثم اكتشف

انحراف الثورة الفرنسية عن مسارها ومبادئها الحقيقة فإذا به يعاني الإحباط واليأس وانكسار ذاته العاشقة للطبيعة .

اتجه مرة أخرى إلى الشعر يغني للنساء ، ويصف الطيور والماعز في المراعي ، والعصافير وهي تشرب من حافة البحيرة في دعة وسلام .

وكتب قصائد يصف فيها الريف الإنجليزي والفطرة الصافية في نفوس الناس وسذاجة أفكارهم ويعبر عن أحزانهم أيضاً ولحظات الطفولة والفرح في لغة سهلة بعيدة عن التعقيد تتدفق في مشاعر حنونة وعاطفة متوهجة وخيال ثري ، يقول :

كنت أمشي كغمامة وحيدة تطفو

على الجبال والتلال

فجاء حشد من الزنابق الذهبية سلب نظري

متماوجات على جانب البحيرات

تحت الأشجار .. مداعباً النسيم

تتألق .. تمور كأنها النجوم

في الدروب المضيئة

وللشاعر قدرة فائقة في وصف الطيور وأصواتها في القرية وتقدير رققة ماء البحيرة وانسياب شعاع الشمس وظلال الشجر ، يقول :

الديك يصيح .. الجداول تتمايل وترقص

العصافير تغرد .. البحيرات تلمع

الحقول الخضراء تطفو مطمئنة تحت شعاع الشمس

وفي أيامه الأخيرة واجه وردز كوارث شديدة في أسرته ، وفقد ثقته في العالم بعد ما شاهد نابليون يكتسح الشعوب بجيوشه ويقذف بها في بحار من الدماء ، وسيطر الاستبداد على أوروبا وتحطمت أحلام الشعوب في الحرية والسلام والعدالة وانطفأت الشموع في قلب الشاعر .. وسقطت أوراق الشجر الخضراء ، وسكنته صحراء قاحلة .

وفي ليلة كان يقف يراقب عصفوراً يشرب من حافة البحيرة شعر بآلام حادة في قلبه فجلس على الأعشاب وعيناه تملقان في البحيرة والعصفور والشجر والطيور ، ولفظ أنفاسه الأخيرة بين كائنات الطبيعة ، ووقفت العصافير تبكي عليه وتشرب دمعها .



لودفنج بيتهوفن

(١٧٧٠ - ١٨٢١م)

الفنان العالمي لودفنج بيتهوفن عبقرية موسيقية حولت العالم إلى نغمات تتردد في أعماق القلوب وتدوى في آفاق الروح . فهل بيتهوفن مجرد موسيقار أبدع أم شاعراً عبّر عن أحاسيس الذات ؟ أم فيلسوف تأمل بقلب من حرير يشتعل ليضيء العالم ويتعاطف مع أحزان البشر؟

ولد بيتهوفن في مدينة بون بألمانيا في ١٦ ديسمبر ١٧٧٠ وعاش طفولة هي بعض من المأساة التي شكلت عبقريته وساهمت في عشقه للنغم . ظلت الآلام هي النبع الذي يغمر بحر الطفولة النقي العذب ، ثم تدفقت أمواج التسعاسة لتجرف حياته في شلالات الكآبة ، ويبدو حقاً أن الألم العظيم يخلق فناً عظيماً .

كان والد بيتهوفن يعمل مغنياً في كنيسة المدينة ويعاقر الخمر ، حيث يقضي ساعات كثيرة في الحانات بين نساء الليل والسكرارى ثم يعود مع خيوط الفجر إلى البيت منهوفاً لا يدري شيئاً من حوله ، فكانت شخصيته هزيلة غير قادر على تحمل مسئوليات الأسرة .

ولهذا التدهور في شخصية الأب قصة تعود إلى سخط وغضب والده «الجد لبيتهوفن» لأن والد بيتهوفن تزوج من امرأة .. كانت زوجة لأحد الخدم في قصر الأمير وأدى ذلك إلى مقاطعته لابنه وأسرته .

شعر بيتهوفن بتلك المأساة التي لا تزول أو تخبو ذكراها وما تعانسه أمه من أحزان في حياة صاخبة لا تعرف الحب أو الطمأنينة ، ومن جهة أخرى - مع مرور السنوات - أصبح بيتهوفن هو ابن المأساة والمحن . فقد ماتت أمه التي يحبها وتحنو عليه ويهرب إليها من قسوة أبيه . وكذلك فقد شقيقته الوحيدة التي يحمل لها عميق الحب . ثم طُرد والده من عمله نتيجة إدمانه للخمر وأصبح بيتهوفن هو المسئول عن اثنين من أشقائه ، فلجأ إلى العمل واشتغل عازفاً على آلة الأرغن في كنيسة الدوق «فرانز مكسيميليان» إلى جانب دراسته للتأليف الموسيقي مع أستاذه «نيف» .

أحب بيتهوفن الغناء الذي يردده الناس عند الصلاة داخل الكنيسة ، فدأب على الذهاب إلى هناك والوقوف بجوار عازف الأرغن يتأمل حركة أصابعه فوق المفاتيح ، وينسى نفسه في تلك اللحظات ويشرد ذهنه بعيداً في الخيالات والأحلام .

وفي إحدى الأمسيات ذهب بيتهوفن إلى الكنيسة فوجد الأرغن بدون عازفه بعد أن انتهت الصلاة فجلس وراح يعزف مقطوعة موسيقية من ابتكاره . فسمع الأب من الجهة الأخرى هذه الموسيقى المنبعثة من الأرغن فذهب ليعرف لماذا لم يغادر عازف الأرغن الكنيسة حتى تلك اللحظة وعندما فوجئ بابنه بيتهوفن هو الذي يعزف من ابتكاره كاد أن يجن من الفرحه وبدأ يهتم بتعليمه الموسيقى .

وأخذ والد بيتهوفن يحلم أن يرى ابنه فناناً عظيماً مثل «موزار» ولذلك وضع له نظاماً دقيقاً للتدريب وتعلم الموسيقى .. نظاماً لم يكن يراعي فيه صحة الطفل ومدى احتماله والظروف التي يعيش فيها حيث كان يعمل في النهار لينفق على أسرته ، ومع ذلك أرغمه والده على التدريب المتواصل حتى ساعات متأخرة من الليل . بل إنه في مرات كثيرة يعود الوالد للمنزل بعد منتصف الليل ويذهب إلى بيتهوفن ويجذبه من الفراش ويأمره بالعزف ويظل معه حتى الصباح والفتى الصغير لم يذق طعم النوم . فكم تألم من هذه الحياة الجافة ، ولكنه تحمل وتعلم وتفوق لأنه عشق الموسيقى .

سافر الفتى إلى إيطاليا حيث يقطن كبار الفنانين والعازفين الذين حققوا مجداً كبيراً وشهرة ونجاحاً باهراً. ذهب إليهم ليتعلم ويتلقى دروساً في التأليف الموسيقي ومن هؤلاء: موزار ، هايدن . ساليري . وقد أذهل بيتهوفن هؤلاء الأساتذة بعزفه الساحر الذي يختلف تماماً عن السائد. ولا يمكن أن نقرر بأنه لم يتأثر بهم جميعاً ولكنه أضاف من إبداعه الخاص الذي يميزه عن الآخرين .

لقد حقق شهرة فنية في فيينا ، واعترف له الجميع بنضوج عبقريته الفذة التي تأسر النفوس وتضفي نوعاً من السحر والجمال على الحواس . موسيقى مشحونة بالعواطف الجياشة ، تحمل قدراً هائلاً من التعبير عن المعاني التي تنبض داخل الذات .

عاش بيتهوفن صراعاً رهيباً مع المرض ، ففي عام ١٧٩٨ بدأ يشعر بالصمم وتفجرت رحلة العذاب المرير ولاسيما بعدما أيقن أن مرض الصمم سوف يلزمه مدى الحياة فلم يستطع أن يخبر أحداً من أصدقائه أو يعبر عن أوجاعه وإحساسه بالانكسار ، وبدأ يخلو إلى نفسه ولا يخالط الناس كي لا ينكشف أمره ويقال أنه يكتب وصيته في تلك الفترة .

لم يستسلم بيتهوفن لمرضه بل حاول أن يبدع أروع موسيقاه ، ويخلق ألحانا جميلة تهز الأفتدة وتسحر العقول ، وكلما تفاقم المرض عليه ، دفعه ذلك إلى العمل الدائم فى مؤلفاته وألحانه وظل مرضه هذا عائقا أمام تحقيق حياة زوجية إذ إنه لم يجد المرأة التي تقبل أن تحبه وتبادل له المشاعر والأحاسيس وهو أصم .

حاول بيتهوفن أن يتناسى مرضه ، ذاب مع النغم ، فالمعاناة كانت تلهمه بالألحان الخارقة التي تحمل قوة نفسية تصارع الموت والفناء وتتحدى المرض .. إن الإبداع الموسيقي منح بيتهوفن حياة جديدة ومقاومة صامدة لم يشك أو يصرخ محتجاً على القدر أو الظروف . ولم ينحن للاحداث . بل يقاوم من أعماق ذاته ، يقاوم كل الأشياء التي تحاول أن تطعنه فى حياته وتحرمه من الحب والشرود مع الأصوات الغنائية فى الطبيعة . فالطبيعة هى الوحي والنور والصوت الشجي .

ويتوغل فى الغابات مسافات طويلة ويجاهد حتى ينصت إلى الأصوات ، لم تكن أصواتا عادية ، هى أصوات خفية يسجلها وتصبح سيمفونيات عالمية . وعاشت موسيقاه تشيع نغمة التحدي والتفاؤل والرنين الذى يوحى لك بامتلاك الحياة والحب والناس ، وبتسم بيتهوفن ساخرا ويقول :

كيف أشكو إلى الناس الصمم وأنا الذى يُفترض فيه حسن الإنصات وقوة الاستماع ورهافة الأذن؟؟
كيف أخبر لكم عن مأساتى وأقول لو تسمع أن ترفع صوتك فأنا أصم ... ؟

وفى الفترة الأخيرة من حياته كان يضطر أن يجلس بالقرب من الأوركسترا حتى يسمع الممثل أثناء العروض ، ولم يجد إلا العزلة والشرود والصمت الذى يجلب له الأصوات الخفية .

ساهم بيتهوفن فى فن الأوبرا مثل موزار ، وفردي ، وفاجنر ، وهنز ، والأوبرا الوحيدة التي قدمها هى : «فيديليو» وقد لاقت نجاحا لأنها تميزت بكل معاني القيم الرفيعة والمثل العليا التي تعبر عن السمو وتجاوز الحياة العادية إلى عالم نقي طاهر . وظهر فى الأوبرا غناء المجاميع والغناء الفردي من خلال رواية تنقل لنا مظاهر الحياة وما يسودها من حرية وسجن وتحرر وعبودية .

إن الأوبرا هى فن بيتهوفن الذي يحرض على المقاومة للاستغلال والظلم ، الأوبرا لديه صوت من أصوات الحرية ، اقتربت من المنشور السياسي الذي يحث الجماهير على الإيمان بحياتهم الجميلة الخالية من العنف والقسوة والتشرد والضياع والقهر . لم تقف الأوبرا عند حد المتعة الفنية، وإنما الثورة الفكرية ومحاولة تغيير الذات والمجتمع والإيمان بالحب والشجاعة والأمل والتفاؤل .

وقد اشتد إعجاب بيتهوفن بالقائد الحربي نابليون بونابرت الذى رأى فيه صورة لمبادئ العدالة والإخاء والمساواة وفكر فى كتابة سيمفونية باسم نابليون ولكنه تراجع بعد أن غزا نابليون ألمانيا والنمسا وفقد إعجابه بهذا القائد الحربي ، وقد قال ذات مرة :

"إنني على استعداد لقهر نابليون لو توفر لى أن أحقق نبوغاً فى الحرب كما حققته فى الموسيقى ."

رفض بيتهوفن أن ينتمى لحزب سياسي خفي أو علني لأنه كان يؤمن أن الفن الحقيقي لا يمكن أن يحصر إبداعه داخل مذهب أو اتجاه خاص . إن الفن رؤية شاملة ، متعدد الأبعاد والقضايا ، مرتبط بالإنسان فوق كل أرض ..

وأعلن بيتهوفن موقفه ضد الأحزاب والعنف والأحقاد والظلم والاستبداد والاستعمار ، والدفاع عن حرية شعبه وحرية التعبير .

وقال عنه الشاعر الفرنسي لامارتين : إن ثورة بيتهوفن نابعة من كيان الإنسان الباحث عن حريته . وقال عنه الأديب الكبير فيكتور هيجو : إن بيتهوفن فنان من طراز نادر وفريد .

السيمفونية تعني مجموعة الأصوات المتألقة فى لحن موسيقى طويل يخضع لقواعد وأصول فنية . وقد أبدع بيتهوفن فى التسعة ، وإن كان قد لجأ مقلداً فى السيمفونية الأولى فإن الثانية قد أطلق عليها البطولة حيث جاءت مشحونة بالرومانسية والحلم وهى تلك التى أهداها إلى نابليون فى أول الأمر الذى اعتقد فيه أنه منقذ البشرية .

ونلاحظ أن موسيقى بيتهوفن تأثرت فى بداية حياته بأساتذته وأهمهم : موزار . ثم بعد ذلك اتجه إلى مرحلة رومانسية ثورية ، ثم مرحلة أخيرة التى اكتشف فيها مرضه واتسمت بالتأمل والاستغراق فى الطبيعة والعزلة والإحساس بالغربة .

أودع بيتهوفن فى حنايا موسيقاه كل مشاعر الحب والحزن ، عاش مع آلام الناس فى الواقع وعبر عن كل ما يجول فى قلوبهم ، وألهمته الطبيعة بعناصر السحر والجمال . ويقال أنه عندما ولدته أمه «ماريا ماجد الينا» شاهدت على نافذة الغرفة عصفوراً جميلاً يغرد لحنًا رائعًا وكأنه يستقبل الطفل ويتنبأ برحلة النغم والحلم التى سوف تصاحبه .^{١٠} العمر . وأحب بيتهوفن أمه ولم يجد بعد وفاتها من تشاركه عذابات حياته ومحنة مرضه .

عرف كثيرات من النساء ولم يقتنع أن هناك امرأة يمكنها أن تحتمل حياته الصاخبة الساكنة ، المنظمة الفوضوية ، وكان يقول ساخراً : هل هناك امرأة تعشق رجلاً أصم ؟

ومن تلك النساء أحبه فتاة وهامت به فكانت تأتي لتقف تحت نافذته لتسمع ألقانه ويقول عنها:

— لقد أعجبت بها ولكنها ليست لي ، فهي جميلة وأنا أعشق الجمال ومع ذلك أخاف عليه من الآخرين ...

وتعرف بيتهوفن على إحدى الفتيات وأحبها وفكر في الزواج منها وهي «تيريز مالفاتي» ابنة أحد أصحاب الأراضي البسطاء ، ولكنه رفض الزواج منها خوفاً على حياتها ومستقبلها إذ لا تستطيع أن تواجه ثوراته وغضبه وحالاته الغريبة التي تتأبه فإنه إذ بهم بتناول طعامه ينهض مسرعاً ليركض في الغابات ويجلس تحت الأشجار يتأمل ثم يهرع إلى البيت ليعزف ويؤلف .

وأحب بيتهوفن إحدى فتيات الطبقة الراقية وأحبها حباً عنيقاً ، وأخيراً عندما مات وجدوا رسالة على مكتبه يقول لها :

معبودتي .. حبي الوحيد .. اذكريني دائماً .. لن أنساكِ .. وكم تمنيت لو شاركتني ما تبقى لي من أيام على هذه الأرض .

رحل بيتهوفن في ٢٦ مارس عام ١٨٢١ بعد أن حقق مجداً كبيراً وأسس مدرسة تخرج منها أعظم الموسيقيين في العالم : مندسون ، فاجنر وغيرهم ، الذين ساروا على دربه وأفادوا من أسلوبه والقواعد التي تركها لهم . رحل عبقرى الموسيقى الذى هز وجدان البشر وعبر بالنغم عن طموح الإنسان وثورته وحرية وقيمه العليا . رحل الفنان العالمى ولكنه ما زال في الوجدان والفكر، نعيش معه الحب والحياة والإيمان ، والقيم الإنسانية .



والتر سكوت

(١٧٧١ - ١٨٣٢م)

ولتر سكوت مؤسس الرواية التاريخية في الأدب الإنجليزي التي تعتمد على سرد قصصي يدور حول حوادث واقعية في محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص من نسيج الخيال أو الحقيقة . وإذا كانت الرواية التاريخية تلزم الكاتب بالصدق والموضوعية في معالجة التاريخ فإن ولتر سكوت قد منح نفسه حرية في تحويل وقائع التاريخ إلى حد بعيد . وجاء ذلك في رواية «الطلمس» التي تناول موقفًا مشهودًا بين ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين الأيوبي ، وافتقدت الرواية إلى الدقة والصدق الفني .

بدأ ولتر سكوت حياته شاعرًا رقيقًا ينثر على صفحة البحيرات الساكنة نغمات القلب الحزين والذات المنعزلة بين الغابات وأعشاب الطبيعة الصامتة ، ولكن اتجه إلى الرواية التاريخية بعدما أصدر قصيدة طويلة في كتاب تحت عنوان : سيدة الأغنية الأخيرة .

أما عن طفولة ولتر سكوت فقد أصابه مرض أحدث شللاً في قدمه اليسرى وبدأ يشعر بالحزن والحجل حين يسير أمام الناس بصعوبة على قدم واحدة .

حاولت أسرته أن تساعد نفسه فأرسلته إلى مزرعة جده ، وعاش هناك سنوات يخرج إلى الحقول ويشاهد قطعان الماشية والعصافير في المراعي الشاسعة ويظل ساعات طوال يقف متأملًا جمال الطبيعة .

بدأ يكتب قصصًا قصيرة حملت ملامح من حياته في المزرعة وحازت على إعجاب أصدقائه ، وظل يكتب ويقترب من الناس في المزرعة يستمع منهم إلى حكايات عن وطنه أسكتلندا أو تاريخ إنجلترا .

اتجه إلى القراءة في تاريخ أسكتلندا وتعمق في دراسة الأدب الشعبي والتراث التاريخي ثم

درس القانون وعمل محامياً لمدة عشرة سنوات .

فى عام ١٨٠٢ نشر أول ديوان وهو «الأغاني الشعبية» من تراث أسكتلندا، ثم أصدر ديوان :
"سيدة الأغنية الأخيرة" ، وكانت أول رواية هى «المتذبذب» ، ثم كتب عدة قصص مستوحاة من
تاريخ أسكتلندا فى مجموعة «عروس لامرور» .

وتزوج والتر سكوت وأصبح كاتباً مشهوراً واشترى مزرعة ، ثم قرر أن يضاعف ثروته فاتجه
إلى الأعمال التجارية حيث تخصص فى نشر الكتب ، ولكن هذه الأعمال فشلت واكتشف
سكوت أنه مديناً بمبلغ كبير من المال .

ظل يعمل فى تأليف الروايات التاريخية ويستنزف طاقاته الفكرية حتى أصدر مجموعة أعمال
روائية كثيرة منها : روكى ، الدير ، القرصان ، الطلسم ، حكايات جد ، القصر الخطر ، بائع
الأثريات ، وغيرها .

ونتيجة لهذا الإرهاق الشديد تهاوت صحته وضعفت ذاكرته وهاجمته الأمراض حتى سقط
مريضاً ولفظ أنفاسه الأخيرة .

بعد وفاة سكوت ظلت كتبه رائجة وتباع فى كل أنحاء إنجلترا حتى تم إيفاء مستحقات الدين
الذي أرهق حياته ، وقد اعتقد سكوت أنه قد سدد دينه قبل وفاته .



كولردج

(١٧٧٢ - ١٨٣٤م)

شاعر القلق والهذيان والجنون في صفحات الشعر الإنجليزي . خيال جامع ورغبة عنيفة في الانفلات من أسر الزمن الراهن والهروب إلى عالم آخر تحاصره المدائن الساحرة .. والغابات الموحشة والكائنات الغامضة الغريبة المرعبة .

قصائده مشاهد خرافية ، وصور تبحث في خوارق الطبيعة وما بعد الموت وما قبل الحياة وينتمي في رؤاه إلى ماض تتجسد على صفحته شجاعة الأبطال المغامرين والبحارة الثائرين على مراكب المجهول ومع رياح العدم تواجههم الأشباح والطيور وقد يفرقون جميعاً في بحار الوهم ويتناثرون حطاماً على ضفاف الموت والفجيرة .

لم يكن كولردج يبالي بأحداث اللحظة الراهنة بقدر استغراقه في الخيال واجتياح ذاته بانفعالات عصبية عنيفة يود من خلالها استعادة نوع من الحلم الغريب .. والحياة المدهشة .. والسفر إلى أرض السحر والغرابة والجمال .

وعندما بدأ كولردج يشكو آلاماً حادة في معدته اضطر أن يلجأ إلى تعاطي «الأفيون» ليخفف عنه تلك الآلام التي تمزقه ، ويصرخ كالحصان المطعون ويرتمي في الأرض منهراً .

وبعد سنوات اكتشف أنه مدمن للأفيون الذي يشفيه تماماً من الآلام ، ثم يجلس في هدوء ليكتب أروع قصائده وأبحاثه النقدية . ولكنه ظل بعد ذلك عشرين عاماً يحاول شفاء نفسه من الإدمان فلم يفلح في ذلك .

يعتبر كولردج قطباً بارزاً من رواد الرومانسية في الشعر الإنجليزي ، وقد اشترك مع صديقه وردزورث في نشر ديوان شعري بعنوان « الأغاني الشعبية » الذي اعتبر بداية لمرحلة الرومانسية في الأدب الإنجليزي .

والصور الشعرية لدي كولدرج منتزعة من الخيال الفارق في الغموض والأوهام إلى الحد الذي أحياناً تصبح القصيدة أقرب إلى الهذيان أو الهلوسة الذهنية ، فهو دائماً يستمد أفكار قصائده من القصص القديمة والأساطير الغريبة ويهدف في ذلك كما يقول إلى إثارة خيال القارئ. قرأ كولدرج في الفلسفة كثيراً وتكونت له رؤية عن الحياة وموقف للشعر يهدف إلى ابتعاث تلك الخرافات التي تذهل القراء وتأسر أذهانهم وترحل بهم إلى مدائن العجائب . ومن قصيدته «مغامرات ملاح قديم» يصف رحلته ، يقول :

هب النسيم العليل وتطاير الزبد الأبيض

وانشق الماء في يسر

وكنا أول من انطلق في هذا البحر الساكن

ثم تراخى النسيم وهبط شراع

السفين وعرانا اكتئاب

ما بعد اكتئاب

ولم تنفرج شفاهنا عن لفظة

ألا لنشق بها سكون البحر العميق

عشق كولدرج الجمال في لغة الإبحار والمفاجآت وانفجار النفس الحاملة بعالم آخر مهيب لإثارة الدهشة واللوعة في القلب .



آرثر شوبنهاور

(١٧٨٨ - ١٨٦٠ م)

نشأ في هولندا وواجهت عائلته حوادث غريبة تركت أثراً في حياته وفلسفته وكتاباتة ، فقد عاش شقيقان من أجداده في مستشفى الأمراض العقلية وأصبحت والدته بالجنون ، أما والده فقد تميز بحدة الغضب والثورة لأنفه الأسباب والإحساس بالملل والضجر والتشاؤم .

ويبدو أن شوبنهاور قد ورث شيئاً من هذا الغضب والضجر فيقول :

«عمرنى ، وعمرى لم يتجاوز السابعة عشر ، الشعور بتعاسة الحياة كما شعر بوذا فى صباه عندما اكتشف وجود المرض والشيخوخة والموت» .

وحدث أن سافرت أسرة شوبنهاور إلى لندن ، وتصادف أن شاهد هناك عملية إعدام فأدى ذلك إلى سخطه على الأنظمة وإحساسه بالضجر الذى يلازمه . وبدأ يكتب مقالات تكشف عن سمات المجتمع الإنجليزي الزائفة ومعصية الدين ودعا إلى حرية الفكر والتسامح والأخلاق الدينية.

وسافرت أسرته أيضاً إلى فرنسا ، وأتاح له ذلك الإطلاع على الفنون والمتاحف والحياة الأدبية ولكنه كان يشعر دائماً بهذا الضجر والتشاؤم . ومما ساهم فى شقاء ذاته وتمزقها عندما زار السجون فى فرنسا وتآلم للبؤس والتعاسة والفقر الذى يعيش فيه السجناء ، ودون هذه المشاهد فى كتابه «يوميات السفر» .

مع مرور الأيام يواجه آرثر حقيقة مخيفة ومروعة وهى أن أمه ظلت طوال عمرها لا تحب أباه . وقد لاحظ آرثر ذلك عندما كان والده مريضاً وأمّه تقيم الحفلات الصاخبة وتراقص الرجال فى خلاعة وبذاءة .

وقد أكدت جوهانا أمه هذه الحقيقة عندما كتبت في مذكراتها أنها لم تكن تحب زوجها إطلاقاً. ولذلك بدأ آرثر ينظر إلى المرأة في احتقار وقال في بحث له حول «النساء» :

- إن المرأة روح لعوب لا ترى إلا ما هو أمام عينيها .

وتتفاقم الأحداث في حياة آرثر شوينهاور إذ تتفاخر أمه بعلاقاتها الغرامية المشينة مع المعجبين بها من الرجال ، وتقول :

- إن لي من المعجبين كثيراً .

ونظر لها آرثر وقال :

- إن ما تفعلينه ظلم فادح ، والظلم من صلب طبيعة المرأة التي تسعى إلى تبديد المال والركض وراء المتعة .

ولم يجد آرثر شوينهاور حوله إلا أخته أويل التي أحبها وكان يتعذب ويبكي على كتفها ولا يدري أين يذهب أو ماذا يفعل .

وأصبحت علاقة آرثر بالمرأة واهية قائمة على الشك والاحتقار . وقد عرف فتاة وأحبها ، وعندما أوشك على الزواج منها سمعها ذات يوم تشير إلى الشاعر بايرون بإعجاب ، فابتعد عنها ولم يرجع إليها إطلاقاً .

انجرف آرثر شوينهاور في مغامرات عاطفية مع نساء الليل وقد أنجب طفلة من امرأة وطلب من شقيقته إعطاءها مبلغاً من المال وهرب من حياتها .

غير أنه عشق امرأة اسمها كارولين ورغم أنها تمنح جسدها لمن يدفع المال إلا أنه ظل يعشقها عشر سنوات وقد كتب لها قصيدة هي الأولى والأخيرة قال فيها :

الجوقة تغني في الشوارع الضيقة

قدمي في الماء وفي الثلج

ألف جسمي بمعطف خفيف

أنتطلع بشوق نحو نافلتك

ولكن شعاع عينيك

يملأني بحرارة إلهية

وظلت نظراته إلى المرأة مرتبطة بغضبه على أمه وإحساسه بالسخط والنقمة والضجر . وفي عام ١٨١٣ قامت حرب الاستقلال في ألمانيا فهرب من برلين ، واعتزل في إحدى القرى وكتب مؤلفه الذى نال عنه الدكتوراه فى الفلسفة .

وحين توفيت أمه حرمته من الميراث ، ثم توفيت أديل شقيقته فترك ذلك أثراً خطيراً فى نفسه . واشتهر آرثر وبدأت الجامعات تدرس كتبه والصحافة تنقل أخباره ، وقد تميزت فلسفته برفض العرف والتقاليد والقيم الشائعة . وسخر من أوضاع المجتمع وواجه المثقفين بلذعات نقدية شديدة.

وذات صباح أثناء تجواله فى الحديقة شعر بتعب شديد فى قلبه ، وشاهده صديق فحمله إلى البيت ، وعندما زاره فى اليوم التالى وجده ميتاً تحت صورة جدته . ووجدوا على مكتبه كلمة لشكسبير يقول فيها :

صباح الخير يا سادتى

اطفئوا الشموع فقد انتهت لصومبة الذئاب

انظروا إلى عذوبة النهار

يغمز العالم بالروح !!



اللورد بايرون

(١٧٨٨ - ١٨٢٤م)

اللورد بايرون الشاعر الأعرج الذي حاول أن يحقق بطولة فردية تدهش المجتمع والناس فاكشف أن طريقه إلى هذه البطولة غارق في بحر الإثم والخطايا والمحرمات ، فاندفع إلى الفسق والفجور إلى الحد الذي أدى به إلى أن ينجب من اخته أوجو ستالي طفلة هي رمز الجريمة الكبرى والسقوط الأخلاقي .

وثار الناس في إنجلترا ضد هذا الشاعر ، وغضبوا عليه ورفضوه ، ولكن بايرون كان يرى أن طريق المعصية والخطيئة مقدر عليه ، فقد كان والده رجلاً ماجناً اختطف فتاة وتزوجها ، ثم تركها واتجه إلى امرأة أخرى سلب منها ثروتها وأنفقها على حانات الليل ، ثم هجرها ليموت خارج الوطن .

وكذلك عم بايرون اقترف جريمة قتل في نزاع مع رجل داخل إحدى حانات الليل ، أما أمه فهي امرأة شرسة الطباع .. قاسية القلب ، إذا غضبت تمزق الأشياء وتحطم الأواني وتدعو بايرون بالصبي الأعرج .

أحس بايرون أنه منقاد إلى دروب وعرة ومظلمة وأن كرامته جرحت كثيراً ، وكم مرة حاول الانتحار وأمسك بسكين ليذبح عنقه ولكن أخته كانت تسرع لإنقاذه . وعندما أحب فتاة اسمها "مارغريت باركر" وأحس أن ذاته بدأت تتفاهم مع هذا العالم الموحش أصيبت الفتاة بداء الصدر وماتت فظل ماضياً في سلوكه الفاسد من جنوح وشنود أخلاقي .

وتزوج امرأة اسمها ملبانك وأنجب منها طفلة ، ولكن بعد عام هجرته لسوء سلوكه فقد استدعت يوماً طبيب الأمراض العقلية ليعالج بايرون لأنه قال لها في ليلة الزواج .

- أنت الآن زوجتي وذلك سبب كاف لكركك ولكنك لو كنت زوجة سوى لكان ذلك كافياً لي يجعلني أحبك .

وحين أكد لها الطبيب أن بايرون فى حالة عقلية سليمة . قالت له : يمكن أن يكون سليماً عقلياً ولكن مجنون أخلاقياً

ولكن الزوجة المسكينة لم تتحمل أكثر من عام معه وهجرته إلى الأبد . وقفت طبقة النبلاء ضد بايرون بعدما أشيع عنه أنه ينحدر من عائلة قاتلة عريقة فى الإجرام والتوحش ، وأنه ليس له هدف إلا البحث عن اللذة المحرمة وعصيان القوانين الأخلاقية والدينية .

وعندما أصدر ملحمة «تشايلد هارولد» أصبح شاعراً مشهوراً ، يقول : بعدما نشرت هذه الملحمة صحوت ذات يوم فوجدت اسمي ملء الاسماع . وصور فى هذه الملحمة البطل الغارق فى الملذات ويحتقر الناس ولا يبالى بأفكارهم بل تائر وغاضب على القوانين والأعراف . ثم صوراً أخرى لنقد عنيف للعصر الذي يعيش فيه وكراهيته لمعتقدات الناس وأفكارهم . ورغم ذلك لم يسامحه الناس فهجر إنجلترا وذهب إلى سويسرا وإيطاليا ناقماً على وطنه ، وكتب مسرحية "مانفرد" ونظم قصيدته «دون جوان» . وأعجب بايرون بالقائد نابليون وحزن من أجله عندما هزم فى «واترلو» وكتب قصيدة غاضبة إلى البحر يقول فيها :

يا طيب عيش بين غاب موحش

أوفوق شط مقفر

وسحر موسيقى الهدير الصاخب

الناس خلاني

ولكن الطبيعة لى خليل أقرب

ولكم أفيق من الحياة

لاختلى بالكون فى دله

فيخفق بى القواد خفوقاً

يعيا البيان به فلا يطاوله

وأنا أتوء به

فما أقوى على كتمانته

وسافر بايرون إلى اليونان ليحارب معها ضد الأتراك ، ولكنه أثناء النضال والحرب أصابته حمى شديدة وتوفى عن ستة وثلاثين عاماً وقبل أن يموت قال : لقد وهبت اليونان حياتى . واهتمت به اليونان وتنكرت له إنجلترا ، وقد ظل بدون ضريح فى إنجلترا حتى بدأت حملة تبرعات لبناء قبر له فرغم آثامه إلا أنه شاعر مبدع وغريب .



شيللى

(١٧٩٢ - ١٨٢٢م)

شيللى قصيدة منشورة على كف الريح .. ورعشة الورق العاري تحت المطر.. وارتجافة النهر
الثائر .. وغضبة الأمواج الرافضة لضفافها وشطآنها .

عاش شيللى يرتعش من الظلم .. وتضئ الدمعات فى أحداقه إذا ضربته الأحقاد .. ويصرخ
متفجراً في مواجهة العبودية وانسحاق الفرد أمام قوى التعسف والقهر . فلا حيلة له سوى العزلة
تحت أجنحة الليل يرسم قمرًا من الياسمين وشمسًا حانية ونورًا دافئًا وقلبًا منكسرًا ، ولكنه
يحتضن الفقراء والمحزونين .

عشق شيللى الحرية ووهب ذاته للصحراء التي طوت أجنحتها وغابت تحت خطا الطغاة الذين
خضبوا وجه الحياة بالدم والعويل واليتم والسقوط .

وحين تملكته حدة الغضب والرفض لعصره أصدر كتابًا عنوانه : «ضرورة الإلحاد» عندما كان
طالبًا في الجامعة مما أدى إلى مصادرة الكتاب وطرده من الجامعة .

بحث شيللى عن ثقب فى هذه الجدران التي تحاصره لينفذ منه إلى العالم الذى تسكنه شهوة
تغييره . فلم يتلمس سوى دمعات التعاطف وخفقات الحب من فتاة اسمها "دهاريت ويستبروك" ،
ونام تحت ظل أهدابها يحلم بجزيرة تسكنها ملائكة وليس وحوش بشرية .

وكتب شيللى أجمل قصائد الحب لحبيبته «دهاريت» وتشاء الأقدار أن ترى هذه القصائد
مديرة مدرستها فتطردها وتلعنها لأنها تحب شاعراً مارقاً وفاسداً.

ولكن شيللى يقرر أن يتزوجها وينقذها من العذاب . ولم يستمر زواجهما طويلاً لأن شيللى
يرى العالم ألواناً من السحب والغيوم ويغيب فى حالات من الوجد والفكر العميق ولم تفهمه
فتاته ، وانفصلا .

عشق فتاة أخرى اسمها «مارى» وسافر معها فى رحلات إلى سويسرا ، وفى ليلة حزينة علم بانتحار زوجته «دهاريت» تاركة له أبناءها .. ولكن المحكمة رفضت أن ترد له الأبناء لسوء سلوكه.

غضب شيللى .. وشعر بالسخط وأطلق ذاته فى الرياح الباردة ووقف يغنى أمام البحر ويبكى وحدته وشروده وضياعه فى مجتمع تجمدت مشاعره وتحجرت أحاسيسه . وكتب «أغنية إلى الريح الغربية» :

يا رياح البحر العاصفة
يا نفسا ينبعث من كيان الخريف
أنت يا من تساق أمام وجودك الخفي
الأوراق الميتة كأشباح تولي هاربة من ساحر
صفراء وسوداء وشاحبة وحمراء محمومة
جموع روعها الرياء أنت
يا من تحملين البلور المجنحة فى عريتك
إلى مثواها المظلم الشاتي

وارتمى شيللى منهاراً فى أحضان فتاته ماري لا يملك إلا قصائده وثورته على واقعه ، وإيمانه العميق بأنه يستطيع أن يغير هذه الأشياء ويفجر الثورة فى الجمود والأفكار البالية التي مازالت تقنات رماد اللغة وتفاهة الحياة .

وفى ليلة عاصفة جلس فوق سطح المركب فى إحدى رحلاته وشرد بذهنه وغاب هناك فى أحلام نائية ، ووجوه تناديه والبحر ثائر أمامه وأنامله ترتعش فوق صفحة بيضاء ينقش قصيدة اسمها : «انتصار الحب» ..

وفجأة علت الأمواج وارتفعت وجرفت فى أحضانها ودفعته الريح إلى الأعماق وغرق بين الريح التى ظل يغني لها وبين البحر الذي بثه عذاباته وشكواه وطرح عليه سخطه وغضبه وحزنه ، يقول شيللى عن لحظة الإبداع الشعري :

الشعر سجل لأسعد اللحظات وأفضلها

والشعراء هم مشرعوا العالم غير المعترف بهم

ويظل شيللى نجماً مضيئاً فى سماء الأدب الرومانسي الإنجليزي ، وأحد الرواد الذين تعلمنا منهم كيف يرتعش القلب فى لحظات الحب وكيف يثور الفرد فى مواجهة الظلم والقهر .



لامارتين

(١٧٩٠ - ١٨٦٩م)

شاعر الرقة والأحاسيس الشفافة ونبضات الروح الخافقة بأنين الحب والهوى . شاعر رسم على كف القدر عيون حبيبته ووهب ذاته للريح والدمع والذكريات الحاملة .

ولذلك يعتبر ديوانه الرائع «التأملات الشعرية» الذي نشر عام ١٨٢٠ من أهم القصائد التي عبرت عن تلك الخصائص المفرطة في الوله والعذاب والحنين إلى حبيبة القلب التي ذابت مع الريح وشمس النهار الغارب ..

إنها تجربة حب حقيقية عاشها شاعر الرقة والحنين مع امرأة افترسها المرض ونهش قلبها وتوفيت بعد سنوات وخلفت الشاعر الحزين تضربه أمواج الحزن وتلهو به عواصف الحياة وحيداً.. يتيماً يزرف الدموع والحسرات .

وهذه المأساة هي التي جعلت من أشعاره لمسات حنونة ، تؤثر في قلوب الناس وتثير الشفقة والتعاطف ..

ولعل الظروف السياسية التي كانت تمر بها فرنسا ، حيث الحروب والشهداء والقتلى والحزن الذي تسلك إلى كل البيوت قد هبأ نفوس القراء إلى هذه القصائد الحزينة . فقد عانت فرنسا من حروب نابليون التي أحالت العالم إلى كتلة من الدمار والحرائق .

غرق لامارتين في عذابات الوحدة ..

وتلاشت أمانيه .. وتحطمت أحلامه .. وتمزقت خيوط الضوء التي تجسد له وجه الحبيبة ..

وكان يذهب كل يوم إلى البحيرة التي اعتاد أن يلتقي على ضفافها مع حبيبته ، ويجلس في صمت تنساب من عينيه الدموع ويتأمل العالم من خلف غمامة من الوله والفجيرة .

ويمضي آخر النهار منكسراً يجلس في غرفته منعزلاً عن كل ما في الحياة .

ويقول لامرتين :

- أنا أول من أنزل الشعر من جبل البرناس ليعزف على أوتار قلوب البشرية ..

ويقصد بذلك تحليله لتأثير قصائده على مشاعر الناس وإدماهم الغريب لهذه القصائد الحزينة واشتهرت هذه القصائد ، وهى :

البحيرة ، الوادى الصغير ، هذا المساء ، الوحدة ، ذكرى دعاء ، الشاعر المحتضر .

ومن أجمل قصائده الحزينة يقول :

إن القيثارة يبعث أجمل انغامه

حين ينكسر

وإن المصباح يرسل أبهى أضوائه

حين ينحمد

وإن البجعة ترفع طرفها إلى السماء

حين تسلم الروح

والإنسان وحده يرفع البصر

إلى الوراء

ليعد أيامه ويكيها

عشق لامرتين الطبيعة وتأثر بألوانها وسكنت فى داخله نسائم حانية وأعاصير ضارية وأمواج ساكنة وهادرة .

ولعل صور الطبيعة فى حالاتها قد طبع روحه وأحزانها بالكآبة والأسى العميق .

ومن أهم خصائص تجربة الحب فى حياته أنها مثالية وشفافة وإن كان يشوبها بعض التشاؤم والضجر . إلا أنه شاعر الرقة والحنين والبراءة أيضاً

وقد تكشف له هذه التجربة عن معنى الموت وصراع الأقدار ورحلة العدم والفناء والبحث عن مصير الإنسان .

وبعد رحيل حبيبته يقول عن ذلك :

أيها الأزل أيها العدم

أيها الماضي

يا هوة سحيقة ظلماء

ماذا تصنعين بالليالي

التي في جوفك تبتلعين

انطقي أنت رادة إلينا

لحظات النشوة العظمى

التي كانت لنا

وسلبتها ؟

ويظل لا مرتين شاردًا في الطبيعة بعد رحيل حبيبته متأملًا ما حوله في ذهول لا يكاد أن يصدق
ما حدث ويقول :

تخطمت كأس صمري وهي مترعة

وتصرمت حياتي زفرات في كل نفس

وعىً بإمساكها ما أرسلت من عبرات وحسرات

وقرع الموت بجناحه الناقوس

الباكي على مؤذنا بساعتي

الآخيرة

فليت شمري ..

أنوح . أم أغني ؟

ويخاطب البحيرة حين يأتي إليها بعد عام من رحيل الحبيبة ، ولا يدري كيف يواجه مصيره
وهو يعاني الحرمان والوحدة ، يقول :

انظري أيتها البحيرة

ما هو ذا العام قد كاد

يشارف تمامه

وأنا وحدي بجانب أمواجك

الحبيبة

أرتقب عبثاً عودة حبيبتى إليّ

جالساً فوق الصخرة التي

كنت ترينها جالسة عليها

لقد عرف لامرتين نساء كثيرات فى حياته فقد أحب لوس ابنة أحد جيران أسرته وهى فتاة جميلة حادة الخيال والذكاء وأمضى لامرتين معها أياماً جميلة يتجولان فى الحقول والريف الفرنسى ويعزف لها أجمل قصائد الحب بين سكون الطبيعة وأنغام القلب ويقول :

إن قلبي فى رخاء

ونفسي فى سكون

وإن ضوضاء العالم لتفنى

قبل أن تصل إلىّ

كالنغم البعيد ينخفض على طول المدى

ثم لا يقع منه فى الأذان

إلا صدى

وعشق لامرتين امرأة أخرى ابنة أحد صيادي الأسماك فى مدينة نابولي وكانت تعمل فى مصانع لفائف التبغ وتأثر بها إلى الحد الذى كتب رواية باسمها وقصائد كثيرة .

ولكن المرأة التى عشقها إلى حد الجنون هى جوليا التى ماتت وكان يلتقي معها على ضفاف البحيرة كل مساء وقد ألهمته أروع قصائد الحب ..

وقد فقد توازنه النفسى بعد رحيلها وأصابه الذهول وأخذ يركض فى الغابات متأوهاً يصرخ قائلاً :

أنت يا من ظهرت لي في صحراء

هذه الدنيا

يا ساكنة السماء

وعابرة هذه الأرض

يا من أضأت لي بشمع من الحب

هذا الليل القاسي

أظهرى بشخصك لعيني المشدومة

وقولي لي ما اسمك

وما وطنك وما حفظك

أأنت من سلالة أرضية

أم أنت نفحة قدسية .

وقد تولى لامرتين مراكز دبلوماسية في نابولي وفلورنسا وقام برحلات إلى المشرق ، زار اليونان وفلسطين ولبنان وانتخب عضواً في المجلس النيابي ، ونظراً إليه الشعب على أنه الأمل الجديد في الإصلاح والقضاء على السياسة العقيمة وقام بجولات سياسية ضد الحكومة داعياً إلى الحرية والإصلاح حتى عُيِّن وزيراً للخارجية وذاع اسمه في أنحاء فرنسا .

وفي انتخابات رئاسة الجمهورية رشح نفسه أمام لويس نابليون الذي فاز عليه فاتحه لامرتين إلى الأعمال التجارية وخسر معظم ثروته .

ولكن وقف نابليون بجواره وخصص له راتباً سنوياً

وأهم أعماله الشعرية :

التأملات الشعرية ١٨٢٠ ، التأملات الجديدة ١٨٢٣ ، موت سقراط ١٨٢٤ ، الإيقاعات الشعرية ١٨٣٠ ، جوسلان ١٨٣٦ ، سقوط ملاك ١٨٣٨ ، ورافايل ١٨٤٩ ، مسارات ١٨٥٠ ، دروس في الأدب ١٨٥٦



توماس كارليل

(١٧٩٥ - ١٨٨١ م)

أديب فلسفة القوة والبطولة الذي يردد دائماً : إن روح البطولة هي رائدة التاريخ وباعثة المدنية والحضارة والثائرة على جمود الحياة .

قرأ في الفكر الألماني وتأثر بكتابات الفيلسوف هيجل عن البطولة بأن وراء كل أمة أو شعب فكرة عملاقة تدفع الشعوب إلى التقدم في جميع شئون الحياة والمعرفة من فلسفة دين وفنون وأخلاق وإبداع . وتلك هي روح البطولة التي تسكن في ضمير الإنسان وتثير في داخله الرغبة في التفوق والطموح إلى الإنجازات العظيمة .

ولذلك أصدر كارليل كتاب «الأبطال وعبادة البطولة» وطور من فكرة هيجل ، وأكد أن الأنبياء والملوك والزعماء والكهان الذين شقوا طريقاً من النور في قلب الظلمات هم أبطال العصر ورواد المعرفة وملائكة الفضيلة ، وهم الذين يصوغون وجدان الأمة ويعثونها من الرقاد الطويل ويحققون المعالي والقيم الكبرى .

واستطاع كارليل أن يرسم صورة للبطولة قريبة من ذهن الناس ومنتزعة من البيئة والتاريخ فاختلقت فكرته عن هيجل الذي صورها مجردة وفوق احتمال البشر .

أما كارليل فإنه بحث في التاريخ والتراث وتحدث عن الفلاسفة والأنبياء والمبدعين وأصحاب الرسائل وأكد أن هؤلاء هم الأبطال الحقيقيون الذين يصارعون الفساد ويحاربون الظلام وينشرون النور ويدعون إلى الحب ويعبدون الخالق ويقدمون الجمال ويغمرون العالم بما يفيض في قلوبهم وأرواحهم من رهافة الحس وعذوبة الإحساس وأيضاً الرفض لليأس والدعوة إلى التغيير والبناء على مبادئ الحق والخير والسلام والجمال .

وفي كتابه «تاريخ الثورة الفرنسية» غضب كارليل على مبادئها وأساليبها ، واعتبرها «وحشية جموع نهش في لحمها الجوع وفرق قلبها الحقد والحرمان» وأنكر بطولة هذه الثورة وسخر من

شعبها الذي اندفع وراء شهواته فى فوضى عارمة خالية من الروح الدينية والقيم الروحية .
وأصدر كارليل كتاباً آخر عن الزعيم الإنجليزي كرومويل الذى اتخذ لنفسه لقب «حامى إنجلترا» وفشل فى تحويل الدولة العسكرية إلى مدنية وقد قاد الجيش البريطاني وحرص على إعدام الملك عام ١٦٤٩ وواجه الثورة الإيرلندية بذبح حامية دبلن التي تتألف من ٢٨٠٠ رجل .

ولا ندري كيف أصدر كارليل كتاباً عن هذا الزعيم واعتبره رمزاً للبطولة ؟ ولكن كارليل تغيرت أفكاره بعد الثورة الإيرلندية ودعا إلى البحث عن روح البطولة مرة أخرى بعيداً عن سياسة القمع والإرهاب .

ولتوماس كارليل مجموعة مؤلفات أخرى هي : "فلسفة الملابس" ، و«الأبطال» وعبر فى هذه الكتب عن غضبه الشديد لما يسود عصره من نزعات شريرة وتمجيد للعنف والثروة والجنس والمال وعبادة الشهوات وإهمال الجانب الروحي والإنساني فى الفرد ، يقول :

– أنتم تترقدون تحت ستار من الرفاهية الخادعة التي تخفي فقرًا فى الروح .

وقد ولد توماس كارليل فى إحدى قرى أسكتلندا فى رعاية أب يميل إلى التعسف والقسوة والتزمت الديني ، وقرر الأب لتوماس أن يدرس فى جامعة أدنبره ليصبح قساً ولكن توماس لم يكن راضياً عن ذلك ودرس اللغة الألمانية واتجه إلى الترجمة واتخذ من الأديب الألماني «جوته» رائداً للمثل والمبادئ الأخلاقية والقيم الأدبية . ويظل توماس كارليل نموذجاً للأديب والمؤرخ الذي طبع أثره على عصره وواكب الحركات السياسية البارزة ، ودعا إلى إصلاح الإنسان من الداخل والاهتمام بكيانه الروحي وطموحاته إلى المستقبل إلى أن يصبح أحد أبطال العصر .



جون كيتس

(١٧٩٥ - ١٨٢١م)

شاعر الأعماق الساكنة والتأمل في الطبيعة البريئة وانسياب غدرانها .. ورقرة أنهارها ..
وتدفق بحيراتها .. وشموخ أشجارها .. والسنابل الناعسة في وديانها .

جون كيتس يتعذب على أوتار الحنين .. منجرف إلى الماضي العريق وروعته وصور البطولة
في التاريخ .. وإجازات العظماء وصوت التمرد القادم من الأعماق السحيقة .

هذا عاشق لا يحيا في عصره وإنما منساق إلى تهويمات الذهن .. وشروذ العقل .. وعناق تلك
الأرض في أثوابها الخضراء وأعشابها الذهبية وعصافيرها المغردة . والنجم المتلألئ هناك في
الآفاق يحلم أن يلمسه ويثبه حنينه والكائنات الأليفة يتمنى أن يظل يراقبها كل يوم .

جون كيتس يشري وجدانا بالانفصال عن واقعنا والتوحد مع البطولة والعظمة في الماضي ثم
الارتداد إلى الواقع للامتزاج بالطبيعة في بساطتها وعطائها الكثيف .

ولذلك كان يخاف من إنجازات العلم والاكتشافات الحديثة التي تلتهم الجمال وتخطو على
أنغام الورود السابحة على البحيرات الساكنة .. أو تطفئ ضياءات النجم المتلألئ ولذلك يقول له:

أيها النجم المتلألئ ..

ليتني كنت ثابتاً مثلك

لا لأكون معلقاً في الليل عالياً

وحيداً في مجدي

أرغب بجنون سمرلية مفتوحة

كناسك الطبيعة الساهر الصبور

المياه الجارية وهي تمضي في عملها

وانساب كيتس في بحر الأساطير باحثاً عن لذة الجمال .. متذوقاً أحاسيس الحب .. هائماً في

الخيال ... مسافراً إلى الماضي البعيد يبعث من خلاله عطر الأصالة ورائحة شيء ما اندثر وخلف بقاياها في قاع التاريخ .

وإذا كان كيتس قد اشتاق لروعة وبطولة الماضي فإنه استشعر الخوف من الزمن المعاصر وفكر كثيراً في الموت والرحيل إذا اقترباً منه وشعر بالاضطراب النفسي وخشى أن يموت قبل أن يعبر عن أحاسيس الآخرين ويكشف لهم قدسية الماضي وأسرار الطبيعة ، يقول :

حينما يستولى على الخوف

من أن ينطفئ نور الحياة

قبل أن يسطر قلبي ما يجيش في صدري

وقبل أن تضم أكوام الكتب المخطوطة

بلور الفكر بعد نضجها

كما تضم الأزهار الغنية الحبوب

ظل التأمل في الحياة الأبدية وما بعد الموت سمات في قصائد جون كيتس ، فقد نشأ فقيراً لأب يعمل خادماً في إسطنبول .

وعلمته تجربة المعاناة أن يقاوم مأساته حتى درس الطب ، وإن كان يعاني دائماً من المرض الذي هدد حياته فقد دفعه هذا إلى الإقبال على الحياة والإعجاب بصور الماضي والأفكار الميتافيزيقية حتى أنه كتب قصيدة متأثراً فيها بالفردوس المفقود لجون ملتون .

وانتبه في قصائد أخرى إلى الارتقاء بالذات والتعبير عن أحلام الفروسية ، ورسم صور لامرأة بارعة الحسن يغني لها أناشيد الغرام ومعزوفات الحب على أوتار لحن هادئ ساكن .

ولذلك ارتبطت المرأة لديه بالسمو الروحي والطهر ، التحليق ويقول :

واظل يقظان أبداً في قلق حلو

وأنا ساكن .. ساكن

أنصت إلى أنفاسها الرقيقة

وكذلك أود أن أحيأ إلى الأبد

أو يغشاني الموت

وفي ليلة كان يتطلع إلى النجم المتلألئ في السماء اشتد عليه مرض السل .. وانتابته أزمة صحية ظل يشهق عدة مرات وسقط على المقعد مفارقاً الحياة ، وعيناه تتطلعان صوب نجم يتلألأ في السماء ولكن في غابة من الأحزان .



الفردى دي فيني

(١٧٩٧ - ١٨٦٣ م)

الفردى دي فيني شاعر القلب الجريح الضارب فى أشواك البراري باحثًا عن وردة الياسمين ..
شردت روحه عشقًا فى رحاب امرأة اسمها «إيفا» وتجسدت الحياة أمامه فى صور مضيئة من
قسمات وملامح هذه المرأة التي سكنت وجدانه .

فى قصائد هذا الشاعر الفرنسي نغمات حاملة مستوحاة من الطبيعة والظلال الجميلة والسماء
الزرقاء وشدو الأطيّار ، وبذلك ينتمي إلى المدرسة الرومانسية التي تعزف على حزن الذات وتنهل
من جمال الطبيعة ما يلهب مشاعرها ووجدانها .

ويقول الشاعر لحبيته إيفا

انظري للحقول والغابات	حرة طليقة كهذا البحر
حول تلك الجزائر المعتمات	ولتكن فى يديك طاقة زهر
تجدين الطبيعة الآن منك	فى انتظار رهيبه الإصغاء
والثرى مرسلاً على قلميك	من تعاشيبه سحاب الماء

وتتجلى فى الصورة الشعرية ظواهر فنية لدى الشاعر هي اتجاهه إلى تمجيد إحساسه بالألم
واتخاذ هذا العذاب ولذة الألم نوعًا من البطولة والتفرد والتميز .

ومن جهة أخرى تتتاب الشاعر حالات من التمزق الوجداني العنيف الذى يجعله يؤمن بأن
الحب هو جنة الإنسان فوق الأرض ونبع هذا الحب امرأة تضيف غمامات من الحنان وترقرق قسوة
الحياة ، ويتحول الوقت إلى موسيقى تهدد الأعصاب ولذلك يدعو الحبيبة إلى الرحيل فوق هذه
المدن والانطلاق فى الفضاءات الشاسعة والأزمنة التي بلا حدود ويقول :

فاهجرى المدن وارحلى لا يسمك ذل عيش فيهن غير طليق
ارحلى الآن لا ينل قـدمـيك دنس من غـبار هذا الطريق

ويتجه الشاعر إلى مملكة الشفافية حيث تتصوف روحه ويجد هناك علاقة بين وجه الحبيبة
البريء والتطلع إلى التطهر والاستشفاف فيقول لها :

أو تكن روحك السجينة عافت ذلك الخبز في الحياة طلابا
هو زاد الأسير في القيد باتت نفسه من موارد الحنف قابا

الشاعر ألفريد دي فيني يكمن إبداعه الحقيقي في كونه قلبًا جريحًا وروحًا شاردة ونفسًا ظامئة
إلى نور السماوات العالية .

يعزف بألم على نغمات الحزن والعشق والجراح ويشعر بأنه فارس جديد وبطل معاصر وأحد
نبلاء طعنة الموت الحادة .

وتزدحم الرموز في قصائده وقد يشويها بعض الغموض ، إلا أنه شاعر ساحر وموجع ومؤلم
ومحزن وقادر على أن يوقظ في أعماقنا قوافل الدمع والغربة والرحيل .

ولابد من الإشارة إلى أن هذه النصوص الشعرية قد ترجمها الشاعر على محمود طه في كتابه
«أرواح شاردة» .



بوشكين

(١٧٩٩ - ١٨٣٧م)

ألكسندر سرجيفتش بوشكين روح روسيا وتراثها العريق، وصوت الحرية الصاعد من أغوار التاريخ يغني للحب والحياة .

كانت بداية عصره انفتاحاً خصباً على الآداب العالمية وبحثاً في التراث القومي الروسي . وبظهور بوشكين يؤرخ النقاد لانهاء عصر آخر من الجمود والتخلف والركاكة والصنعة في الأدب .

إن دوره في النهضة الأدبية يشابه دور البارودي وأحمد شوقي ورفاعة الطهطاوى لأنه عبر عن صياغة جديدة للأدب الملتزم بأحلام الإنسان المقهور ومقاومة العنف والتسلط وقوى الطغيان .

عندما شعر القيصر بخطورة كتاباته قرر نفيه إلى الجنوب في القوقاز والقرم ... وهي البيئة التي تتنفس آثار الحضارة الإسلامية فتأثر بها وكتب قصائد منها : الأسير القوقازي ، ونافورة سراي .

تعلم اللغة العربية وما تزال بعض كتاباته بالعربية في أحد متاحف ليننجراد . وتألفت في ثقافته مزيجاً من الثقافات الأوروبية والشرقية فقد قرأ منذ طفولته المبكرة في الآداب المختلفة خلال دراسته في مدارس اليسيه حيث كتب الشعر وساهم في المجلات الأدبية والتقى بكبار شعراء روسيا .

وفي منفاه قرأ ليرون وشيلي وشكسبير ودانتي وسرفانتس ، واهتم بالتاريخ والحضارات ونشأتها حتى أصبح قادراً على وصف طبائع الشعوب الأخرى وأحلامهم ومشاعرهم الذاتية في العصور المختلفة فكتب أعمالاً روائية ومسرحية وشعرية منها : "الفارس الطماع" عن ألمانيا .. "الوليمة" عن أسكتلندا .. "انجيلو" عن إيطاليا .. "الضيف الحجري" عن أسبانيا .. و"كليوباترا" عن مصر... و"موزاري وساليري" عن النمسا .

استوعب هذه الثقافات ومزجها بروح روسيا القومية فإذا هي إبداعات تتعاطف مع الشعوب المناضلة وتوجه الإدانة إلى الخونة الماكربين وتبشر بعصر اليقظة والبعث الروحي في الأدب والتراث القديم .

اكتسب بوشكين قدرة رائعة على النفاذ داخل الشخص وصراعها بين الوهم والحلم والتوقف عند المشاعر الدرامية الموحية بالأجواء النفسية التي تضطرب فيها شتى العواطف من حنين وغربة وعشق وظهر ذلك في أعماله : دوبروفسكي ، ملكة البستونى ، ابنة الكابتن ، بريس جودونوف ، أوجين أنجين وهى رواية شعرية يقال أنها من أروع مؤلفاته وفيها تصوير لشخصية أوجين وهو شاب تشرب الثقافة الفرنسية ، يشعر بالضجر والقنوط فى الحياة ويذهب إلى الريف ويتقاتل مع صديق له من أجل فتاة ويتركها ليعود مرة أخرى ليعرف أنها تزوجت ولا يمكنها أن تبادله الحب لأنها لا تحب أن تخون زوجها ، والجميل فى هذه الرواية تقديسه لعواطف الشخص والأفكار النبيلة والقيم العليا وإدائته للطبقات التى تدعى العلم والمعرفة وتعيش فى سلوك يناقض أفكارها .

قال الناقد بيلينسكى عن بوشكين :

إن بوشكين هو أول شاعر فنان فى روسيا .. هو سر الشعر الروسى على الإطلاق . وتحت تمثال فى موسكو للشاعر بوشكين كُتبت هذه العبارات من قصيدة له اسمها «الطلسم» يقول فيها:

هناك حيث البحر .. يغسل دائماً الصخور الجرداء ..

هناك حيث القمر .. يسطع دائماً فى كبد السماء ..

هناك حيث ابن القوقاز ..

يقضى الأيام مع غادته الهيفاء ..

هناك قدمت لى الساحرة

غلاًفاً فيه طلسم .. قالت مداعبة :

احتفظ بطلسمي .. فيه قوة خفية

إننى أعطيك إياه من أجل الحب فقط ..

إنه لن ينفعك فى أوقات الأخطار والأحزان

إنه لن ينقذ رأسك فى فترات العواصف والأعاصير

إنه لن يمنحك ثروة الشرق

ولن ينقلك من بلاد الغرب إلى أصدفائك ووطنك فى الشمال

ولكن إذا ما العيون الخبيثة سلبت منك لبك

وإذا ما الأقواء فى ظلام الليل .. همت بتقيلك

وإذا ما الحيات الجديدة أدمت منك قلبك

عندها عليك بطلسمي .. فهو ينفعك ويحفظك ..

ومن الغريب أن تنتهى حياة هذا الشاعر الكبير بمأساة ، فقد دبر القيصر مؤامرة ضد بوشكين مع أحد الضباط الفرنسيين فى القصر حيث أوهمه بأن الضابط يغازل زوجته .. فتقدم الضابط الفرنسي جورج دانتس لمبارزة بوشكين انتهت بسقوط بوشكين غريقاً فى دماثة إثر طعنة حادة فى قلبه .



بلزاك

(١٧٩٩ - ١٨٥٠م)

الأديب العالمى بلزاك درس الحقوق وقرأ فى الأدب وكتب أول مسرحية هي «كرومويل» وحاول أن يساهم فى إنشاء دار نشر ومشاريع اقتصادية ولكنه خسر أموالاً كثيرة ، وعاد إلى الأدب ليمدح أجمل الروايات الاجتماعية فأصدر أول رواية هي «نوار الملك» وآخر أعماله مجموعة روايات أطلق عليها «المهزلة الإنسانية» . عاش حياة الفقر والتشرد والضياع وشاهد الأحياء والبيئات التى تعاني من الفقر والجوع والمرض واختلط أيضاً بالطبقات الأرستقراطية واكتشف تفاهة أفكارها ورذائلها وخطاياها ، وعرف نساء كثيرات وعشقهن جميعاً وصرن مصدر الهاماً له .

ولكن خاتنه زوجته هانسكا المرأة التى تزوجها وعلى أثر ذلك سقط صريعاً بالذبحه الصدرية . ولم تزرف عليه دمعة امرأة واحدة .

الأديب الفرنسى بلزاك رائد الفن الروائى والمبدع الكبير الذى أصبحت له مدرسة فى الأدب مضى على هداها أدباء ونجوم فى الأدب مازلوا يكتبون ويبدعون حتى الآن . ولعل نجيب محفوظ أحد هؤلاء الأدباء الكبار الذين ينتمون إلى مدرسة بلزاك .

فى قمة شهرة بلزاك ، والصحافة تتابع أعماله ووكالات الأنباء تنشر معه تحقيقات والنقاد يكتبون عن أدبه ، والجمهور المثقف يسعى إلى مجلسه يردد الأديب قائلاً :

'أريد أن أكون دائماً مشهوراً وأريد كذلك أن أكون معشوقاً' .

وإذا كانت الشهرة هى بعض طموحاته فان هذا لا يشكل عقبة فى حياة الأديب أما أن يصبح معشوقاً فهذا ما لم يفهمه البعض عن بلزاك .

ويقول فى ذلك :

- علاقاتى النسائية دائماً نقية و بريئة . وقد عرفت فى حياتى نساء جميلات رائعات كن إلهامى ودافعى إلى الكتابة .

وحين يبادره أحد النقاد بهذا السؤال :

- ولكنك يا سيد بلزاك متزوج من مدام هانسكا وهى زوجة مخلصمة تحبك وأنت تحبها .
ويبتسم السيد بلزاك ويقول :

- هناك فرق كبير بين الزوجة والمرأة الملهمة .. وأعتقد أن الأولى هى الواقع والمجتمع والتقاليد ،
والثانية هى الرمز والحلم والخيال والإبداع المتجدد والاحتراق من أجل إضاءة هذا العالم .

إن سر عشق بلزاك للنساء يكمن فى طفولته الشقية المعذبة فلم يكن هناك توافق بين أمه وأبيه
فقد كانت تصغره باثنين وثلاثين عاماً . مما أدى إلى نفور الأم من الأب واضطراب أعصابها
وغضبها وشجارها الدائم . كذلك أبوه لم يكن يبالي بالأسرة أو يهتم بشيء ويغيب عن البيت
أياماً كثيرة ولا يفكر فى زوجه أو ابنه ولم يجد بلزاك فى هذه الأسرة منابع الحنان والحب فأصابه
الشروء والعزلة والصمت وأحلام اليقظة . ولعل هذا ما دفع بلزاك يوماً أن يصرخ فى وجه أمه :

- أنت تكرهينى يا أمى وربما قبل مولدى .

وتنظر إليه أمه فى غضب ولا تبالي بكلامه . ويمضي بلزاك هائماً على وجهه يبحث عن قطرة
حنان فى هذا الليل الكئيب .

ولهذا اتجه إلى النساء وأحب فى المرأة دقائق الحنان والتعاطف . وأول امرأة أحبها هى السيدة
دو بيرني وكانت تكبره باثنين وعشرين عاماً وذهب إليها ليخبرها بعزمه على الانتحار ولكنها
احتوته بين ذراعيها وقالت له :

- أنت أديب عبقري وهذه العبقرية سوف تكتب لك الخلود والشهرة .

وعدل عن فكرة الانتحار .

ويقول بلزاك :

- إن المرأة ذات الأربعين تعطيك كل شيء أما ذات العشرين فلا تعطيك شيئاً على الإطلاق .

ولا عجب أن معظم بطلات قصص بلزاك نساء فوق الثلاثين والأربعين ، وهذا ما خلق حوله
معجبات كثيرات وعاشقات .

ومن القصص التى تروى عن حياة بلزاك السرية أنه كان يتلقى رسائل من النساء بلغت حوالى
عشرين ألف رسالة أثناء حياته . وفى كل رسالة حرقه قلب .. وارتجافة روح وارتعاشة خصلة

شعر .. ورقة نسائم عطر فواح .

وقد أحبت السيدة دلفين دي جيرار دان بلزاك وأرسلت إليه أجمل كلمات الحب والغرام ،
وحين تزوج قالت له :

انكسر القلب .. وهرب عصفور الحداثق وضاع فى دخان الحرائق .

وغضبت مدام دلفين وقررت أن تؤلف كتاباً يضم قصتها مع الأديب بلزاك ورسائلها ورسائله .
وذات يوم فوجئ بلزاك بكتاب اسمه «عصا السيد بلزاك» من تأليف مدام دلفين .

وغضب بلزاك هو الآخر على هذا الكتاب وأعلن أنه لا يمت له بصلة وكل ما جاء فيه نوع من
الخيال والافتراء .

ولكن الناقد الشهير سانت بيّف قال عن هذا الكتاب :

- إن بلزاك عرف عدداً كبيراً من النساء ولو اتجهت كل امرأة إلى تأليف كتاب عنه لامتلات
فرنسا بأدبيات وكاتبات يفوقن عدد الرجال .

وفى الحقيقة لم تكن علاقة بلزاك بالنساء قائمة على رغبات أو نزوات هوائية ، وإنما استطاع
أن يستشف من حياتهن أروع القصص الإنسانية ، فالمرأة لديه نص يحاول قراءته وبحراً عميق
يسبح وراء أسراره .

وبهذه الطريقة كتب قصصاً حققت نجاحاً كبيراً وأرست مفهوم الواقعية الذى يعتبر أحد
رواده، ومن هذه القصص التى جاءته فى إحدى الرسائل وتحولت إلى قصة فنية هى قصة
«العانس» فقد استوحاها من خطاب فتاتين غير متزوجتين .

وقد اعتادت كل امرأة أو فتاة أن تبوح بعالمها الباطني إليه فى رسائلها ، وتعبر عن خلجات
نفسها فى صراحة وجرأة ودون خوف من شيء .

ومن خلال هذا البوح الحميم بدأ ينسج خيوط القصص النسائية ويضيف إليها بعض الملامح
الفنية وفى النهاية تصبح القصة متكاملة العناصر متناسقة وقادرة على إيقاظ حواس المتلقى والتأثير
فيه .

وفى أحد الأيام بعد أن صدرت قصته «الأب جوريو» تلقى رسالة من إحدى النساء تقول له :

عزيزى السيد بلزاك ...

بعدما قرأت قصة «الأب جوريو» أصبحت على استعداد تام لتغيير لون شعرى من اللون
الأسود إلى الأشقر . فما رأيك ؟

وابتسم السيد بلزك لتلك الفكرة وتذكر أنه قال هذه العبارة فى القصة ؟

- إن أقل ملاطفة غير مقصودة كفيلة أن تجعل أى شقراء فى متناول أى رجل .

وفى رسالة من امرأة أخرى تؤكد له أنه لابد قد خُذع وتعذب من النساء الشقروات ، ويبتسم السيد بلزك لتلك الفكرة وتذكر أنه قال هذه العبارة فى القصة !

ويبتسم السيد بلزك . ويبدأ فى قراءة رسالة أخرى للبحث عن قصة جديدة .

ويقص بلزك عن عشيقاته ويقول :

- أول امرأة أحببتها هى : دوبرني ابنة أحد عازفي القيثارة لدى الملكة ماري أنطوانيت .. أحببت فيها رقتها وحبها للموسيقى والشعر والغناء رغم أنها تكبرني باثنين وعشرين عاماً .. وقد أنقذتني من الانتحار فى يوم ما . وأعتقد أنها تركت آثاراً راسخة فى أعماقي وأدبي وحين ماتت عام ١٨٣٦ حزنت على رحيلها ولولاها ما حققت نجاحاً فى عالم الأدب .

- وفى ليلة شاهدت زلما توربخان صديقة أختي ، وأحببت هذه المرأة لما تتميز به من سحر وجمال وتمرد على الواقع ، ولا شك أن ملامحها يمكن العثور عليها فى كثير من قصصي ورواياتي . هكذا يحاول بلزك أن يكشف الستار عن النساء اللاتي عشقهن وخلفن أثراً فى كتاباته وأعماله الإبداعية الكثيرة وفى لحظات تألقه وشهرته الكبيرة عشق الدوقة دار بانتسي وأسهم معها فى كتابة مذكراتها الشخصية ، عن حياتها ورحلتها إلى المدن والبلاد والشخصيات التي عاشت فى حياتها . وعندما كان بلزك يرتاد المجالس الأدبية وصالونات الأدب والثقافة والفن التشكيلي حيث صالون الأميرة باجراسيون وصالون الكونتسه ميرلين وصالون البارون جيرار وكاميه .

فى هذه المجالس والصالونات الأدبية عشق السيدة أولمب يليسيه ، وعاش معها أياماً جميلة وكتب أجمل رواياته وأروعها فى تلك الفترة .

ثم عشق امرأة أخرى هى المركيزة دو كاسترى وسافر معها إلى جنيف ثم أحب الكونتسه إيفلين هانسكا وغيرهن من العشيقات ، فما دلالة ذلك ؟

إن بلزك يؤمن بأن العبقرى أو المبدع يحتاج دائماً إلى إلهام ودفء عاطفي فياض يمنحه القدرة على الانسجام مع الواقع واكتشاف خباياه والتعبير عن وجدانه وقضاياها ، والمرأة لدى بلزك

هى الجزيرة الخضراء التى يرتاح عليها من عناء الحياة وشقائها .

وهكذا أبدع .

وهكذا عاش بلزك مع عشيقاته .

من امرأة إلى أخرى .

ومن حب إلى حب

ومن قصة إلى رواية .

حتى إذا قلبت صفحات كتب بلزاك شعرت أنها من أنفاس هذه النساء ومن دمائهن واحتراقهن فى العشق .

ولكن رغم ذلك رحل بطريقة مأساوية فقد تزوج من امرأة بولندية أرستقراطية هى السيدة هانسكا التى كانت تكتب إليه وتراسله معجبة بأدبه وفنه ، وحين تزوجها بلزاك اكتشف أنها امرأة تافهة لعوب لا تقيم اعتباراً للأخلاق أو الفضيلة ، فقد كانت تخدعه مع عاشقها .

ولم يمض على زواجه أكثر من شهر واحد حتى اكتشف الحقيقة .

لقد عاد يوماً إلى بيته ليجد زوجته هانسكا فى غرفة النوم مع أحد عشاقها فلم يستطع الكلام . وتجمدت الحياة فى عروقه ، وتحجرت الحروف على شفتيه ، وحملت عيناه فى بشاعة الخيانة . وسقط على الأرض بلا حراك ، وأصيب بالذبحة الصدرية ولم يقو على الكلام .

حتى كانت ليلة من ليالى الربيع وكان فى زيارته الأديب الكبير فكتور هوجو فاضت روحه وهو يبتسم فى أسى للحياة والورد المثل عليه من النافذة ، والشمس التى انكسرت أضواءها على فراشه ورحل بلزاك الذى شاهد الحياة مجرد ملهة إنسانية حاول أن يدعو فيها إلى الخير والحب ورفض الحروب والفساد والمظاهر الكاذبة والأحقاد والتفاهات والذائل وأمراض المجتمع المعاصر . واقترب من وجدان الشعب هؤلاء الفقراء المكافحين بشرف ونزاهة .

ورحل بلزاك .

ولم تودعه امرأة واحدة .

ولم تحضر جنازته امرأة واحدة

ولم تبكيه بعد رحيله امرأة واحدة ، رغم ما كان يتمتع به من شهرة فى الحب والأدب والنساء...!!

ومن مؤلفات بلزاك : كرومويل ١٨١٥ ، الروايات السوداء ١٨١٩ ، ثوار الملك ١٨٢٠ المرأة الثلاثينية ، طبيب الأرياف ، أوجينى غراندة ١٨٣٣ ، الأب جوريو ١٨٣٤ ، البحث عن المطلقة ١٨٣٤ ، زنبقة الوادى ، الأوهام الضائعة ١٨٣٧ الأقارب الفقراء ١٨٤٦ ، المهزلة الإنسانية ١٨٤٨ .



إدوارد مانيه

(١٨٠١ - ١٨٨٣ م)

هذا الفنان الذي مازالت لوحاته المعلقة على كل جدار وفي كل متحف في العالم تشهد بنبوغه وعبقريته . نعيش تجربة هذا الفنان ونخلق معه بين الألم والشجن والتعاطف والأحزان . فالآلام العظيمة تخلق فنًا عظيمًا خالداً .

من هو هذا الفنان الرقيق الذي شغلته الحياة العادية وتعمق في أحوال الناس وفي أفكارهم ومشاعرهم وراح يصور ذلك في لوحاته التي تعكس الحياة ، الحياة بكل ما فيها من شجن وسعادة؟ . من هو هذا الفنان الذي تحدى كل الصعاب التي اعترضت طريق فنه وإبداعه فقد وقف الأكاديميون في وجهه (مانيه) موقف القديم والتقليدي في مواجهة الجديد والمحدث ، ورغم ذلك كانت بداية المعركة الحقيقة التي خاضها الفنان بروح جسورة تعشق الحياة والناس والهموم اليومية.

ينتمي (إدوارد مانيه) لعائلة فرنسية تميزت بالثقافة فقد كان والده (أوجست مانيه) موظفًا في وزارة العدل وأمه تنحدر من أب كان يشغل منصبًا دبلوماسيًا وله شهرة كبيرة .

كان والده يحلم أن يرى ابنه رجل قانون مثله ولكن (مانيه) عشق الفن ورفض دراسة القانون والتحق بالكلية البحرية كي يرضي والده ولذلك لم يوفق في هذه الكلية فالتجّه إلى الرسم ، وقد اقتنع والده بمدى رغبته الشديدة في أن يصبح رسامًا فالتجّه مانيه إلى أحد مراسم كبار الفنانين وهو (توماس كوتور) وظل يعمل مساعدًا له لمدة طويلة .

مضى الفنان (مانيه) في طريق الفن يدرس لوحات كبار الرسامين في كل مكان وفي كل بلد. وزار كبار المتاحف التي تضم أجمل القطع الفنية مثل متحف (اللوفر) في فرنسا ، وبدأ في تشكيل بعض لوحاته الأولى وقدمها لتعرض في المعارض التي تقام للفنانين ، وقد كان هناك في ذلك الوقت صالون فني يرى لوحات الفنانين ويبدى رأيه في ذلك ، وقد اعترض كبار الفنانين في هذا

الصالون الفني على فن مانيه بأنه متمرد قد خرج على الأصول والقواعد الفنية المتوارثة ووقف أمامه هؤلاء يصفون لوحاته بأنها لا تنتمي إلى الفن إطلاقاً .

وظل الفنان (مانيه) شغوفاً بهموم الإنسان مغرمًا بالحياة الطبيعية دون زيف أو افتعال ، بل كانت التلقائية هي السمة لكل أعماله حيث عايش التجربة الفنية بذات مفتوحة على العالم وروح تهوى الجمال وحرائق الألوان فجاءت لوحاته تتميز بالبساطة فأنت تشاهد بعض الزهور أو امرأة تشرب أو طائرًا يحلق فوق الأشجار.. تستمد من الطبيعة كيائها ، وظلت لوحاته تثير الرفض حتى حصل على جائزة عام ١٨٨١ فقامت ثورة احتجاج ضده من هؤلاء رواد الصالون الفني .

لم يتأثر الفنان (مانيه) بكل ذلك وشعر أن لوحاته الجديدة تقاوم الأشكال التقليدية القديمة وقد وقف معه صديقه المفكر الشهير (إميل زولا) حتى استطاع فن (مانيه) التأثيرى أن يؤسس مدرسة في الفن التشكيلي هي المدرسة الانطباعية .

وأصبح مانيه رائد المدرسة الانطباعية ، تلك الحركة التي انتشرت في أواخر القرن التاسع عشر، لكل الفنون ولكنها ظهرت أولاً في التصوير ثم الأدب ثم الموسيقى والغرض من هذه المدرسة التي ظهرت أول ما ظهرت في فرنسا أن تشور ضد نوااميس المذهب الطبيعي من ناحية والرمزي من ناحية أخرى .

وتعتمد الانطباعية على التقاط ما هو متغير وسريع الزوال ، ويكاد لا يلمس من تأثيرات العالم الخارجي على مشاعر النفس وحساسيتها والتأويل الفلسفي لذلك . إن الانطباعية محاولة لمحو التفرقة بين الذات والموضوع ، فكل ما يهتم به هذا المذهب هو التعبير عن مدركات الحس مستقلة عن ملكة الذاكرة وملكة التفكير عند الإنسان من صور العالم الخارجي .

وقدم مانيه أول معرض انطباعي عام ١٨٧٤ ، ثم توالى المعارض إلى الحد الذي أدهش الفنانين فصدر أمر من الحكومة الفرنسية بفتح متحف اللوفر ليضم أعمال مانيه وتحتل مكانها المناسب مع العباقرة والفنانين .

ومن أدهم لوحات مانيه : «حفلة موسيقية في حدائق توليريه» و«نزهة عن العيش» و«أوليمبيا» و«الراقصات» ، «الأسبان» و«مصارع الثيران» و«مناظر بحرية» .

لقد أحدث مانيه ثورة في رسوماته من حيث استخدامه للألوان والرمز الذي تثيره في الذات ، والاتجاه إلى صبر الحياة اليومية وتجوئها إلى خطوط لونية من عذابات الإنسان ومعاناته.

إنه بحق فنان اقترب من هموم الإنسان . فقد تحولت المشاهدات العادية فى الحياة إلى لوحات جميلة رائعة .

ولفن مانيه تأثير كبير على بعض زملائه الفنانين المعاصرين له ومن جاء من بعده . وقد كتب عنه صديقه إميل زولا بعض الدراسات النقدية يحلل رسوماته ويشرح بتلك الموهبة والعبقرية الفذة.

ومن كلماته عنه : "إن مانيه قد أصبح له مكان داخل متحف اللوفر ، فإذا كنتم تسخرون منه فسوف يأتي أبنائنا ويلتفون حوله بزهو وإعجاب كبير" وقد قال ذلك إميل زولا حين كان الصالون الفني يرفض أعمال مانيه وصرخات الاحتجاج تعلو ضد رسوماته .

وقد تأثر مانيه بالفن الياباني فهناك لوحة له تظهر فيها سيدة تتباهى بالروح اليابانية . وقد تأثر أيضاً بالفنان (جويا) و«فيلا سكينز» وبعض رواد الفن العالميين . وإلى جانب الرسم كان يعشق الموسيقى والشعر والأدب ومن أصدقائه كان بودلير وملازميه وإميل زولا وغيرهم

ومن الفنانين الذين تأثروا بأعمال مانيه نجد الفنان العالمي فان جوخ يعترف بأنه استمد بعض أفكار لوحاته من تصوير مانيه لزهرة (الفاوانيا) وهى الزهرة التى تختال فى الهواء الطلق . وكذلك يقول الفنان جوجان بأنه عند رسم لوحاته عن (عاريات تاهيتى) قد تأثر بلوحة مانيه «أوليمبيا» .

ويرى النقاد أن أعمال بيكاسو أيضاً تحمل بعض تأثيرات مانيه .

ورحل مانيه عام ١٨٨٣ بعد أن حول عصره وزمنه إلى مرحلة أخرى من الفن الانطباعي وأسس مدرسة مازالت تدين له بالريادة فى هذا المجال .



فيكتور هوجو

(١٨٠٢ - ١٨٨٥ م)

شاعر رقيق أبداع صوراً رنانة في القلب .. وأصواتاً يتجسد على أوتارها نغمة الحب والحياة
وأصداء الألم، هوجو شاعر تتعذب معه .. وتدمع عيناك حين تشعر بوحدة البؤساء .. وتمزق
التعساء .. وانكسار النفس تحت وطأة الحرمان والحنين والغربة .

واشتهر هوجو برواية «البؤساء» التي انحاز فيها إلى الفقراء والمعدمين وتعاطف مع حياتهم
الكئيبة ودافع عن الظلم والاضطهاد الواقع عليهم دون ذنب اقترفوه، وعبر أيضاً عن نضاله من
أجل حرية الوطن والإنسان. قرأ كثيراً في طفولته وعشق الشعر وتألفت موهبته التي راعاها
بالطلاع والبحث ومتابعة الآداب العالمية والشرقية.

ومما ساهم في تكوينه النفسي والأخلاقي دراسته في إحدى مدارس الرهبان، حيث تلقى
تعاليم دينية فجرت في أحاسيسه القيم الروحية والتأثر بالآخرين والإشفاق على المحرومين
والضائعين ، وظل يحلم بعالم يخلو من البؤس والمرض والفقر .

واقترب هوجو من أبناء الأرض ولمس واقعهم المرير ونضالهم مع الفقر وضد العبودية
ومواجهة طبقة النبلاء الأثرياء . وأدرك هوجو أن هناك خللاً في هذه الأنظمة السياسية
والاجتماعية .

وفي إحدى قصائده يصف الصياد الفقير قائلاً :

الليل مرخى السدول

والكوخ ظاهر الإملاق

ولكنه محكم الإغلاق

كان المسكن يغشاه الظلام

ولكن نحس شيئاً فيه يضيء

خلال هذه العتمة

على حائط علق الصياد شبابه

وفى أحد الأركان بالداخل

تلمح بعض الأواني الحقيرة

على صندوق من الخبز اليابس

أما روايته «البؤساء» فهي من أروع الآداب الكلاسيكية حيث يعبر عن المظلومين والمنسحقين تحت ذل وقهر الأنظمة والمستعبدين الخاضعين للأثرياء والطبقات الأرستقراطية وتبرز شخصية البطل جان فالجان الذى يدفعه الجوع إلى السرقة ويحاكم ولكنه يهرب من السجن ويشق طريقاً شريفاً مدافعاً عن الفقراء والمساكين .

ويرتبط موقف البطل بنضال الشعب الفرنسي ضد طبقة النبلاء ، ويصبح الصراع مشحوناً بالعواطف الجياشة والأفكار الثورية والأحلام العظيمة .

وقد كتب هوجو مجموعة من الآثار الشعرية والقصصية التى توجته زعيماً للمدرسة الرومانسية حيث أحاسيس القلق والحزن والتمزق من أجل المعذبين والتشوق الدائم إلى الحلم والخيال والهروب إلى المدن القاضلة .

وكذلك كان تبرز فى أدبه خصائص الرومانسية فى الدفاع عن الإنسان المغلوب على أمره الذى يتوق إلى صرخات العدل والحرية .

وكذلك عشق هوجو للطبيعة أحد العناصر التى شكلت رومانسيته العذبة حيث يجد فى الطبيعة صدى لدموعه وآلامه يقول :

أيتها الطبيعة للجلوة فى

هذا الخلاء الجميل

هل تظلمين حين أرقد أنا

وهي تحت صفائح القبر

جاملة أمام موتنا

وموت حبنا

توالين حفلاتك وأعيادك

وتواصلين إنشادك

ويسماتك

ويؤمن هوجو بأن الطبيعة هبة من الله للإنسان ليعرف ذاته وخصائصه الإنسانية وجماليات
هذا الكون ، يقول :

لعمرك ما هذه المروج

والعيون والغابات والسموات

والبحيرات والسهول إلا هبة

يعيرنا الله إياها لحظة من الزمن

لتضع فيها قلوبنا وأحلامنا

ثم يستردها .

وسافر هوجو إلى أسبانيا واليونان وبلاد أخرى كثيرة ، وقرأ عن حضارة الشرق وخاصة مصر
وتركيا وكتب ديوانه «شرقيات» عن سحر الشرق وسمات العمارة الإسلامية وقصور ألف ليلة
وليلة والترف الذي يعيش فيه السلاطين .

وعندما زار أسبانيا أذهلته الحياة هناك وبقايا الآثار الإسلامية فقال :

ليس هناك مدينة

تتنافس بلا جنون

مع غرناطة الجميلة

وتتازعها في تفاحة الجمال

أو تستطيع أن تبرز سحرها الشرقي

تحت سماء أكثر بهجة من سماء غرناطة

كما وصف مصر والأهرامات ونهر النيل والصحراء والآثار الفرعونية ، وأكد تعاطفه مع شعوب الشرق وكفاحها ضد الاستعمار وحبها للتقاليد واحترامها للمرأة .

ومن أهم أعماله الأدبية :

هرنانى ١٨٣٠ ، نوتردام دوباري ١٨٣١ ، أوراق الخريف ١٨٣١ ، أناشيد الغسق ١٨٣٥ ، الأشعة والظلال ١٨٤٠ ، العقاب ١٨٥٣ . التأملات ١٨٥٦ ، أسطورة العصور ١٨٦٢ ، عمال البحر ١٨٦٣ ، شقيقات ١٨٦٥ .

عشق هوجو امرأة اسمها : جوليت دوري ، وكتب لها مجموعة كثيرة من الرسائل قامت بحرقها فى لحظات الغضب والحزن الشديد لفراقه لها .

وعندما علم هوجو بذلك قال لها :

- لقد كانت جماع قلبي وخلاصة كل ما كتب بصدق وأعماق الإحساس ، لقد كانت تمثل أثرك على أعماق ذاتي والوشم الغائر الذى حفرت حياتك فى مجرى حياتي .

لقد عاش هوجو قصة حب عنيفة استمرت حوالى ربع قرن من الزمان ، يكتب لها ويقول :

- كم أود أن يظل تأثير حياتك على حياتي إلى الأبد دون زوال . وكم أتمنى أن يدوم وأن يكشف عنه ذات يوم عندما لن يتبقى منا كلام إلا حفنة تراب .

- أريد أن تعرف الدنيا أنني أحبيتك وأحترمتك وقبلت قدميك ، وإن قلبي قد امتلأ بإعجاب بلغ حد عبادتك .

عشق هوجو جوليت دوري وأحبها حباً عميقاً وسجل بعض كلماته إليها فى رواياته مثل البؤساء فى زواج كوزيت وماريوس حيث يقول :

حييتنى بالأمس بلغ حبنا عمر

مراهق جميل ١٤ عاماً

استقيظت هذه الليلة وأنا أفكر

فى سعادتنا الغامرة التى أنملتنا

طوال السنوات الماضية .

ورغم أن هوجو قد بلغ السبعين من عمره إلا أنه عاش تجربة الحب وحاول من خلالها البحث

عن دور المرأة فى الحياة وأثرها فى تطور المشاعر ونماء المعرفة لدى العاشق الكبير .
وكشفت هذه الرسائل عن براعة هوجو الشاعر والصور البلاغية والخيالية الرائعة التى تثري
الروح وتسجل أجمل العواطف الجياشة المرتبطة بالمواقف والدلالات الإنسانية .
تلمح فى رسائل هوجو أحاسيس تتسامى عن الواقع وترقى إلى التصوف أحياناً فى أسلوب
أدبي رائع أضاف إلى النثر الشعري قيمة كبيرة .
ومن هذه النماذج الصوفية ما يقوله :

فليربط الله بين سنوات العمر فى رقم

وليقسم هذا الربط شطرين متعادلين

بحيث نستطيع معاً

أن نلفظ آخر أنفاس حياتنا على وجه

الأرض

ونلقى أول نظراتنا على السماء

وكان هوجو يرى فى حبه هذا قوة أخرى تواجه قوة التلاشى أو الاضمحلال ، فقد خشى من
الموت والشيخوخة وانهيار صحته وضياعه فى دوامة الأحزان ومعايشة آلام الفقراء . فكان الحب
تجربة للبعث والإحياء للروح الظامئة إلى عالم النور والبقاء .
ويكتب إلى حبيبته قائلاً :

كم أنت على حق ..

ما من لثغة أو انقطاع ينبض أن يعوقنا

لتكن أيامنا أعياداً متصلة

وسعادة متلاحمة قوامها الألفة المعتادة

والمحبة لكلينا .

لنحكم رباط المحبة حتى لا يجد الموت سبيلاً

إلينا

ولتغيب أستار فراغات الحياة المتواصلة

تحت عبارة تواصلنا التي نسعد بنسجها

كلانا

وهذه الرسائل التي كتبها هوجو إلى جولييت دوري ساهمت في إيجاد وسيلة للتفاهم بين إبداع هوجو كشاعر وأديب ومسئوليته نحو العالم الذي يكتب من أجله .

ونحن نعلم أن أدب هوجو هو الأدب الإنساني الذي ينشد خلاص الإنسان من الفقر والمحن والاستبداد وعذاب الهموم اليومية .

ولا يمكن لهذا الأديب والشاعر الرومانسي الرقيق أن يكتب عن لحظات الحب والأمل والنهار المشرق دون أن يتلمس له طريقاً في هذا النور المنساب .

فالحب هنا طاقة تغيير وطاقة إبداع وأسطورة خيالية تطوف بالشاعر والأديب هوجو إلى مستويات عليا من الشفافية والجمال .

واقراً ماذا يقول :

أيا ملاكي العذب الرقيق الحبيب

لقد انتصف الليل في هذه اللحظة

وأوشك عام ١٨٧٠ على الرحيل

بينما كانت أول بشائر العام الجديد

تلوح في الأفاق

وبين هذين العامين أسلم بين

يديك قلبي

قلبي الذي افتداك من لوحات

العام الذي مضى

الحب لدى هوجو امرأة شفافة يرى الحياة من خلالها حياة زاهية بالأمانى خالية من الشر .
تختال في أفق ذهبي ورؤى مدهشة .

والقدرة على الاستمرار في الحب تعني لدى هوجو إيجاد وسيلة للتواصل مع العالم حوله
بروح منفتحة وقلب عاشق .. وذهن متقد بالحماسة والأفكار والطموحات .

وإذا استطعت أن تعشق أصبح في إمكانك أن تحدث التغيير المتوقع وتبدع حالات فكرية
تنتمي إلى القيم الإنسانية والدينية .

ويعبر عن حبه ويقول :

إن ما أكتنه لك بين جدرانتي يا ملاكي

هو ضرب من ضروب العشق الخالد

الذي يستمد طاقته من الحقيقة

وجماله من المثالية

أنت وإلى الأبد سوف تكونين

بمنزلة الروح من روحها

ونفحة الحياة الجملة الملودي

إنني أغمرك كلك في فيض هذا النور

الذي هو حبي

وكتبت جوليت ما يقرب من عشرين ألف رسالة إلى حبيبها هوجو تبثه مشاعرها الحزينة
وإحساسها بالظلم تجاه أسرته التي كانت تواجهها بقسوة وفظاظة .

كانت مأساة جوليت تكمن في أنها امرأة منبوذة ومنعزلة فكم ذهبت إلى منزله لتراه وأغلقت
في وجهها الأبواب وعادت دامعة باكية ، إلى جانب شهرة هوجو الأدبية والتفاف الجماهير حوله
والصحافة والإذاعة والنساء المعجبات بأشعاره .

فأين تذهب جوليت في هذا البحر الكبير الزاخر وتكتب إليه قائلة :

يوم أتيت إليك لم ألمح بصبص نور إلا في قاعة الطعام ولم توانني الشجاعة لأسأل عما إذا
كنت موجوداً وانتظرت ساعة كاملة ثم اخترقت الشارع وأرصفة النهر حتى شارع السين حيث
انتظرت من جديد وأخيراً بعد أن عجزت عن رؤية ما كنت أتلهم على رؤيته وقد ملأ اليأس
العميق كل جوانحي عدت أدراجي بعد منتصف الليل بنصف ساعة

وتكتشف جوليت أن هوجو كان على علاقة بامرأة اسمها ليوني بيار لمدة سبع سنوات حتى ألتقت ذات يوم بهذه المرأة وعرفت منها قصة حبه الطويلة فقررت أن تهجره إلى الأبد ، وكتبت له تقول :

- إن الضربة التي كان من المفترض أن تقتلني قد أمدتني بقوى تفوق طاقة البشر ، ولك أن تفصل ما تشاء دون وجل أو وخز من ضمير ، كما لو كنت أنا قد غيبي القبر منذ أمد طويل .
ورحلت جوليت يائسة حزينة .

وتركت هوجو رغم شهرته الكبيرة إلا أنه عاش مع ذاته منعزلاً يائساً .
وأحب هوجو أديل فوشيه وكتب لها أجمل رسائل الحب وتضمن ديوانه «أوراق الخريف» بعضاً من هذه القصائد التي كتبها لها ، يقول :

يا رسائل الشباب والفضيلة والحب

هو ذا أنت فليحقق فؤادي ثانية

مستجيباً إذ أجنو لأفراك

ولأستمد عمرك ثانية

فأعود صالحاً وراغداً

كما كنت مرة

ثم دعيني أنرف الدمع ..

ورحل أمير الحب والرومانسية وصديق الفقراء وترك لنا ثروة من المشاعر والأحاسيس والقيم النبيلة .



سانت بوف

(١٨٠٤ - ١٨٦٩م)

ناقد فرنسي طرح فكرة جديدة تحول النقد الأدبي من مجرد نظريات وتطبيقات إلى نص إبداعي يذهل القارئ ويصدم المبدع بما فيه من روعة تحليل سيكولوجي وعمق ثقافي ودلالات فنية تجسد النص والمبدع في مشهد ورؤيا تتسرب من عالم الذات الخاص إلى الموضوعي العام .

درس سانت بوف الطب ، ثم بعد فترة تركه واهتم بالأدب والنقد ، ويلاحظ على دراساته النقدية أنها متأثرة بفكرة «التشريح» حيث يقوم بتحليل العمل الأدبي وتجسيد شخصية المبدع من خلال مؤلفاته . وبذلك ظل بوف يبحث في النصوص الإبداعية وإن كان قد أهمل صلتها بالواقع وارتباطها بالمجتمع فإنه قد وجه عناية دقيقة للمبدع وحياته الخاصة والظروف التي ساهمت في إثارة كوامن الفكر لديه وكيفية استجابته لتلك الظروف والحالات النفسية والمزاجية التي صاحبت الموقف الإبداعي .

واهتم بوف في نقده بالفكرة المجردة التي تضيف بعداً اجتماعياً ونفسياً إلى شخصية المبدع وهو يقول :

«فيما يخص النقد الأدبي يبدو لي أنه لا يوجد ما هو أكثر أصالة وخصباً في تنوع المعلومات فيه من قراءة حياة عظماء الأدباء إذا أجيد تأليفها والنقد عنها» .

ويشرح سانت بوف دور الناقد في قوله :

«يتقمص الناقد مؤلفه ويعيش فيه ويضيف إليه أسباباً ونتائج ليجعله بحيارة أخرى ويتبع الأثر الإبداعي في نفسه وخلقاته الخفية وعاداته الشائعة مع إيجاد صلة لكل هذا في الوجود وملامح العصر» .

ويبدو أن سانت بوف كان اهتمامه الخاص بتشكيل حياة الأدباء وأعلام الشعر والفن والرواية والبحث في محاور حياتهم لاستنباط مبادئ عامة وقضايا مصيرية ، يقول :

«إذا فهمت الشاعر في هذه اللحظة التي تضافرت فيها عبقريته وثقافته وكل ظروفه الأخرى فجعلته ينتج كتاب القيم ، وإذا وجدت مدخلاً لهذه الحلقة الفارغة التي تربط وجوده الثاني المشع المتألق بالجليل بوجوده الأول الغامض المنزوي المتواري الذي قد يريد الشاعر محو ذكره ، آنذاك يمكن أن يقال أنك نفذت في جوانب شاعرك وأنتك عليم به .»

إن النقد لدى بوف يعنى التوغل فى اللاوعى المبدع ومحاولة استحضار لحظة التوهج الأولى للإبداع وهو بذلك يعيد كتابة النص الإبداعي بطريقة أخرى أقرب إلى المبدع ترمي ظلالاً وأنواراً حول العملية الإبداعية وتبرز أمامنا عندئذ القيم والمثل والاتجاهات التي قد بثها المبدع في كتاباته .
واهتم أيضاً سانت بوف في نقده بالموازنة بين النصوص الأدبية والمقارنة بحيث تكون هذه النصوص ذات مستويات إبداعية عالية قد أقرها في نفسه وأيقن بها الناقد وليست مجرد نصوص لا تثير في أعماقنا المتعة الشعورية .

والنقد لدى بوف إبداع آخر واحتراق يتميز بالدقة في اختيار المنهج النقدي الذي يتلائم مع اتجاهات المبدع وكتاباته وليس هناك انفصال بين الإبداع والحياة الخاصة للمؤلف إذ لا بد أن يكون هناك ارتباط حيوي . ولذلك حين ينظر في حياة أرنست همنجواي فلا مفر أن يذكر سيرته الذاتية والحروب التي خاضها وحبه لمصارعة الثيران في أسبانيا ورحلاته التي قام بها في أوروبا . فإن هذه التفاصيل قد طبعت أثراً شديداً في أدب همنجواي .

وقد طرح سانت بوف نظرية في النقد تفيد بأنه يمكن تقسيم الأدب إلى عناصر من خلال موازنة النصوص الأدبية بالأخرى ، حيث يصبح النقد موضوعياً يقدم لنا صوراً صادقة عن عصر الأديب وإبداعه وأثره في واقعه وحياة الآخرين .

ومن ناحية أخرى يرى سانت بوف أن رعاية الموهبة قضية سياسية في المقام الأول فنحن في عالم الفردية والانسحاق تحت وطأة الحروب والأزمات النفسية ورغم ذلك علينا أن نتجاوز هذه الآلام والمحن ونبحث في الأجيال عن المواهب الجديدة ونرعاها من خلال مشروعات ثقافية جادة قادرة على تفجير المشاعر والأفكار والتعبير عن الصمت داخل النفوس .

وقد أصدر سانت بوف مؤلفاته في ١٥ مجلداً أطلق عليها «أحاديث الاثنين» وكتاب آخر حمل الجزء الثاني في ١٣ مجلداً .

ويعتبر من أهم النقاد الفرنسيين في عصره وما زالت نظرياته النقدية لها أثرها في الأدب الفرنسي حتى اليوم .



إليزابيث باريت

(١٨٦٠ - ١٨٦١م)

إليزابيث باريت الشاعرة الإنجليزية التي أحببت الشاعر روبرت برواننج وعاشت تكتب له قصائداً من عطر الياسمين ورجفة الظلام وفوح العبير .

قصائدها تكشف عن نفس تسللت وحيدة في فضاء العزلة تعانق أحلامها الوردية وتخفي في دمعات أحزانها طاوية جناحاً مكسوراً على قلب جرحه العذاب ومزقته الكآبة والحرمان والقسوة .

فقد تعرضت الشاعرة إليزابيث باريت إلى حادث ترك أثراً في عمودها الفقري ثم أصيبت بمرض رئوي كان يلزمها بين فترة وأخرى ، ومن جهة أخرى شاهدت شقيقها يفرق ولم تستطع إنقاذه ، فاتجهت إلى العزلة تقرأ في صمت ، بعيدة عن ضوضاء المدن والعلاقات مع البشر .

وفي الحقيقة فإن قسوة والدها وشراسته ، ورفضه زواجها واستبداده برأيه من أهم العوامل التي حاصرت الشاعرة بالمآسي والأحزان والآلام، ولا سيما بعد وفاة والدتها الرقيقة الحنونة معها دائماً.

في هذا العالم الصامت المظلم تجلس إليزابيث باريت تقرأ في حجرتها ولا تسمع سوى خشخشة أوراق كتاب أو دقات الساعة على جدار .

ويشق الظلام نور يشع وينشر شروقه في الأرجاء حين تسلمت أول رسالة من الشاعر روبرت برواننج الذي قال :

- ما أجمل قصائدك أيتها الشاعرة الملاك .

وبدأت إليزابيث تكتب لهذا الضوء المتسلل إلى غرفتها الموحشة وتقول للشاعر :

إنني أشكرك من أعماق قلبي .

وأحبت إليزابيث باريت الشاعر روبرت برواننج ، وتقدم للزواج منها ولكن والدها رفض واعتبر هذا الشاعر مجنوناً ، فكان لابد للعاشقين من الهروب إلى إيطاليا والزواج هناك .

وخلال تلك الفترة بدأت الشمس تغمر غرفة إليزابيث والعصافير تغرد على نافذتها كل صباح ويعانقها زوجها الشاعر ويخرج معها إلى الغابات الخضراء ويقرأ لها قصائد حبه وتنقش له على ماء البحيرة أعذب الكلمات وتقول له :

كيف أحبك .. إنى لا أدري
دعني أكتشف طرائق جديدة إلى حبك
أحبك أحبك حتى الأعماق
أنت أيها الساكن روحي
سأظل أحبك حتى ما بعد الموت

ويكتب روبرت برواننج أجمل عبارات الحب ويقول :
أحبك أيتها المسافرة في دمي
الراكضة فوق عشب قلبي ..
أنت يا شجيرتي الخضراء
يا فجر المضيء في الأفاق
أحبك أنت وحدك ..
أحبك حتى الموت
وما بعد الموت

وتقول إليزابيث باريت :

إن روبرت برواننج أنقذني من كآبة حياتي وإليه يرجع الفضل في إصدار مجموعاتي الشعرية الكاملة.. هذا الرجل سيشتد لي قصراً من الأحلام فوق الأرض .. حيث استطاع أن يقيني في عالم النور والحب طوال حياتي .

وقد تميزت قصائد الشاعرة الإنجليزية بحدة الانفعال وتوهج الشعور والنغمات الحية ..
والموسيقى الغريبة والكلمات المجنحة المحلقة .

وتقول لشاعرها روبرت برواننج :

أنت لي ضوء عيني
أنت لي نبض قلبي
أنت لي هدب عيني
أنت كل شيء في حياتي وليس لي سواك



ألفرد تينسون

(١٨٠٩ - ١٨٩٢ م)

ألفرد تينسون شاعر الخيال الجامح والمشاعر الصاخبة والأحاسيس الشفافة الرقيقة ، فهو أحياناً عاصف وفي مرات كثيرة ساكن يتأمل البحر ويحلم بالسفر إلى الأعماق ويمزج ذلك بالأساطير الساحرة والخيال الإبداعي الجميل .

نشأ في قرية صغيرة اسمها سومربي ، قرأ في العقيدة الدينية متأثراً بوالده الذي شغل وظيفة قس ، وبدأ في نشر قصائده التي عبرت عن مرحلة الوعي بالحياة والتأثر بالطبيعة والبحر والشطحات الذهنية إلى الحد الذي كتب ملحمة شعرية من ستة آلاف بيت نظمها في الثانية عشرة من عمره ثم وضع مسرحية شعرية في الرابعة عشرة .

ومن قصائده عن البحر يقول في إحداها :

من لا يتمنى أن يكون

حورية البحر الجميلة

تغني وحدها

تسرح شعرها

تحت ماء البحر

ولها شعر ذهبي مجعد

ومشط من اللؤلؤ

على العرش

وحين يفقد الشاعر تينسون أعز صديق له يغضب على الكون وتثير سخطه الصدمة ويذرف دمه ويفجر ما في أعماقه من أحزان ويقول :

أيها البحر اقلد بموجك فوق الصخور .

الباردة القائمة

أدفع بمائك

ولكم وددت لو استطاع لساني أن يلفظ

ما يثور بنفسى من خواطر

واعتبرت هذه المراثية من أجمل القصائد التى كتبها تينسون وهى ترمز للعدل والخير والسلام
والحب والقيم فوق الأرض ، يقول :

أقرعني أيتها الأجراس

للسماء المتوحشة

للغيوم السابحة

للتور الجماد

السنون ما نت فى الليل

أقرعني أيتها الأجراس المتوحشة

ودعها تموت

واستطاع تينسون أن يجمع فى قصائده بين خيال الرومانسية وانفعالاتها وبين أفكار الكلاسيكية
ومنطق أسلوبها . ويعتبر أحد رواد حركة الشعر فى العصر الفيكتوري فى إنجلترا بحيث لم ينافسه
شاعر سوى بروانتج الذى ظهر بعده متأثراً به .

ويقول تينسون معبراً عن أحزانه :

السنون راحت

دعها تلعب

تلك عصاة العقل

لأجل أولئك

ذلك السمع

نحن نرى أكثر

وظل تينسون يحلق على أجنحة الريح بكلماته الحزينة كعواء ذئب فى الصحراء يبحث عن ملجأ من الحراب التى تطارده .

وتزوج تينسون فى الواحدة والأربعين من امرأة اسمها إيميلى سلوود بعدما ظل على علاقة حب معها حوالى أربعة عشرة عاماً .. وفى الحقيقة ساهمت هذه المرأة فى مقاومة سحابات الحزن والكآبة التى تحتاج قلب الشاعر وتملك عليه حياته وانفعالاته الصاخبة وظلت تناقشه فى قضايا شعره وتطوف حوله برقتها وحنانها حتى بعثت فى داخله النزعة الأخلاقية ورقة العاطفة .

ونشر مجموعته الشعرية «إحياء الذكرى» التى أعجبت بها الملكة فكتوريا وحصل على لقب شاعر البلاط الملكى وأصبح تينسون من الشعراء المشهورين ، وتغنت الألسنة بقصائده ، وتراجع بعض النقاد عن هجومهم اللاذع على أشعاره السابقة .

ويحتل تينسون مكانه كبيرة فى مجتمعه حتى منحه رئيس الوزراء لقب «نبيل» وإن كان هذا لم يبدل من نظرتة الحزينة وكآبته ولاسيما بعد وفاة زوجته التى أحبها وأهدرت سنوات عمرها تعمل زوجة وصديقة وسكرتيرة شتونه الأدبية .

كان تينسون يعشق المثاليات والقيم الكبيرة رغم أن العالم لم يعد يكرم هذه المثاليات ، ولكنه استمر يتغنى بالأمجاد ومحاربة تناقضات المجتمع والدعوة إلى صياغة العلاقات الاجتماعية على الصدق والوفاء . ومحاولة مقاومة الكآبة والألم الذى يقتل طموح الإنسان ، وحارب تينسون البرجوازية التى تسلب الشعب حقوقه ورغم ذلك لم يتردد فى تأييد التوسع الاستعماري البريطانى وكتب قصائد يفخر ببريطانيا العظمى وانتصارها فى كل أرض .

ورأى تينسون أن الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي لا يدل ببراعة على الإنسان وانتصاره ، بل ربما تكون هذه الوسائل هزيمة ودماراً للأفراد فهى تسيطر عليه وتبتلعه ، وحارب تينسون سقوط أفراد المجتمع فى اللذة والمنافع المادية وإهمالهم الجانب العقلي والروحي وعبر عن ذلك فى قصيدته «إحياء الذكرى»

ويرفض تينسون أن يصبح الفرد مجرد آلة تنتج أو مصدراً لمنفعة مادية خالصة دون الإحساس بروح الكائن وصلاته مع الطبيعة ومع الخالق .

والحقيقة التى يعبر عنها تينسون كشاعر أن الإنسان مثل شجرة السرو العتيقة قادر على التجدد والتألق والتوحد مع الكائنات فى الطبيعة فى سبيل خلقه وبعث طاقة حب جديدة مشتعلة دافئة .

بالحب قادرة على العطاء دون حدود ويخاطب شجرة السرو في قصيدته الشهيرة (إحياء الذكرى)
ويقول :

فأنت لا تبلي في أي عاصفة
وشموس الصيف الحارة لا تستطيع
أن تغير مالك من نجهم من ألف عام
وما أنذا أحملق فيك أيتها الشجرة
العبوس
وقد سئمت شوقاً لكي أكون في صلابتك
العنيلة

وأشعر أنني أجرد من دمائي
وأحمد بك وأتمو في داخلك
كتب الشاعر تينسون تحت تمثاله في مقاطعة لا نكشير هذه الأبيات المنقوشة على قاعدة
التمثال:

أيتها الوردة التي تنبت في شقوق
الحائط المتصدع
أقتطفك من الشقوق
وأمسك بك في يدي
أمسك بجذورك أيتها الوردة الصغيرة
ولكن لو باستطاعتي
أن أفهم من عساك أن تكوني
بجذورك وكلك ..
لو باستطاعتي أن أفهمك تماماً
لعرفت كنه الوجود والإنسان

وهذه الأبيات القصيرة تعبر عن الرغبة في المعرفة وفض أسرار هذا الكون والتوق إلى التوغل
لعالم آخر يفيض بالدلالات الإنسانية .
وهذا كان سر عذاب ألفرد تينسون ؟



ألفريد دي موسيه

(١٨١٠ - ١٨٥٧ م)

ألفريد دي موسيه شاعر غنائي احتل مساحة عصره واشتهر بقصائده العذبة التي أحبها العشاق وأثرت في نفوس الرجال إلى الحد الذي كان الرجال يقدمون هذه الأشعار إلى زوجاتهم بدلاً من باقات الزهور .

عاش قصة حب مع الكاتبة جورج صاند وخلال هذه التجربة أبدع روائع الشعر الفرنسي الذي يعبر عن أحاسيس النفس وجيشان الشعور والانفعالات العنيفة والصراعات الحادة والتناقضات في شخصية الإنسان وأصبحت هذه الأشعار من أجمل قصائد الحب التي عاشت معبرة عن عصرها وعشاقها .

شاعر خجول .. رقيق الحس .. يحترف الصمت أحياناً .. ويعزف عن التيارات السائدة ويلوذ بالعزلة والوحدة .

كائن تراه أقرب إلى أطيايف الربيع .. وشفافية الملائكة .. وأحلام العصفير .. عشق الكاتبة جورج صاند المرأة الجميلة المثقفة والشاعرة والناثرة . أحبها ألفريد دي موسيه وهو في الثالثة والعشرين وهي في التاسعة والعشرين .

في تلك الأيام كان يحيا شاردًا في المقاهي الباريسية يطارد العيون الجميلة ويغفو فوق وسائل التحرير .. ويحلم بعناق امرأة تذهب .. وليلة دافئة في أيام الصقيع مع امرأة أخرى تجيء . ويكتب قصائده من نزيف القلب . ولوعة الروح .

أما الكاتبة الجميلة جورج صاند فقد سمعت عنه من الناقد الفرنسي سانت بوف في إحدى الصالونات الأدبية التي يرتادها صفوة المجتمع من المثقفين والأدباء والشعراء . واحتقرت جورج صاند سيرة هذا الشاعر .

ورفضت أن يُذكر اسمه في صالونها الأدبي الراقى . وذات ليلة كانت تجلس على إحدى
الموائد فى حفل عشاء أقامه بولوز مؤسس مجلة العالمين وسمعت من ينادي :

– ألفريد دي موسيه

فنظرت فإذا به يجلس بجوارها . وحين تحدثت معه بعبارات أقرب إلى الهمسات .. شعرت
بالندم .. والألم .. لأنها فى لحظة ما كانت تحتقر ذكر اسمه فى صالونها الأدبي .

بدأ ألفريد دي موسيه يكتب إلى جورج صائد ويث لها أحاسيسه وآلامه فى عالم يراه أكثر
قسوة ، لا يعرف الرحمة أو التعاطف مع القلوب الرقيقة وأحلام البشر .

وتكتب جورج صائد له متأثرة بقصائده وكلماته الحزينة وتكتشف أن هناك طفلاً جميلاً
مدهشاً يسكن هذا الشاعر الرائع .

وتشاطره أفكاره ويقاسمها خواطرها وأفكارها . وفى يوم ما يصاب بأزمة قلبية ويسقط مريضاً
على الفراش .. وتظل ساهرة بجواره ترعاه ويتألم فى حبها ..

وينتابه الشك تجاهها .. ويشعر أن صائد لها علاقة مع الطبيب الشاب الذى يأتي ليعالجه .
وترفض صائد هذا الشك .. وثورة الغضب التى اشتعلت فى قلب ألفريد دي موسيه

ولكن يقرر أن يهجرها .. ويسافر غاضباً . وهى الأخرى تسافر مستسلمة للأحداث مع الطبيب
عشيقتها .

وتمر الأيام .. ولا يستطيع أن ينساها .. ويعود من رحلاته منكسراً مهموماً ..

وتعود صائد هى الأخرى بعد رحلة كآبة وملل ويلقاها بالصدفة ، ويعانقها ويظل يبكي على
صدرها ..

ويكتب إليها .. هذه الحبيبة الحزينة الضائعة بعد رحيل عشيقها الطبيب عنها ، ويقول :

شاهدت صديقتى الوحيدة

أعز صديقاتى إلى الأبد

التي غدت هى نفسها قبراً باهراً

قبراً حياً يشيع فيه غبار

موتنا الحبيب

غبار حبنا المسكين الذى طالما

ملأنا به برفق

على قلوبنا فى الليل البهيم

ولا تدري الحبيبة جورج صائد ماذا تفعل ؟ لقد أحبت الشاعر ألفريد دي موسيه وانجذبت فى رحلة وهم مع الطبيب الذى خدعها . وهاهى ذى تعود إلى حبيبها الأول وتكتب له بدمعها :

إنى استجده حبًا بالغضب

إنى أحبك وساموت من حبي

إذا لم يصنع الله معجزة من أجلى

إنى عاجزة عن فعل شيء ..

يا للعزلة .. يا للعزلة ..

أريد أن أقتل نفسي

آه يا طفلى كم تشعر أمك بالنعاسة

ولم يعد ألفريد دي موسيه يحس طعمًا لهذه الحياة القاسية ، تتأهبه الأزمات العصبية الشديدة وتجرفه عاطفته ويشعر أنه مقبل على الموت وعلى حافة الهاوية . ويعود يكتب إلى حبيبته جورج صائد التى غدرت به ثم عادت نادمة ويقول :

لقد فقدت قوتي وحياتي

وأصدقائي ومرحلي

فقدت حتى كبريائي

الذي كان يؤهم الناس بأنى عبقرى

وتعود صائد غاضبة حزينة .. تبحث عنه فلا تجده . يلوذ دائمًا بالفرار ويهرب منها . إنه يعشقها ويتمناها ولكن إحساسًا غامضًا بالحزن يداهمه ويصورها أمامه مأساة تحاصره .. وامرأة قد طعنته يومًا وتكتب إليه :

أيها الطائش

إنك تهجرني في أسعد لحظة

من لحظات حياتي

أليس كثيراً أن تقمع كبرياء امرأة؟

وأن تلقى بها على قدميك؟

يا قلقي في الحياة

يا حبي المشنوم

إنني على استعداد لأن أضحي بكل حياتي

في سبيل يوم واحد

أحظي فيه بحنانك

ويسافر ألفريد دي موسيه إلى باريس ويرحل داخل وطنه ، تسكنه في الروح .. ويسكنها في
الوجدان والقلب والنفس .

تقف الدنيا أمامه بكل ما فيها من بشاعة وتوحش النظم الرأسمالية والحروب .. وطبقة الأثرياء
الذين يحتكرون كل المتع ولذائذ الأرض دون اعتبار للقيم أو المبادئ الأخلاقية ، ويشترون
بأموالهم قلوب البشر ويسيطرون على العالم بالجشع والأطماع والفساد والأنانية .

وأين يذهب الشاعر الرقيق في هذا العالم ؟

ليس له إلا الهروب إلى الغربة . ليس أمامه سوى الضياع والاحتراق والنزيف .

وتقوم صائد في لحظة جنون بقص شعرها وتبعث به إلى عشيقها الغائب المسافر . وتظل باكية
منتحبة .

وتذهب إلى بيته تزوره أثناء غيابه وتظل واقفة هناك تتخيل عودته حتى تسقط على الأرض من
اعياؤها وترقد في المستشفى . وتلهج باسمه .. وتسبح في خيالات وأوهام وأطياف ساحرة .

وتتخيل ألفريد دي موسيه يقبلها ويحتويها بين ذراعيه . وتكتب له :

يا حبي الوحيد
يا حياتيا أحشائي يا دمي
اذهب ولكن اقبلني
وانت ترحل

كان ألفريد دي موسيه يقول لها دائماً :
لن أموت قبل أن أكتب كتاباً عني وعنك .
وحقاً أصدر كتاب «الليالي» الذي يحمل نبضات قلب أضناه العذاب ومزقه الحرمان وحطمه
الحب وصيره بقايا ، فأصبح كأنه جرح لا يُشفى ودماء نازفة .
واستطاع موسيه أن يضم في ديوان «الليالي» أروع القصائد التي لاقت شهرة كبيرة حتى إن
العشاق كانوا ينسخون هذه القصائد ويقدمونها لبعضهم مع باقات الورد والياسمين .
وتكشف القصائد عن انفعالات إنسانية تعد صورة للروح حين يطهرها العشق في نبع الألم
ونهر العذاب . يقول لها :

إن قلبي وهو المليء بها
كان يهيم على وجهها ولم يعد يعثر عليها
ومع ذلك فقد كان في وسمي
حيثت أن أتجه نحوها
لأطوق بذراعي هذا الوجه الجميل
وكان في مقدوري أن أصبح :
ماذا فعلت يا خاتنة ماذا فعلت بالماضي ؟
ثم يعود العاشق الكبير يقول لها :
لأنني أقسمت أن يكون الحب سر حياتي
وعلة مماتي
لنتجرد أمام الجميع من الكبرياء الذي يفترسك

أيها القلب الذى تملؤه المرارة ..

والذى ظن أنه مغلق

لتحب كى تعود إلى حيوتك

صر زهرة لتفتح

بعد أن تأملت ينبغي أن تتألم

من جديد

وبعد أن أحيت يجب أن تحب دون توقف

وتتألم جورج صاند من هذه القصيدة التى يدعو فيها قلبه إلى الحب مرة أخرى وتكتب له
باكية:

«أنا سعيدة الآن لأنك لن تذكرني بين أذرة النساء اللواتي ستتصل بهن . ولكنني واثقة من أنك حين
تخلو إلى نفسك تصبح فى حاجة إلى البكاء وإلى الصلوات وإلى اعتزال صخب الحياة المادية وستذكر
من غير شك امرأة اسمها : جورج صاند .»

ويقول لها فى رسالته الأخيرة :

إن الشيء الوحيد الباقي لي فى هذه الحياة

هو أننى أملك البكاء أحياناً

ومن بعض الملامح للسيرة الذاتية للشاعر الفريد دي موسيه أنه فى السابعة من عمره وجد
ترجمة لكتاب «ألف ليلة وليلة» وتأثر بهذا الكتاب وحكاياته عن الأساطير وجنون العشق وظل
فى ذاكرته حتى أصدر ديوانه الشعري «الليالي» ليسبح فى هذا المناخ الأسطورى عن العشق
والمرأة.

عاش حياته مصاباً بالتردد والاضطراب فقد أشارت عليه أسرته أن يدرس الهندسة ولكنه
تراجع وفضل دراسة الحقوق . ولكنه ابتعد عن دراسة الحقوق وراح يتمشى فى الحدائق ويكتب
الأشعار وقرر أن يلتحق بكلية الطب . وبدأ يدرس الطب غير أنه انتابته حالة من القلق والرفض
لهذه الكلية وصور الجثث فى جلسات التشريح فهجر الطب وقرر أن يدرس الموسيقى .

وعندما بدأ فى دراسة الموسيقى التى يراها تتلائم مع مزاجه الفني وعشقه للأدب شعر بالضجر

وترك الموسيقى ولجأ إلى الفنون التشكيلية ليرسم لوحات يقلد فيها كبار الفنانين ومن الغريب فى هذا الشاعر انحصار ذاته فى عيون المرأة حيث أصبح مهياً للتأثر بالمرأة وعشقها فى كل لحظة من لحظات حياته وتتنابه حالات من الوجد والاضطراب النفسى حين يغرق فى الحزن أو يصاب بأزمة عاطفية ، فالعالم أمامه ليس إلا امرأة ، وحديث شجى دافئ مع امرأة أفضل لديه من أحاديث فى الأدب أو شئون السياسة والموضوعات الأخرى .

وعاش حياته عاشقاً

ورحل أيضاً عاشقاً

حيث تدهورت صحته فى السابعة والأربعين

وبدأ يستشعر رهبة الموت ، يقول :

أحس به فى كل مكان

وأراه فى كل مكان

وكلما ازداد تخبطاً فى البؤس

كلما تيقظت فى نفسى غريزة التعاسة

وما أكاد أهم بالتقدم على الأرض خطوة واحدة

حتى أشعر أن قلبي يتوقف فجأة

إن قوتي فى الصراع تتضاءل

إنني سأظل فى معركة دائماً حتى الراحة الأخيرة

وعندما داهمه المرض بشدة قال :

أريد أن أنام ..

وأخيراً سوف أنام ..

وأغمض عينيه إلى الأبد ..

ونام



هاريت بيتشر ستو

(١٨١١ - ١٨٩٦م)

هاريت بيتشر ستو الكاتبة الأمريكية التي ولدت في مدينة ليتشفيلد واقتربت من حياة العمال والمزارعين وعاصرت الاضطرابات السياسية التي تنادي بالحرية وإلغاء الرق والعبودية .

و ذات يوم شاهدت هاريت أحد العبيد الذي حاول الفرار من مزرعة سيده مصلوباً على أحد الأشجار وظهره عارياً وسيط الرجل الأبيض تلهب جلده والعجوز العبد يصرخ حتى توقف النفس في رثيه ، وفارق الحياة وألقوا بجثته في ركام النفايات .

وظلت هاريت تبكي بشدة وهي لا تتصور ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الحر المتمدن الذي يجتاز البحار والمحيطات لينشر العلم في المدن والجزر الجديدة .

وبدأت هاريت تفكر بجدية في قضية الرق والعبودية ، وتسلمت إلى مزارع العبيد وجلست معهم تنصت إلى قصص تدمي القلب وتحرق الوجدان وتجسد بشاعة العالم المتحضر الذي يبدو أمام البشر في صورة زاهية ويكمن خلفها وحشية عاتية لا تعرف الرحمة أو الإيمان . وقررت أن تكتب شيئاً عن هذه القضية ليعلو صوت هؤلاء التعساء الأرقاء وتكشف الحقيقة أمام ضمير البشرية لعله يستيقظ ويساند العبيد ويحررهم .

وفي تلك اللحظات كان أخوها الكاهن في الكنيسة يدعو هو الآخر إلى التعاطف مع العبيد وإعطائهم حريتهم واحترام إنسانيتهم . ولذلك عاشت القضية في ذهن هاريت ولم تفارقها إطلاقاً حتى عندما تزوجت أستاذ الجامعة كالفن ستو ناقشت معه القضية وشجعها على الاستمرار في النضال ضد همجية الرجل الأبيض وتوحشه .

وفي يوم تسلمت رسالة من أخيها الكاهن يحدثها عن عذاب العبيد وهذا النظام اللا إنساني فبدأت على الفور تفكر في كتابة رواية تدعو إلى مناهضة الرق في أمريكا .

وكتبت مجموعة قصص قصيرة عن حياة المزارعين والأرقاء ولكنها تذكرت تلك القصص التي سمعتها في مزارع القهر وفرقة السياط والموت وأنات الجراح وراحت تخط فصول روايتها «كوخ العم توم» .

وبدأت هاريت بيتشر ستو تنشر هذه الرواية حلقات في إحدى المجلات المناهضة للرق والعنصرية وتابعها الناس في كل مكان وهاريت تكتب بحماس وإيمان برسالتها وهي تصف العم توم وأغانيه الحزينة وقصة حياته مع الأئين والدموع حتى تأثر الناس بالرواية ورددوا أغاني العم توم .

وفي أحد الأيام تأخرت هاريت عن تسليم الحلقة إلى المجلة فصدر العدد خاليًا من الرواية المسلسلة ، وهنا ثار القراء والمشترون وهبت عاصفة من الاحتجاج تطالب المجلة بالاستمرار في النشر . وأصبحت هاريت أسيرة هذه الرواية ولا تدري كيف تضع لها النهاية .

وعندما جاء أحد الناشرين لينشرها في كتاب توقفت هاريت عن النشر في المجلة وصدرت رواية «كوخ العم توم» لتهز الضمير الغافي ، وتوقظ الذهن العالمي من بلادته وترفه ، وتدعوه إلى تغيير مفاهيمه الرجعية والتعسفية .

وعندما نشرت الرواية أقبل عليها القراء ونفذت ستة آلاف نسخة في أسبوع ثم بدأت المطابع في إعداد الطبعة الثانية التي بلغ في عام واحد ما بيع منها ٣٠٥ ألف نسخة .

ثم ترجمت إلى جميع لغات العالم وانتشرت الرواية في البيئات التي تعاني من ذل العبودية وظلمات اليأس وسيطرة الطغاة .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد تلقت الكاتبة هاريت رسائل تهديد بالقتل إذا لم تسحب روايتها من المكتبات ، لأن روايتها أثارت القلاقل والتمرد بين العبيد وصرخ العالم ضد الرق والعبودية . ولم تبالي هاريت بمن يهددها وزارت أوروبا ندعو إلى وقف نزيف الدماء والقهر وتحرير العبيد وإلغاء العبودية .

وتطور الأمر بعد ذلك إلى ثورة العبيد وقيام الحرب الأهلية التي ألغت نظام العبودية في أمريكا .

وحين التقى الرئيس الأمريكي إبراهيم لنكولن بالكاتبة هاريت بيتشر ستو ابتسم وهو يقول لها:

أنت وحدك أيتها السيدة الصغيرة التي أثارت هذه المتاعب وفجرت نيران الحرب الأهلية ، من أجل العم توم!!



تشارلز ديكنز

(١٨١٢ - ١٨٧٠ م)

تشارلز ديكنز الروائي البريطاني أحد أعلام الأدب الإنساني في العالم . إذا قرأت روايته «أوليفر تويست» دمعت عينك واحترق قلبك على هذا الطفل اليتيم الذي لا يجد من يرعاه ، ويقسو عليه الناس والمجتمع ، وإذا قرأت رواية «مستر بيكويك» ظلت تضحك حتى تدمع عينك أيضاً . إنه عبقرى فنان قادر على التحكم فى الأهواء والعواطف الجياشة .

عاش طفولة يتيمة كلها حرمان وألم . اعتصر الجوع معدته وألقت به الظروف فى دروب الوحدة والضياع . ورغم أنه لم يكمل دراسته إلا أنه قرأ بنفسه وشغف بالأدب والشعر ، وقد عاش مع الأطفال الفقراء واليتامى المضطهدين والهاربين من الملاجئ التي يفترض فيها الرعاية والعطف ولكن كانت مثالا سيئا للتربية الخاطئة والجشع واستعباد الأطفال ، لذلك عندما كتب «أوليفر تويست» لم يكن يكتب إلا عن حياته التي عاشها وعن الطفولة البائسة . ولعله بذلك أول الأدباء الذين فتحوا هذا المجال وجذب انتباه الناس والمسؤولين والمؤسسات التربوية إلى الأطفال الصغار الذين يعملون فى الحرف والمهن الشاقة وضياعهم وسقوطهم فى أيدي المنحرفين والمجرمين والعصابات.

وأهم ما يهرك فى أعماله تلك الواقعية التسجيلية التي يكتب بها رواياته وقصصه أنه يصف لك شوارع لندن والأماكن والمطاعم والبيوت القديمة ولافتات الشوارع ودور إيواء الأيتام . وإذا ذهبت إلى لندن فوجئت بأن هذه الأماكن كانت تقع حقاً كما وصفها تشارلز ديكنز دون الاستغراق فى الخيال أو افتعال مكان ما .

وقد وظف السخرية فى أعماله بطريقة تثير الضحك والطرافة ، كتب بذلك رواية "مغامرات مستر بيكويك" حيث تهكم فيها على الطبقات البرجوازية التي تستهلك كل شئ ولا تجد هدفاً تحققة فى الحياة . إنها الطبقة المتخمة المتبلدة الإحساس التي تستنزف موارد الوطن دون عطاء .

كتب أيضاً الرواية التاريخية فى «قصة مدينتين» حيث حاول تسجيل أحداث الثورة الفرنسية بين لندن وباريس . والرواية تقدم لك الأحداث والأسباب والظروف دون مبالغة . ومن أهم ظواهر عبقريته الأدبية أن روايته لا تحلل واقع الإنسان بمفرده ، ولكن تفسر المجتمع وما فيه من تناقض وصراع بين طبقة الأغنياء والأثرياء وأنه يتعاطف مع هؤلاء الفقراء ويمقت الأثرياء الذين يستعبدون الغير ويستغلون ظروفهم الصعبة .

ويُعد تشارلز علامة هامة فى الأدب العالمى وأحد رواد الواقعية التسجيلية والنزعة الإنسانية . وقد أثر على الأدباء العرب إلى حد كبير ، وليس هناك أديب عربى إلا ولا بد أنه حمل شيئاً من هذا الأديب الكبير ومنهم نجيب محفوظ ومحمود تيمور والعقاد والمازني وغيرهم .

وكان تشارلز ديكنز يجد متعة كبرى وهو يعقد ندوات يقص فيها بعضاً من مواقف قصصية أو مشاهد من رواياته . فإذا تطرق إلى الحزن والألم بكى الجمهور أمامه من فرط الألم والتمزق . وإذا وصف مشهداً ساخراً كوميدياً ضحك الجمهور بلا توقف ، ويقول ديكنز :

– كنت أجد لذة كبرى وأنا أشاهد المعجبين بأدبي يختنقون أو يصابون بالإغماء إما من فرط القهقهة أو البكاء .

وقد أحب بلده إلى حد أنه يحلم بعالم مختلف للأطفال وبيوت ترعاهم فى حب وحنان وأسرة تماسك فى مواجهة الشدائد ودولة تقوم برعاية الفقراء ووضع التشريعات التى تكفل حمايتهم من الدمار والضياع والفشل وفى أحيان كثيرة يخرج من بيته ويعجوب شوارع لندن على أقدامه دون هدف أو قصد غير أنه يتأمل ما يدور فى مدينة لندن من أحداث وما يشاهده من صور الحياة .

وعندما يذهب إلى بيته تتحول هذه الرؤى إلى قصص وشخصيات وأفكار إنسانية تنشد حياة الإنسان المعاصر وتبحث عن صدق لآلامه وشفاء لجراحه التى لا تنتهى . ويظل تشارلز ديكنز نبعاً لا ينضب نهل من تراثه ، وتعلم كيف يصبح للإنسان قلب فى عالم بلا حس أو شعور أو ضمير .



روبرت براوننج

(١٨١٢ - ١٨٨٩م)

شاعر إنجليزي طوحته المعاناة في عاصفة الألم وجرفته أحاسيس الحب إلى عناق امرأة ظلت عيناها تضيء له الدرب نحو مجد الشعر وعرش الأدب والحياة الرائعة .

عشق الشاعرة إليزابيث باريت وتبادل معها أجمل رسائل الحب والغرام وتزوجها وأنجب منها ولداً حمل وداعة أمه ورقتها وفلسفة أبيه وغنائياته .

كان روبرت براوننج يهرب من كآبة الحياة وظروفه الاجتماعية السيئة ليجلس مع إليزابيث على ضفة النهر ويقص عليها ملامح طفولته البائسة يقول :

- «ماتت أمي ولم أبلغ السابعة من عمري وكنت من فرط حزني ولهفتي إليها أراها في أحلامي تناديني فأصرخ منادياً عليها وتصحو زوجة أبي لتوجه اللوم والقسوة لي ، وأهرب إلى ركن في الفراش وأختبئ من غضبها .»

ويعود ويقول :

وكنت أقرأ في الأدب كثيراً وهامت روحي في عالم ناء أبحث فيه عن لحظة صفاء وقطرة حنان تنسكب في صحراء قلبي وعمري .

وعندما قررت أن التحق بالجامعة رفضت زوجة أبي وادعت بأن والدي لا يملك ما يتفقه على دراستي بالجامعة وتملكني اليأس والإحباط والخوف من المستقبل ولكن حبي للفن والشعر والأدب دفعني إلى البحث عن عمل وأن أقاوم .

وظلت الشاعره إليزابيث باريت في عزلتها تكتب إلى براوننج قائلة : لقد سعدت بشخصك الجميل أيها الطائر المحلق في روحي وأتمنى أن يأتي الربيع لأراك فإن الشتاء يجعلني رهينة محبس ولكننا في الربيع سوف نلتقي .

ويكتب إليها براوننج يقول :

- أقبل الربيع الدافئ يا حبيبتى والأطيار فى أعشاشها تعلم هذا وينبغى أن نلتقي حالاً ..

وظل العاشقان ينثران كلمات الحب على الأوراق وعندما تقدم براوننج للزواج منها قال عنه والدها :

إن هذا الرجل مجنون وأحمق كبير ولن تتزوجي منه إطلاقاً . وتقرر إليزابث باريت أن تهرب إلى إيطاليا مع براوننج ويتزوجها هناك ويعيشان فى فلورنسا بين أحضان الطبيعة ويكتب براوننج أجمل قصائده ويقول :

والآن يا ديلى أنا وأنت
لنكن قدوة للجميع صدقاً ووفاء
مع العازفين سيان عزفوا مجاناً
أو للجرذ والفئران
إن وعدنا يجب أن نكون أوفياء
إن أخلصنا يجب أن نكون شرفاء

والنحب العاشقان طفلاً عاش فى دوحة الحب يركض بجوار الغدير ويلهو مع الفراشات ،
والعاشقان قد أطلقا القلب يخفق فى عالم الإلهام والشعر والخيال حتى شعرت إليزابث باريت
بمرض شديد وهتفت فى ذات ليلة قائلة :

- إنني ساموت يا حبيبتى

وانهالت على زوجها تقيلاً ثم عادت تهمس له :

- إن أرواحنا تسبح فى ملكوت الله . وفاضت أنفاسها .. وأغلقت عينيها وهى نائمة على صدره .

وبعد رحيلها بأيام ..

أصاب المرض الشاعر الكبير وجلس ابنه بجواره يواسيه .. وصوت الأب يتكسر باللوعة والألم وقال لولده :

- إنني أموت يا ابنى العزيز وسوف أسافر إلى أمك . وحاولت إيطاليا أن تحتفظ بجثمان الشاعر براوننج ولكن إنجلترا رفضت فأقامت له مقبرة رمزية ودفن الشاعر بجوار زوجته الشاعرة إليزابث باريت .



عائلة برونتي

(١٨١٦ - ١٨٥٥ م)

في عصر فكتوريا شهد الأدب تحولاً عن الرومانسية وانجبه إلى الواقعية والحقائق العلمية وانتشرت حركة عقلية قوية تهتم بالفلسفة والحكمة وأصبح الفن له رسالة وهدف لرفع مستوى الناس من الرذيلة والجهل والخطايا وأقبل الأدباء على الدراسات النفسية والتعمق في أحوال الذات وكشف رغباتها وكبح جماحها . فلم يعد هناك فرصة للتعبير عن المشاعر الرقيقة فالجميع يتحفظون في التعبير عن خوالج الذات وأسرارها . واتسم العصر كذلك بسيطرة النزعة الدينية ، وإذا ظهر ما يخالف ذلك فإنه يعد أعجوبة .

وكانت عائلة برونتي حقاً أعجوبة زمانها فقد تألفت ثلاث أخوات هن : شارلوت (١٨١٦ - ١٨٥٥) وإميلي (١٨١٨ - ١٨٤٨) وآن (١٨٢٠ - ١٨٤٩) نشأت في هذا العصر الذي تدفقت فيه الثروة على البلاد وانغمس البعض في التفاهات واللذة والمتع الحسية والنزاع البعض الآخر بالنزعة التطهيرية «بيو-يتانزم» التي دعت إلى التقشف وكرهية الفنون والعزلة عن تيارات الحياة .

ولذلك عاشت الأخوات الثلاث في مدرسة داخلية يتألمن مع مشاعرهن الصافية وأحلامهن التي تتكسر على صخور الواقع حيث كانت التقاليد والأنظمة تصادر هذه العواطف ولا تعترف بأن للفتاة إحساساً رقيقاً وقلباً قادراً على الحب والخفقان ، كانت حياة تعسة حُرمن فيها من التعبير عما يجول في وجدانهم أو قلوبهم الخضراء النقية . فقد اعتبرت الفتاة التي تتحدث عن مشاعر الحب أو الود ساقطة ومينالة .

ربما أسهم في شقاءهن حياتهن المكتيبة مع أب تائه غير مثقف لا يقيم اعتباراً للمعيار الأدبي والمبادئ العاطفية الفتية ، فقد كان يحاصرهن ويعزلهن عن المجتمع وفرض عليهن العزلة والحداب ، والصمت فلم يكن لهن من عزاء سوى القراءة والتعمق في الأدب والمعارف وتربية

التحليل النفسي . ويزداد الأمر سوءاً عندما يولي الأب اهتمامه الكبير لابنه باتريك ويعن في تدليله حتى يسقط الشاب في الفحش والفجور ويعاقر الخمر والمخدرات ويعود في الليل هائجاً مختل العقل ، يضرب أخواته البنات ورغم ذلك يسهرن على راحته ويشفقن عليه ويقص عليهن مغامراته مع النساء .

كتبت شارلوت برونتي روايتها الشهيرة «جين آير» من أروع الأعمال الأدبية الواقعية التي ضمنتها سيرتها الذاتية في المدرسة الداخلية وحبها لمعلمها الذي نقشته إليه رسائل بدموعها ، ولكنه كان يلقي بالرسائل في سلال المهملات .

أما إميلي برونتي فقد كتبت أجمل روايات الحب والتضحية والانتقام ، وصراع النفوس وحدة المشاعر وقهر المجتمع ومواجهة الموت في رائعتها «مرتفعات وذرنيج» عن البطل «هيثكليف» هذا الطفل اللقيط الذي ربته عائلة كاترين ويعيش معهم ويجلس معها تحت الأشجار على ضفاف البحيرة تقرأ له أجمل قصائد الحب وقصص التضحية والغرام العنيف .

وإذا كان هيثكليف ابن الطبيعة الذي نسجته عذابات اليتيم وقهر التشرد والمنفى في هذا الكون فقد عشق كاترين المنسوجة من غضب الريح وزمجرة العواصف وثورة البحار . فهي فتاة عنيفة في عواصفها أحبت هيثكليف بكل جوارحها ولكنها انقادت تحت قمع الظروف إلى الزواج من شاب ثري .

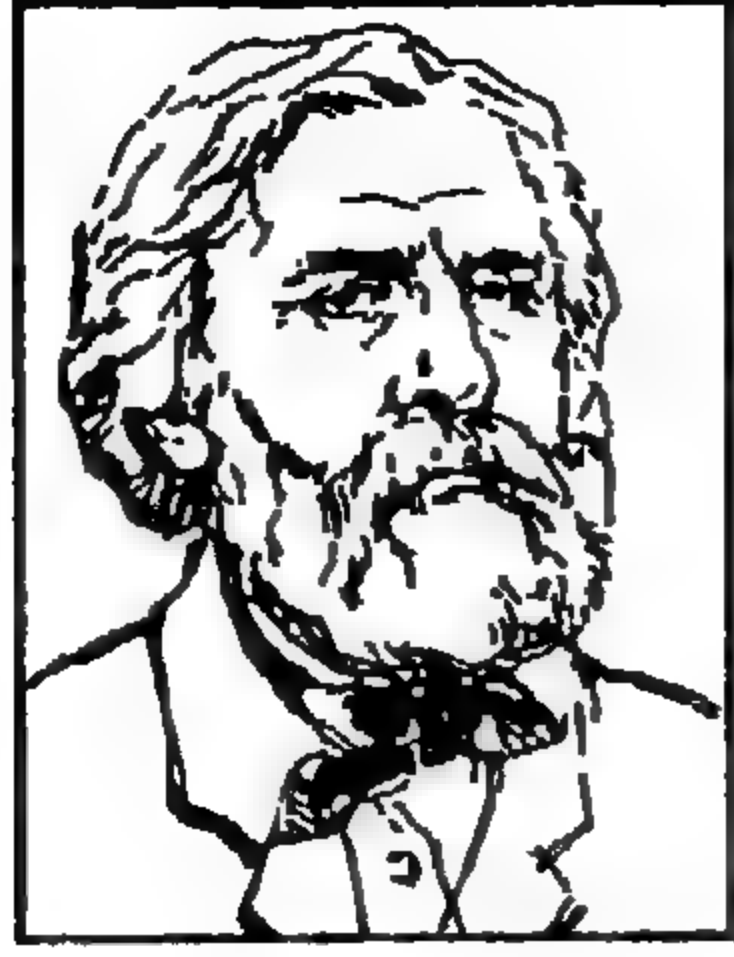
ويصبح هيثكليف محطماً منهكاً ويختفي فترة ليعود قوياً وثرياً ليقرر الانتقام من الذين دمروا حبه الكبير وفي ليلة تسقط كاترين بين ذراعه مريضة وتطاردها أشباح الموت ويكي هيثكليف ويقول لها :

كاترين ، إنني أحبك وعدت إليك للانتقام من كل هؤلاء الأوغاد .

وموت كاترين ، يحملها هيثكليف ويحضرها في الغابة بين الأشجار والطبيعة الحرة ويتوسل إلى حبيبته ألا تموت ويقسم أن يتقم لها ويقول :

«... إنني أريدك تطاردني إلى نهاية حياتي يا كاترين ، ولن أعرف الحياة إلا مساكاً لتظلي روحك معي إلى مدى العدم ... إنني أحبك ... أحبك ... »

ويقرر الانتقام غير عابئ بالأظلمة أو الشرانين ، يشرح مساكاً شيئاً بنسبته تشوئاً ووجهه عذابات الشهور «... تم ... » وال...



تورجنيف

(١٨١٨ - ١٨٨٣ م)

الأديب إيفان سرغيفيتش تورجنيف رغم أنه ولد في عائلة إقطاعية ثرية تمارس القسوة والقهر على الفلاحين الفقراء الذين يعملون في الأرض إلا أنه تألم مما يراه ، ووقف ضد نظام العبودية ودعا إلى تحرير الأتقان ومنحهم حريتهم الكاملة . ونلمح في قصصه ورواياته وأعماله المسرحية موقفه ضد الطبقة الإقطاعية التي تعد بمثابة عقبة في طريق التقدم الاشتراكي .

تأثر إيفان بأمه وشخصيتها الصارمة وسلوكها الحازم القاسي فقد عاشت فترة من حياتها قبل الزواج مع زوج أمها الذي ذقت منه الحرمان والقهر والذل ، ثم آلت إليها ثروة كبيرة من عمها ، فتزوجت والد إيفان الذي لم يكن له هم بعد ذلك إلا الإقبال على الخمر واللهو فخوراً بشبابه ووسامته ، ولذلك تكونت شخصية الأم من الاستبداد والقهر ، فلم تقبل أن يعارضها أحد في البيت أو يرفض لها أمراً ، وظهرت حدة طبعها مع الفلاحين الفقراء الذين يشتغلون في أرضها حيث تعاقبهم بالسوط .

هذه الشخصية الرهيبة تركت أثراً في نفس الطفل .. فاكتسب القدرة على وصف طبائع النفوس الطاغية وتحليل أسباب تعسفها وسطوتها ويكتب الطفل في مذكراته عن تلك الفترة قائلاً:

«أمي قاسية وأخشأها أكثر من خشيتي من النار .. فهي تعاقبني كثيراً ولأتفه الأسباب» .

وعندما شاهد أمه تضرب بالسوط أحد العبيد شعر بالغضب والحزن وتمنى في أعماق ذاته أن يثور هؤلاء العبيد ويهربوا من الأرض ويقول في مذكراته :

«اجتاحني الغضب والنقمة والسخط وأنا أتطلع إلى ما حولي ولا أقوى على فعل شيء» .

وانتجه الطفل إلى المكتبة الكبيرة بقصر العائلة وبحث عن الكتب وغرق في كنوز المعرفة

والعلوم . وجد المكتبة تحتوي على كتب الأدب والمعاجم والموسوعات الضخمة بمختلف لغات العالم ، فبدأ يقرأ ويمضي يومه مع الكتب ، لم يكن يحدد فرعاً من المعرفة وإنما قرأ كل ما شعر بالرغبة في اكتشافه وتعلمه . ومن هنا اطلع على كتابات الشعراء والأدباء والمفكرين مثل : فولتير وجوته ووالتر سكوت وشيللر وشاتوبريان وجان جاك روسو وبوشكين وليرمانتوف .

ساهمت دراسته في ثقافته وإدراكه للواقع من حوله وتفتح وعيه الثوري واكتشف المدرسون موهبته المبكرة وفكره الناضج فأخذوا يمدونه بالكتب ويساعدونه في الدروس ويحثونه على الاطلاع الدائم .

وفي المرحلة الجامعية التحق بكلية الآداب حيث الأفكار الثورية ضد الحكم القيصري وثورة الطلاب والقلق السياسي فاستطاع أن يفهم قضايا الوطن ويحدد فكره وانتماءه .

في بداية حياته الإبداعية كتب تورجنيف الشعر وغلبت عليه الملامح الرومانسية كما جاء في قصائده : "الزنبقة" و"انطلقت الغيمة" ، وكتب ملحمة باراشا التي تناول فيه حياة الطبقة الإقطاعية وأكد أن ظروف حياة الطبقة الإقطاعية التافهة هي التي تخلق جيلاً ضائعاً من الشباب تموت في داخله المشاعر الجميلة وقد أثارت هذه الملحمة إعجاب الأدباء والنقاد وأكدوا أن تورجنيف يسير على خطى الشاعرين : بوشكين وليرمانتوف .

وكتب تورجنيف مجموعة قصص هي : حوار ، صورة صياد ، الإقطاعي ، الصور الثلاث ، وفي هذه الأعمال وصف حياة الفلاح الروسي وأخلاقه النبيلة والبؤس الذي يعاني منه مع الإقطاعي ، وإلى جانب ذلك برع في تصوير الطبيعة والعواطف والأحاسيس الداخلية بطريقة بديعة تجسد المشاهد الواقعية في الحياة .

وقد استطاع ذلك عندما شاهد في فرنسا أحداث الثورة والعمال يدافعون عن وطنهم ويسقطون فوق أعمدة المتاريس داخل الأحياء والشوارع فيظل هذا المشهد عالماً في ذاكرته حتى ينقله بفنه في رواية "رودين" البطل الذي يستشهد فوق متاريس باريس دفاعاً عن مبادئه وقضاياها وعندما توفيت والدته القاسية أعتق تورجنيف الأتقان وجميع الفلاحين الراغبين في الحرية وأهدى لهم قطع أراضي يعملون فيها دون مقابل وفعل ذلك قبل أن يصدر قانون إلغاء العبودية في روسيا .

قال عنه الأديب دستوفسكي :

"- تورجنيف شاعر عبقرى وأرستقراطي وسيم ومبدع لا أعتقد أن الطبيعة قد حرمت من أى شيء فهو فنان شجاع في أعماقه روح طيبة ."

أما مسرحياته التى كتبها فقد أسست المسرح الاجتماعي الذى سار على خطاه بعده تشيكوف وأول مسرحية له هى : «ستينو» . وهى تحمل تأملات عن معنى الحياة وجدوى الأحلام ومغزاها وغلب عليها الحزن الرومانسي ، ومسرحية «أغواء القديس» و«حديث الطيش والإفلاس» ، و«ينقطع الخيط» ، «والطفيلي» ، «الأعزب» ، «وشهر فى الريف» ، «والقروية» ، «وفطور على مائدة نبيل» وفى هذه المسرحية الأخيرة كشف شخصية الإقطاعي ونفسه البشعة الحاكمة الخالية من الأخلاقيات والمبادئ وعبر عن خلجات النفس البريئة النقية الطاهرة .

وذاق تورجنيف مشاعر الحب واحترق فى لهيب العشق ، فقد صدمته أمه فى شخصية المرأة فابتعد عن النساء وعندما رق قلبه لفتاة فقيرة وأحبها طردتها أمه فى الحال وقد أنجبت هذه الفتاة طفلة أرغمتها الأم على التخلي عنها ثم ماتت الفتاة الفقيرة وصارت الطفلة رمز الحب والألم .

وأحب تورجنيف مغنية أوبرا جاءت مع فرقة إيطالية للعرض فى روسيا وشاهدها فى أوبرا «حلاق إشبيلية» وسافر معها إلى باريس واستدعى ابنته لتعيش مع هذه المغنية التى يحبها وظل حتى آخر أيامه على علاقة بها .

وتعرف تورجنيف على شقيقة الكاتب تولستوى لكنه لم يتزوجها مما أدى إلى النزاع مع صديقه تولستوى كاد ينتهى إلى القتال فقد كان قلبه عالقاً بالمغنية التى سافر معها إلى باريس بعد ذلك .

ومن الروايات التى كتبها تورجنيف رواية «العش الإقطاعي» التى يقرر فيها زوال دولة الإقطاع من العالم فالبطل فى نهاية الرواية يفشل فى إصلاح أحوال الفلاحين ويؤمن بانهايار طبقة الإقطاع لعدم قدرتها على إقامة مجتمع إنساني .

ومن رواياته الرائعة أيضاً : «العشية» ، عن البطل الباحث عن الانتقام من الاحتلال العثماني الذى اغتصب والدته وقتل أباه واحتل بلاده بلغاريا ويذهب البطل إلى روسيا ويفكر فى العودة للانتقام وتعبه فتاة ساخطة على الواقع الفاسد حولها وتؤمن بنضاله وتسافر معه وفى الطريق يموت البطل ولكنها تواصل طريق النضال وحدها .

ومن أهم رواياته أيضاً «الآباء والبنون» حيث الصراع بين القديم والجديد والأفكار التحررية والتقليدية ويستتهي هذا الصراع بموت بطل الرواية من أجل الفلاحين وفى رواية «الدخان» عن البطل الذى سكنت قلبه مشاعر اليأس لأنه لا يحقق شيئاً فى الحياة ويظل متجمداً يحيا على وتيرة واحدة .



جورج إليوت

(١٨١٩ - ١٨٨٠م)

جورج اليوت الروائية الشهيرة في الأدب الإنجليزي التي تعلمنا منها عندما تسمو النفس حين تنصهر في تجربة الألم وخطايا الأفراد يمكنها أن تدمر أمما وتحاصر شعوباً بالذنب والمعصية .

اسمها الحقيقي ماري آن تميزت بثقافة خصبة عميقة قائمة على النظريات الفلسفية والعلمية وقد تأثرت بالفلاسفة : كانت وهربرت سبنسر وهيجل وقرأت بشغف في التصوف والأديان ولذلك ترجمت كتاب «حياة المسيح» ١٨٤٦ للفيلسوف ستراوس وكذلك كتاب «الأخلاق» لسبينوزا ١٨٥٤ .

عاشت طفولتها في قريتها الإنجليزية كوفنتري واقتربت من حياة الريف والطبيعة الخلابة والنفوس التي تعاني الأزمات النفسية والصراع الوجداني في تجارب الحب واللذة والألم واستمدت من هذه التجارب أفكاراً لقصصها القصيرة وكتبت كتاب «مشاهد من حياة الإكليروس» وصفت فيه حياة الريف ومواجهة الموت والفراق وخيانة الأصدقاء .

ارتبطت ماري آن بوالدها بعد وفاة أمها وعندما أظهرت نبوغاً في اللغات الألمانية واليونانية واللاتينية اتجهت إلى الترجمة ولكن بعد وفاة والدها شعرت بالضيق والتمزق وغلب عليها الحزن والعزلة والانطواء وظلت في وحدتها تقرأ وترجم الكتب الدينية والفلسفية .

سافرت إلى لندن للعمل في مجلة وستمنستر وهناك تعرفت على مجموعة كبيرة من الأدباء والشعراء وبدأت تنشر مقالاتها المترجمة وأبحاثها في الأدب وعندما أحببت الصحفي جورج هنري لويس بدأ يشجعها على الإبداع ويزرع في قلبها الأمل ويتجوز بها حالات اليأس والقنوط والتمزق الذي تعيش فيه ولذلك أحبته ، غير أنها رفضت الارتباط معه برباط ديني أو شرعي . وبدأت تنشر قصصها تحت اسم مستعار هو «جورج إليوت» وتحولت من الترجمة إلى الإبداع .

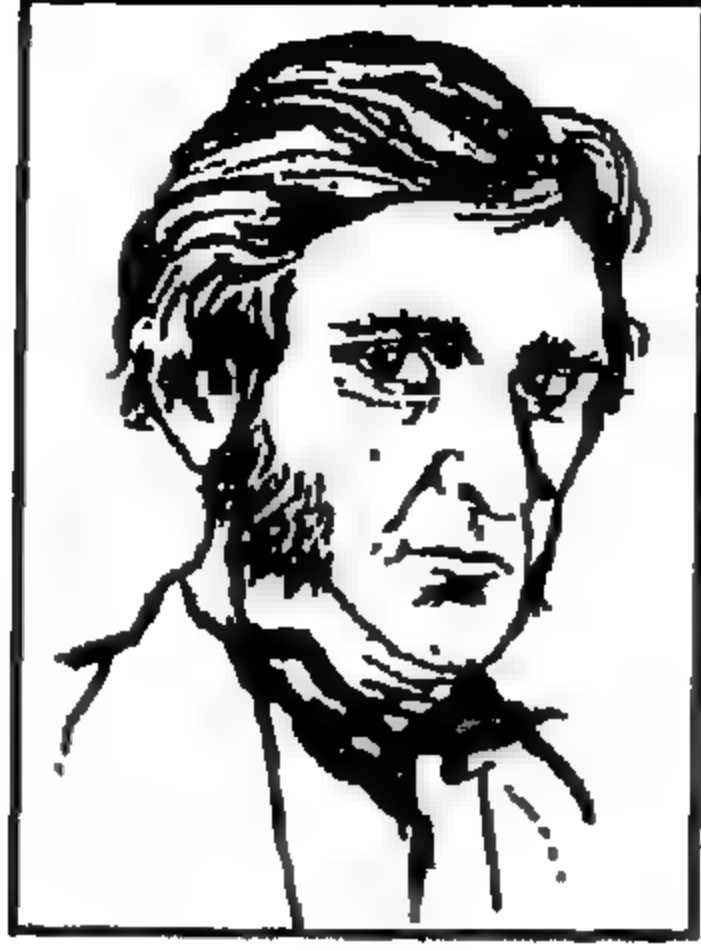
نشرت جورج اليوت عدة روايات طويلة منها «أدم بيد» عن إغواء شاب لفتاة جميلة وتسافر الفتاة وراء حبيبها وتقتل ابنها ثم يحكم عليها بالإعدام . أما رواية «سيلاس مرنر» الذى يتهم ظلما بسرقة اقترفها صديقه في هجر العالم ويسكن قرية بعيدة فى قلب الغابة ويتعرف على فتاة صغيرة ترد له ثقته بالحياة وتحنو عليه وتحبه وترفض الرجوع إلى والدها وتظل بجوار سيلاس مرنر ويشعر البطل أن الحياة تتألق فى العطاء والحب الكبير .

وقد تصادف أن قرأ تشارلز ديكنز هذه الروايات فكتب إلى المؤلفة وقال لها :

- إن هذه الروايات والقصص تحتوى على لمسات أنثوية وأحاسيس مرهفة ورقة وشاعرية ، ولهذا لا بد أن يكون الكاتب امرأة ، أما جورج إليوت فهذا اسم مستعار ، أليس كذلك يا سيدتى ؟

وعندما توفى زوجها عادت مرة أخرى إلى أحزانها وعزلتها تهيم فى غابات الطبيعة وتكتب شعراً حزيناً ونثراً عن الحياة والموت والفراق وانخفاف الروح وما بعد الموت .

وظلت هكذا حتى تزوجت رجلاً آخر اسمه كروس لم يكن يولى اهتماماً بالأدب والفلسفة فشعرت بالوحدة وأنها ضائعة فى العراء وانفصلت عنه وعاشت على ذكرى أبيها وزوجها جورج الذى أحبته حتى فارقت الحياة وتركت ورائها مجموعة من الروايات تشمل لوحات إنسانية رائعة عن حيرة البشر وتعاستهم ومحاولتهم الفرار من عالم المادة والألم .



جون رسكن

(١٨١٩ - ١٩٠٠م)

جون رسكن عاشق الجمال الذى دعا إلى حياة جديدة قائمة على الحب والفن والتذوق الجمالي فى الأدب والموسيقى والفنون بأنواعها واتجاهاتها .

عندما كان طالباً فى جامعة أكسفورد قرر أن يصبح وزيراً وبعد أن نشر أول كتاب له عن أعلام الفن التشكيلي تراجع عن فكرته وتعمق فى دراسة الفنون الجميلة وتربية الوجدان والإحساس وتنمية الفكر بالاطلاع والمعرفة ، يقول :

"- أريد لك أن تتقى من الكتب ما تقول عنه : ما أغرب الذى اقرا . أتى لم أفكر هذه الفكرة من قبل. فما أعجب ذلك !!"

واهتم رسكن بدراسة الفن القوطي الخاص بالعصور الوسطى ، وضمه نظريات جديدة وآراء فى القيم الفنية وصدرت فى كتابه "أعمدة الهندسة المعمارية السبعة" ثم كتاب آخر بعنوان : "حجارة مدينة البندقية" وهذه الكتب من أهم مؤلفاته فى الفن التشكيلي والهندسة المعمارية . وأكد رسكن أن القيم الفنية هى المرأة التى تتلأأ على صفحاتها أخلاق المجتمع ومدى تقدمه وإسهامه فى الحضارة المعاصرة . وإن وطناً لا يعرف شعبه كيف يتذوق الجمال ويزرع وردة فى الغيم ويتأثر لمغيب الشمس وشروقها لا يمكن أن يحقق تقدماً فى المجالات الإنسانية .

وقد مزج رسكن نظريته فى الفن مع دعوته إلى الإصلاح الاجتماعي ، ولذلك هاجم المجتمع الصناعي الذى يسعى إلى تخزين الأموال فى أيد فئة قليلة واستعباد الطبقات العاملة يقول :

إذا كان للرجل الحكيم شيء من الخير والشرف فقد صادف هذا فى كتابه أو فى لوحاته الفنية . ويقال أن رسكن قد أضاع ثروته فى سبيل أمجاده الفكرية وظل يلقي المحاضرات وينشر المقالات والكتب داعياً إلى حياة جديدة خالية من الفساد والسقوط وقائمة على الحب والجمال

والخير .

واستطاع أن يحرض الناس على التمرد على واقعهم المأزوم ويبشرهم بفن راق حتى أثار آراء المجتمع الإنجليزي والتف حوله الأدباء والفلاسفة والجماهير ، يتطلعون إلى هذا الأديب الفنان عاشق الحب والجمال .

وقد أحبته الأدبية «جورج إليوت» وقالت عنه :

رسكن أحد كبار المعلمين في عصره . إنه الرسول الذي يبشر بضرورة الجمال وأهمية الفن والأخلاق والمشاعر الرفيعة . إنه يود أن يحول إنجلترا إلى قطعة فنية مذهشة ومبهرة .

وظل رسكن يحيا متألماً لما يراه في الحياة من زيف وخداع وخيانات ومشاعر ممزقة وقلوب محطمة وعشاق ضائعين بلا مبدأ أو هدف . واشتد انفعاله وغضبه وكثف محاضراته ومقالاته داعياً إلى نقاء الروح والثقافة وتجاوز واقع النقاهات والسفاسف .

عدت كتابات رسكن في الفن أملاً جديداً وانفتاحاً على فكر واسع عميق يفلسف النظريات ويمتد إلى التراث يبعثه مرة أخرى على أساس من العقيدة والصدق والحب والبراءة .

وتميز رسكن بأسلوب شاعري مؤثر فياض بالعاطفة والفكر الجاد والبساطة فقد كان هدفه تغيير مفاهيم الشعب العادي وقد نجح إلى حد ما في عصره ، غير أنه في نهاية حياته انتابه إحساس باليأس وأصيب بمس من الجنون ولكن قبل أن يستسلم للمرض تبرع بكل ثروته إلى الجمعيات الخيرية ورحل ومازال يحلم بحياة قائمة على الجمال والحب والخير والفنون .



وولت ويتمان

(١٨١٩ - ١٨٩٢ م)

شاعر أمريكي عشق الطبيعة الساحرة التي تفتحه من حولها، مليها عيناه في قرينه الصغيرة وأحس كيف ترك الفراشات أثراً في وجدانه والأعشاب الخفيفة تنمو في زارع قلبه ويمضي شاردًا باحثًا عن تلك الألحان التي ترددها الكائنات في الطبيعة لينثرها في قصائده.

أول ديوان شعري أصدره اسمه «أوراق العشب» ويتجهي إلى تلك المشاعر والأحاسيس التي تملكته وسيطرت على وجدانه وأفكاره مع الطبيعة. ويؤمن قائلاً: «ويتمان أن هناك معنى أخلاقياً وجمالياً تعلمه من تلك الرزابي والسهول والأنهار الجارية». فالطبيعة لم تخلق عبثاً وإنما لتلهم الفنان والشاعر ويستطيع أن يحاكيها بما في يده. يحاول الدخول إلى الظواهر الوجدانية وارتباطها بحقائق العلم والتجربة الحسية الواقعية.

جاء ديوان «أوراق العشب» تجربة - مثالية - تتحدى كل طموحات جيل نحو العلم والفن والمثل العليا. وعبر الشاعر أيضاً عن انخساره في الذات للطبيعة وصراعها مع الواقع الغارق في المعاناة والحروب وسيطرة رعباء الثروات والسلطان والقوة الغاشمة.

واعتبره بعض النقاد: وثيقة إنسانية قدينية سقيمة. بلسان وخبائث الطبيعة وأيضاً تمجد النضال والكفاح. لحياة شريفة كريمة. وقال الفيلسوف إيمرسون عن هذا الديوان: إنه مادة زاخرة بالحكمة وانطلاقة الروح، لم أراها مثلاً في الأدب الأمريكي القديم.

أما القراء، فقد يكتسروا المديح «أوراق العشب» فلم يلق رواجاً في بداية الأمر غير أنه بعد ذلك انتشر انتشاراً كبيراً بين القراء وعلى الأيدي والقرارات الثقافية والأمسيات الشعرية وترك أثراً في نفوس القراء والمهتمين بالثقافة الشعرية.

وزاد اسم الشاعر في القمصان من خلال المنشورات الإعلانية التي كتبها المقالات

وينشر القصائد ويساهم فى صياغة الوجدان الشعبى وإبراز القيم والمفاهيم الجمالية والوطنية .
وعندما قامت الحرب الأهلية اشترك ويتمن بالعمل فى إحدى المستشفيات بالإضافة إلى
استمراره فى كتابة المقالات الوطنية والقصائد الإبداعية ودعوته إلى السلام والديمقراطية وتنظيم
العمل الثوري والحياة السياسية . وقد أصدر كتاب «نافذة الديمقراطية» وضم فيه هذه المقالات .
عاش ويتمن فى أيامه الأخيرة لحظات مؤلمة حيث انتابه المرض وأصيب بالشلل وتراكت عليه
الديون وحاصره الفقر إلى حد أنه فى يوم ما اضطر إلى بيع كتبه وعندما لم يجد من يشتريها خرج
بنفسه وجلس على أحد الأرصفة فى الشارع يبيع هذه الكتب .
ويعبر عن محتته قائلاً فى قصائده :

فى الدروب المقفرة

فى الكتيبان على حافة البرك

هارب أنا من الحياة التى ظهرت حتى الأبد

من المسرات والأرياح ومجاراة الآخرين

هارب أنا من كل شيء حولي ..

ورغم نضاله ودعوته إلى الحرية والسلام والقيم الوطنية إلا أنه ظل وحيداً فى عزلته لا يزوره
سوى عدد قليل من الأصدقاء الشعراء يرثون حاله ويقول :

هنا وحدى بعيداً عن ضوضاء العالم

لم أهد أشعر بالحياة

لأننى فى هذا المكان المنعزل

استطيع أن أرتاح لنفسي

وأخلد للسلام

وينظر بسخرية إلى العالم حوله ويندد بالطغاة والمنافقين والخونة والنساء البائسات ويرثي
الزنوج والفقراء والعمال المقهورين ويقول :

أجلس وأنطلق على أحزان العالم
على الظلم كله والعار
أسمع نحيب شبان متألين
ناقمين على هذى الحياة
وأرى كيف يسيء الأبناء إلى الأمهات
ومن على فراش الموت
مهملات بائسات ..

ورحل وولت ويتمن مطعوناً في قلبه من الحجود والنكران والتجاهل ، ولكنه ترك مجموعة
شعرية أخرى اسمها : «قرع الطبول» تحمل قيمه وأحاسيسه وحبه للعالم .



بودلير

(١٨٢١ - ١٨٦٧ م)

غضب شارل بودلير حين نشر ديوانه «أزهار الشر» وآثار الكتاب فضيحة كبرى لما احتواه من صور المرأة فى حالات الفسق والمجون .

ولكن الذى أثار غضب بودلير أنه لم يكن يقصد أن يضع المرأة فى هذه الصور المخزية ، وإنما تلك حالات وجدانية وخيالات عاشها ، أو واقع مأزوم كان يحاول الخلاص منه . ولذلك قال :

وانه ليُحزّني وأنا أطهر من الورقة وأزهد من الماء وأنقى من الفتاة فى عقدهما الأول وأقل أذى من الأضحية أن أحسب ماجناً سكيراً زنديقاً قاتلاً !!

وثارت الدنيا على بودلير واتهمه النائب العام بأن ديوانه قد اعتدى على الأخلاق العامة ولم يحترم القيم الدينية .

وحكمت محكمة «ليل» التأديبية بإبادة ديوان «أزهار الشر» وديوان «جطام» الذى نشر فى بروكسل ويحمل ست قصائد من أزهار الشر .

وكانت هناك أصوات تنادى بترشيح بودلير لعضوية الأكاديمية الفرنسية وعندما شاع خبر محاكمته وديوانه رفضت الأكاديمية ترشيحه وغضب بودلير وكتب لهم يقول :

'- إنى أمقت كل الرعاع المعاصرين من أعضاء الأكاديمية إلى الأحرار ، إلى الفضيلة ، إلى الرذيلة ، إلى الانشاء السبال ، إلى التقدم أنهم رواد التفاهات .'

وعندما بلغ بودلير السادسة والأربعين غزا الشيب رأسه وأصابه الشلل وكان يتعاطى الخمر ليسكن آلامه . وعبر عن تلك اللحظات التى ينتظر فيها الموت ، يقول :

أوشكت أن أموت

فى نفسى العاشقة كان أمل ممزوج

يا لهول مرض خاص

قلق وأمل حاد

ولا ميل للتعصب

انفصل قلبي عن العالم الأليف

كنت كالولد النهم إلى المعرفة

يكره الستار ويخشى ما وراءه

وانكشفت أخيراً

الحقيقة الباردة

وإذا بحثنا في حياة بودلير الخاصة اكتشفنا معاناته الحقيقية مع المرأة وهي أمه التي تزوجت رجلاً آخر بعد وفاة زوجها والد بودلير وقد واجه بودلير صراعاً نفسياً عصبياً مع زوج الأم إلى حد أنه الذي شاهد لوحات أبيه تلقى في سلال النفايات . وعاش بودلير في مدرسة داخلية ولكنه لم يسلم من قسوة زوج أمه ، وعبر عن محنته تلك فقال :

بوركت يا ربي

يا من تعطي الألم

علاجاً الهيأ

أعرف أنك تحفظ للشاعر

مكاناً في صفوف الطاهرين

في الأجواق المقدسة

وتدعوه إلى العيد الأبدي

للعروس والفضائل والسيطرة

أعرف أن الألم هو السبيل الأوحده الذي لن تظاله أرض ولا جحيم

ويصف معاناته وطفولته المضطهدة ويقول :

- هذا الطفل يبكى إذ يرى عصفوراً فى الحقول ، كل الذين يريد أن يحبهم يراقبونه بخوف أو يستمدون جسارة من وداعته ، يسعون إلى من يعرف كيف يثير أئينه ويجرون عليه تجربة الضراوة . وعاش بودلير حياته فى باريس بين فتيات الهوى والمكتبات العامة وعندما توفى زوج أمه طالب بحقه فى الميراث فلم يأخذ شيئاً ، وغرق فى الديون والنساء .
عشق بودلير امرأة اسمها جان دوفال كانت كاذبة فاسقة سكيرة جاهلة حمقاء ، خلقت لتعيش فى عالم الظلام ، وقد أحبها بودلير رغم ذلك ويقول عنها :
إن الغباوة هى غالباً زينة الجمال وهى التى تضيف على العيون ذلك الصفاء الكئيب الذى يظهر على صفحة المستنقعات السود .

ويعبر عن ذلك فى قصائده ويقول :

ملعون إلى الأبد

ذلك الحالم العقيم

الذى يشاء قبل سواه وقد

أعماه الحق

وأخوته معضلة شائكة

لا محل

أن يخلط قضايا الحب بالعفة

إن من أراد أن يجمع فى وفاق صوفي

الظل إلى الحرارة

الليل إلى النهار

لن يدفى قط جسمه المشلول

بوهج الشمس الحمراء

الذى يسمى الحب .



جوستاف فلوير

(١٨٢١ - ١٨٨٠ م)

لا شك أن أهم رواية كتبها الأديب الفرنسي جوستاف فلوير هي «مدام بوفاري» وهي مأساة امرأة متزوجة لم تشعر بالسعادة في حياتها فآثرت أن تمضي في طريق الخطيئة واستطاع فلوير أن يجعل منها رمزاً لسقوط الطبقة الثرية التافهة التي تنعم بحياتها دون اعتبار للقيم الأخلاقية . وكتب فلوير قصصاً أخرى تأثر فيها بأعلام الأدب ومنهم جي دي موباسان وإميل زولا وهوجو وبلزاك وأندريه جيد وغيرهم .

جوستاف فلوير رائد المدرسة الطبيعية التي ترى أن الطبيعة هي المبدأ الأول وأنها لم تكن بحاجة إلى سبب بل هي التي أوجدت نفسها .

وترى أيضاً هذه المدرسة أن غاية العقل وحكمته أن يمضي المرء خلف غرائزه لأنها قد خلقت معه وأوجدتها الطبيعة بداخله .

وبذلك فإن أنصار الطبيعة يناقضون الأديان التي تكبح جماح الغرائز الإنسانية ومع ذلك فإنهم لا يصلون بنزعتهم تلك إلى الإلحاد التام .

وقد اتجه الأدباء الذين يؤمنون بهذا المذهب إلى اعتماد الوثائق والأدلة والملاحظة العلمية والاهتمام بسلوك المرء في الحياة وتحليل الأفكار الناتجة عن أحداث مألوفة .

ومن هؤلاء الأدباء أكد إميل زولا (١٨٤٠ - ١٩٠٢) في روايته «تيريز راكان» أحد الأصول الفنية لهذه النزعة الطبيعية ويبرر صحته في كتاب «الرواية التجريبية» عام ١٨٨٠ م حيث أوضح كيف يمكن للملاحظة الدقيقة للواقع أن تكون فياضة بحرارة الحياة وعلى الأديب أن ينأى عن القضايا الأخلاقية والمجاملات الفردية ، ويقترح إميل زولا على الروائي أن يبدأ روايته من حدث اجتماعي معين وابتكار ظروف تتعلق به وإثراء هذا الموقف إلى النهاية المنطقية .

والنزعة الطبيعية تقدم صورة للمادية الجبرية المتشائمة التي تفرض على الإنسان سيطرة رهيبية تجعله لعبة في يد الأقدار وتعرقل مسيرة حياته .

وفي لحظات المحن والعبودية للمواقف الضاغطة تبرز القوى الدفينة في أعماق الإنسان ليحدد قدرته على اتباع أهواء الذات ومسؤوليته الأخلاقية.

ولذلك فالإنسان في هذا المذهب عليه أن يواكب الحياة سواء كانت ساقطة أم عالية .. قبيحة أم جميلة .. شريرة أم فاضلة .

إن التأقلم مع البيئة هو أهم هذه السمات لكل من يعتنق مذهب الطبيعة وعليه أن يستمر ويتألف ويواكب ما يحدث رغم المحن والصعوبات والقدر الذي ينقض على الإنسان . ولذلك لم يكن غريباً على البطلة «مدام بوفاري» في رواية جوستاف فلويير أن تطلق العنان للمغامرات العاطفية إلى حد الخيانة ، ثم في النهاية الانتحار .

وكانها في ذلك عشبة من أعشاب الطبيعة فاحت بعطرها .. وعلت باخضرارها وتمازجت مع الأطياف العابرة حتى حققت حلم التواصل والعناق ثم ارتدت إلى ذاتها مرة أخرى لتبحث عن لون آخر وشكل آخر في حياة أخرى ، فكان الموت هو النهاية الحتمية درس .

الأديب جوستاف فلويير الحقوق وقرأ في الأدب والشعر والديانات وكتب ما وراء الطبيعة ونشأة الكون والمذاهب المادية .

كان والده طبيباً اعتاد دائماً أن يعالج الفقراء وينقذ المرضى من الأمراض الأليمة ويقول جوستاف عن والده :

- كان أبي ينقذ الحمقى ليقتربوا في المستقبل حماقات و جرائم جديدة .

وقد حاول والده أن يقنعه بممارسة المحاماة بعد تخرجه من الحقوق ولكن جوستاف فلويير قرر أن يدرس الأدب ويتخذ حرفة .

وقد بدا جوستاف في مستقبل حياته حاد الطباع غريب الأطوار ، مشاغباً وسليط اللسان وناقماً وغاضباً وساخطاً على كل شيء .. من الصعب رضائه .. وصعب أيضاً أن يعبر لك عن امتنانه أو يصور مشاعره بدقة في لحظة غضبه ونفوره .

وتميز في فترة مبكرة من حياته بالملاحظة الدقيقة لشئون الحياة من حوله وكان يتجه إلى تدوين وتوثيق الأحداث في دفتره الخاص ثم يعود مرة أخرى إلى هذه الأحداث التي دونها ينسج منها قصة ما .

قام برحلات عديدة إلى بلاد العالم والبلاد العربية ، وأحب امرأة اسمها «لويز» وقد أثرت على حياته بدرجة شديدة ودفعته إلى التعبير عن أفكاره بصدق وجرأة ويبدو أن هذه المرأة قد خانتة حقًا فآلهمه روية «مدام بوفاري» .

بعد صدور روية «مدام بوفاري» ألفت الحكومة الفرنسية القبض عليه بتهمة الإساءة إلى الأخلاق والآداب العامة ووقف الأديب الفنان ليعلن في كل جرة وثبات موقفه قائلاً :

إنها قصة اخترعاً كاملاً ولم أضع فيها من عواطفى أو من حياتى شيئاً .. هذا أحد مبادئى .. ألا أكتب عن نفسى إذ يجب أن يرتفع الفن فوق العواطف والشكوك والعصبية الذاتية ، ثم عاد يقول للمحكمة .

إن دعاة الحب الحقيقى غشاشون غشاشون يا سيدى القاضى ومهرجون .

ويقول لهم جوستاف فلوير :

إذا أردنا أن ننشأ مجتمعاً صحيحاً سليماً يجب علينا أن نتحلى بالنزاهة المطلقة ونصور الإنسان بما فيه من صفات عامة أو خاصة ، رفيعة أو حقيرة .. عالية أو منخفضة .

ثم عاد يقول فى حدة وغضب :

إن مدام بوفاري امرأة نورماندية تحلم بهذيان العشق وتبيح جسدها لكل من رغب وقد تبرمت وسئمت بهذا الزوج المزارع الساذج وانسأقت إلى الفسق والفجور وأخيراً الانتحار .

وحين يقاطعه القاضى قائلاً :

هل لك أن تفسر إلى أى شىء ترمز هذه المرأة ؟

يعود جوستاف فى غضب يقول :

إنها يا سيدى القاضى صورة عفنة للبرجوازية الصغيرة فى الريف ، وهذه الرواية احتجاج صارخ على ما تزخر به هذه البرجوازية من تفاهة وإسفاف وحقارة وسخف . إنهم مجرد قشور على أكتاف السادة النبلاء والشرفاء ولا بد من طردهم بعيداً وكشفهم ..

ثم يقول فى وجه الحاضرين :

إن همجية الإنسان التى لا تتبدل تملأ نفسى بحزن أسود .. إن الاشمئزاز الهائل الذى أشعر به نحو عصري يدفع بي إلى الهروب إلى الماضى السحيق .

وحين يعرض القاضي عظمة رواية البؤساء لهوجو بما فيها من نبل التضحيات والحب العميق ، يقول جوستاف فلوير :

لا أجد في هذا الكتاب حقيقة ولا عظمة ويلوح لي أن أسلوبه غير سليم ومنحط عمداً وما هو إلا وسيلة لتملق عامة الشعب .. فلا أحد يعجب برواية هوجو ، أين تجد هؤلاء الأبطال مثل فانتين وأرباب السجون مثل جان فالجان ؟!

ثم يصرخ في المحكمة :

وأين القس الذي يطلب تبريك الساسة من أنصار عهد النفاق ؟ إن هذه الرواية كتبت لحشرات الكاثوليكية الاشتراكية .

ويعلن القاضي براءة الأديب جوستاف فلوير بعد أن اقتنع بمذهب الفن للفن .

وهذا المذهب يحدد أن الغاية من الفن التعبير عن الجمال دون أدنى اعتبار للمبدأ الأخلاقي .

وقد أكد بعض النقاد أن الفن مستقل عن الأخلاق ولذلك لا يتحتم على الفنان التقيد بالمبادئ الخلقية ، وحتم آخرون على الفن الخضوع للأخلاقيات واتخاذها غاية مثلى .



دوستوفسكي

(١٨٢١ - ١٨٨١ م)

الأديب الروسي فيدور دوستوفسكي لازالت هناك متعة ما تتسرب إلى الذهن ونحن نقرأ أعماله ، فقد اقترب من الإنسان العادي .. دخل في خبايا أعماقه وعبر عن النوازع والخلجات التي لا نستطيع أن نفصح عنها بحرية ومع هذا الإنسان في أحلامه وطرائق استبطان هذا الحلم نعرفنا على عصر كامل بكل اتجاهاته السياسية والاجتماعية .

ولأن التاريخ - تاريخ الشعوب - حلقات تدور وتكرر فنحن نلمس في أدب هذا العملاق بعضاً من سمات عصرنا وقضايانا التي نعاني منها لأنه قدم لنا الإنسان بتفرده دون ارتباطه بأرض روسية أو أوربية ، الإنسان بصورة شاملة وصراعه الدائم من أجل حياته .

ولد دوستوفسكي في موسكو وهو الولد الثاني لأسرة من سبعة أولاد ... والده طبيب في مستشفى المشردين . مُنح لقب النبالة وحصل على قطعة أرض زراعية ولكنه اتسم في سلوكه بالقسوة والعنف مع الناس مما أدى إلى قيامهم ضده وقتله عام ١٨٣٩ .

أما الأم فهي تنتمي إلى أسرة ثرية تعمل في التجارة وتوفيت عام ١٨٣٧ وبعد وفاتها ذهب دوستوفسكي مع أخيه إلى سانت بطرسبرج وهناك التحق بكلية الهندسة العسكرية ، وأنهى دراسته ليعمل في قسم التصميم الهندسية وبعد عام واحد اضطر إلى الاستقالة والتفرغ للأدب .

قرأ دوستوفسكي في طفولته الكتاب المقدس ومؤلفات الشعراء والأدباء والنقاد الكبار وبدأ يكتب ، وتعتبر رواية «الفقراء» هي التي قدمت دوستوفسكي إلى المجتمع الأدبي والثقافي ، ثم بدأت شهرته تتألق مع ظهور أعماله الأخرى والتف حوله الأصدقاء في دهشة يناقشون رواية «الفقراء» ، وقال أحدهم للناقد بيلنسكي إن هذا المؤلف هو جوجول الجديد وذلك لأن رواية الفقراء كانت تعميقاً للاتجاه الإنساني الذي أبدع فيه الأديب جوجول في روايته «المعطف» .

ولا شك أن حياة دوستوفسكى فى مدينة بطرسبرج قد قادتة إلى معايشة الواقع المؤلم الذى يعاني منه الفقراء والتناقضات الطبقيّة الحادة فى المجتمع والبطل الضائع دون رحمة ، المنهار بلا أمل فى تغيير هذه الظروف القاسية المؤلمة ، فكانت رواية «الفقراء» هى مشاهد بائسة من هذا الواقع عن موظف الحكومة المعدم الذى يتعاطف مع أحد المنبوذين من المجتمع .

تعرف دوستوفسكى على الروائى «تورجنيف» الذى شجعه فى البداية ثم اختلفا فى بعض الآراء . فابتعد دوستوفسكى عنه وكتب روايات أخرى هى : قصة فى تسع رسائل ، المثل ، صاحبة المنزل . وقد هاجم الناقد بيلينسكى هذه الأعمال هجوماً يخلو من الصدق ، مما جعل دوستوفسكى يتخلى عن صداقته وتعرف على صحافى يحمل أفكاراً ثورية اسمه : بيتراشيفسكى وانضم إلى إحدى حلقاته السرية ، ولكن النظام فى روسيا لم يكن راضياً عن ذلك فقد خشى القيصر من الثورات فأمر باعتقال من يحضرون هذا الاجتماع . وفى سنة ١٨٤٩ دخل ضباط القيصر غرفة دوستوفسكى وأيقظوه والأصفاد فى يديه إلى السجن .

ومن الغريب أن التهمة التى وجهت إلى دوستوفسكى أنه قرأ رسالة بيلينسكى التى خاطب فيها جوجول وهاجم الدولة والكنيسة ، ولم يكتشف المحققون انتماء دوستوفسكى إلى حلقات بيتراشيفسكى وجماعته السرية وحكم عليه بالإعدام ثم خفف فى اللحظات الأخيرة إلى حكم بالأشغال الشاقة ثم النفى إلى مستعمرة فى سيبيريا لمدة أربع سنوات ثم انتدب للخدمة فى صفوف الجيش حيث ابتعد عن العاصمة وحياة الأدب والفكر لمدة عشر سنوات .

إن المعاناة التى عايشها دوستوفسكى فى السجن والنفى أثرت على حياته الفكرية تأثيراً خطيراً فأصبح يفكر فى مصير البشر وأقدارهم والعدالة الاجتماعية والحب والقيم وموقف الفرد من الموت والنظم والعقائد الدينية ، وعاد بعد النفى بإرادة الانسان القوي المغامر الذى يتحدى أقداره ومصيره ، لذلك ثار على الرومانسية التى ظهرت فى رواياته الأولى .

ومن أولى الروايات التى كتبها بعد عودته من النفى هى : (ذكريات من بيت الموتى) وهى مشحونة بالمواجهة والتحدى والإرادة التى لا تقهرها الصعاب ، وهذه الرواية تجربته التى قضاها فى النفى ، حيث يظهر الرجل الصلب القوي فى عالم الجرائم والمجرمين . وكتب قصصاً أخرى ساخرة هى (قرية سيتبا ومكانها) وكتب قصة : (المذلون المهانون) وأيضاً قصة أليمة (فى سرادبي) وقد سخرت هذه الأعمال من المثالية التى توهجت فى رواياته السابقة التى كتبها قبل النفى .

في رواية «في سردابي» البطل القوي الذي يعيش في سرداب بعيداً عن عالم مخدوع خائن ثم يهاجم الرومانسية وكل ما هو جميل وراق .

ويقول البطل :

- لقد فقدنا جميعاً عادة الحياة . كلنا يمشى مكباً على وجهه متمشياً قليلاً أو كثيراً.. لقد شبننا دون أن نتعود على الحياة بحيث إننا نشعر تجاه الحياة الحقيقة بالاشمئزاز ، ولا نحب أن يذكرنا بها أحد .. ولقد وصلنا إلى درجة نعتبر فيها الحياة الواقعية محنة شاقة .

وكتب أيضاً أروع رواياته : الجريمة والعقاب ، والأخوة كارامازوف ، والشياطين ، والأبله .. وغيرها .

في الجريمة والعقاب البطل راسكولينكوف ، لا يشعر بالانتماء إلى هذا الواقع الفاسد ، فهاجم نابليون الذي نشر الرعب وقتل الأبرياء وحول العالم إلى كتلة من الدمار والأنقاض ورغم ذلك يفتحون له الأبواب ويدخل التاريخ بأنه الفاتح العظيم .

وأختار البطل هنا إيماناً يصبح نابليون أو شخصاً عادياً حقيراً بلا قيمة واستند في ذلك إلى قوة في العقل وحكمة في الأمور فهو مثالي يرتد عن المثالية والحلم ويحاول إزالة العوائق التي تقف في طريق الإرادة الفردية حتى وإن كانت هذه العوائق كائناً بشرياً هي المراقبة العجوز .

ويرى البطل أنه من الضروري أن تذهب نسبة مئوية محددة كل عام في سبيل ضمان راحة الآخرين وطهرهم والبطل شخصية ممزقة بين التمرد والخنوع ، بين القوة والضعف ، القسوة والرحمة ، العقل والقلب .

وفي طريقة للبحث عن هوية وخلّاص يقتنع تماماً بقتل المراقبة العجوز فهي تمثل له ذرة مادية يجب أن تُمحي من فوق الأرض ليحيا الأبطال ولكنه عندما يقتل المراقبة يرتكب الجريمة المزدوجة حيث يقتل معها أختها ، وفي الحقيقة ما قتل غير ذاته وكيانه وعاش يتعذب مع ضميره ويذهب نادماً يعترف بجريمته ويشتهي العقاب .



هنريك إبسن

(١٨٢٨ - ١٩٠٦ م)

هنريك أبسن الأديب والكاتب المسرحي الذي ساهم في نهضة المسرح النرويجي بإثارة القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهدف إلى خلق مثاليات وقيم عالية تظهر البشر من آثامها وتمهد لحياة جميلة شفافة تحلق فيها طيور الحرية وحماهم السلام والجمال .

تألم أبسن لهذا النفاق والزيف والسقوط الذي يحاصر المجتمع الأوربي فقرر أن يحمل رسالة التنوير وتأسيس اتجاهات الفكر العميق في القضايا اليومية ومواجهة سلبات المجتمع بالسخرية الحادة ورفض الموروثات القديمة البالية وتأكيد مواقف الفكر تجاه الضعفاء والفقراء في الأرض الذين يترنحون تحت قوى التعسف والاضطهاد والدمار .

ولذلك دعا إلى حق الرجل الإنسان في النهضة والتقدم والحياة الكريمة ولا يسقط تحت أقدام وعنف الطبقات الرأسمالية . وظل أبسن يطلق صرخاته حتى يهب الناس من غفوتهم وينظرون نحو شمس نهار جديد .

وكتب أبسن مسرحية « بير جنت » للشباب ، ووصف عيوبه وتقاعسه عن دوره النضالي ، وللإسهام في النهضة الفكرية وإثراء كيانه الروحي بالقراءة والعلم والثقافة الجادة .

ويعتبر هنريك أبسن أحد رواد المدرسة الرمزية في الأدب العالمي فقد كشف عن الحالة السيئة التي تعاني منها المرأة الأوربية من ضحالة الثقافة وفقدان الشخصية الإنسانية والتعليم والتربية الراقية التي تهذب النفس وتثري الوعي وتشكل المرأة لتصبح مخلوقاً له رأيه ومبادئه وطموحاته في المجتمع ، وليس مجرد كيان أنثوي غير قادر على المشاركة في البناء والتقدم .

وكذلك قدم صورة لهذه المرأة في مسرحيته : « بيت الدمية » ، وعبر عن فلسفته الخاصة بأن المرأة يجب أن تنهض وتستقل بشخصيتها وأفكارها وتحصيلها العلمي والثقافي ، وتقف بجوار الرجل لصنع حياة كريمة .

وقد ساهمت الظروف التي نشأ فيها هنريك أبسن في اتجاهاته الفكرية فقد شهد عصره استقلال العقل البشري وطرح التقاليد والموروثات القديمة وانفصال الدين عن الدولة .

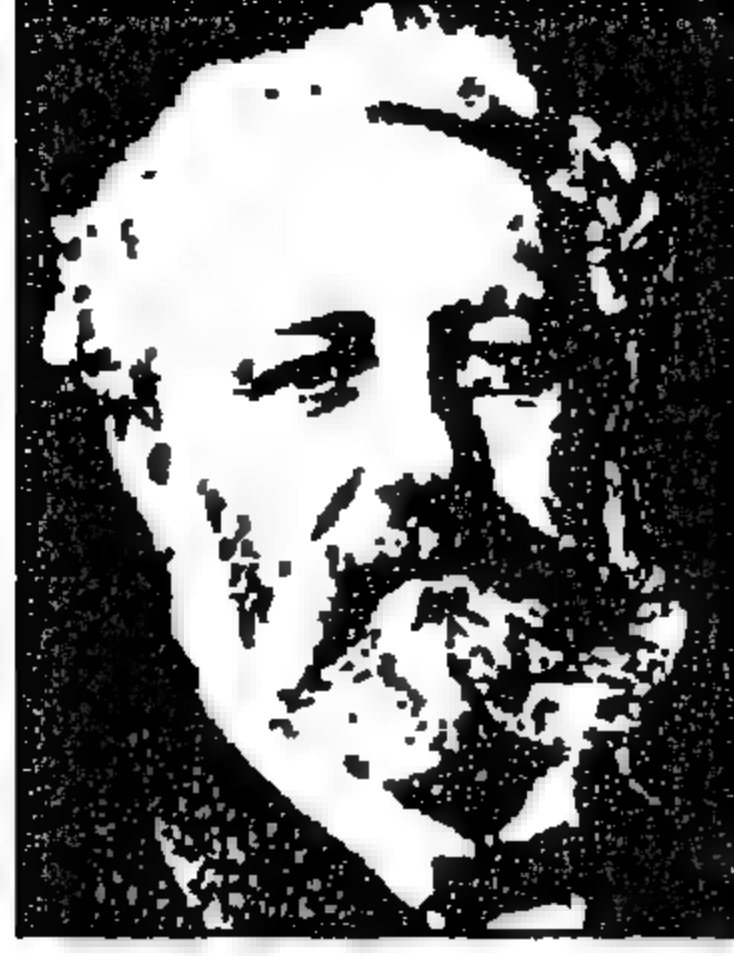
كذلك قيام الثورة الصناعية في أوروبا ورحيل الملايين من العمال إلى المدينة حيث مناخ الحرية والحركة والانفتاح على العالم الجديد .

وكذلك في تلك الفترة ظهرت روايات « مدام بوفاري » لجوستاف فلووير وكتابات سيتوارت عن حرية المرأة . وجاءت الأعمال المسرحية للأديب أبسن لتواكب هذه الانطلاقات الجديدة نحو الحرية والحياة .

وقد عاش هنريك أبسن حياة حافلة بالمرارة والشقاء ، إذ ترك المدرسة في الخامسة عشرة وعمل في إحدى الصيدليات وبدأ يتابع دروسه معتمداً على نفسه وثقافته الخاصة .

قرأ في الآداب العالمية وعمل في الصحافة وعين مديراً للمسرح النرويجي ، وكانت مسرحياته في البداية رومانسية غير أنه اتجه للجانب الرمزي لمعالجة القضايا الاجتماعية .

وقد تعلمنا من أدب أبسن أن الإنسان يستطيع أن يشارك في صنع حياة نقية شريفة معتمداً على أفكاره ومثالياته السامية .



جول فيرن

(١٨٢٨ - ١٩٠٥ م)

كان جول فيرن يقف ساعات طويلة من نافذة بيته يراقب الزوارق والسفن والمراكب الشراعية وهي تبهر من الميناء ويتمنى أن يسافر معها ليكتشف عالم ما وراء البحار وحكايات عن الجزر الساحرة والممالك القديمة والأساطير الغريبة .

و ذات مرة تسلل - وهو مازال في العاشرة من عمره - إلى إحدى هذه السفن المبحرة إلى جزيرة « ماتحت الريح » وأثار هذا الاسم خياله فاعتقد أنه سوف يعثر على أسرار خطيرة وكائنات عجيبة ولكن والده علم بسر هذه الرحلة ومنعه من السفر .

وقال جول فيرن لوالده في حسرة :

— كنت أتمنى أن أشتري عقدا من المرجان لفتاتي التي أحبها .

وفي الحقيقة تميز جول فيرن بخيال ثرى يفوق المؤلف ويمزج بين الخرافات والأساطير ويبحث عن الأسرار الغريبة في العالم ، ولذلك انجبه إلى قراءة كتب الرحلات والعلم والاكتشافات العلمية . وذهب إلى باريس ودرس الحقوق وصادق الأديب ألكسندر دوماس واشترك معه في تأليف مسرحية حققت نجاحا ساحقا .

كتب جول فيرن أول رواية علمية له عن رحلة بالمنطاد في إفريقيا ، ولكن لم يتحمس لها الناشر . ثم بدأ في روايات أخرى حتى كتب رواية اسمها « من الأرض إلى القمر » وقام أحد الناشرين بطباعتها ونجحت وجعلت اسم فيرن على كل لسان . و أثارت الرواية إعجاب القراء بحيث اعترف العلماء والرحالة بأن السبب في طموحهم إلى غزو الفضاء يرجع إلى رواية جول « من الأرض إلى القمر » .

ومن هؤلاء الرحالة : الأمير بيرد الذي خلق فوق القطب الشمالي ، وسامبون لايك رائد بناء

الغواصات في أمريكا ، وكذلك المستكشف الجوي أوغست بيكار دماركوني مكتشف الراديو .
واستطاع جول فيرن أن ينهي أكثر من خمسة وسبعين كتاباً في الخيال العلمي ترجمت إلى
مختلف لغات العالم . وفي هذه الروايات مغامرات تحت البحار وأصوات انفجار للقنابل الذرية
وانطلاق الصواريخ واصطدام الطائرات ، ومعارك فوق ناطحات السحاب . وابتعد فيرن في
أسلوبه عن الفتازيا ووصف المخترعات العلمية وذكر الحسابات والأرقام والتفاصيل الدقيقة .
وبذلك أصبح جول فيرن رائد أدب الخيال العلمي مضرباً قف بالمضرب فنز هذا النوع من
الأدب الذي يعالج عن طريق الخيال رغبة الإنسان في التقدم بالعلم والتكنولوجيا .
ويتميز هذا الأدب بالمغامرات والتشويق والإثارة ، إلا أن أحداثه تدور عادة في المستقبل البعيد
أو على كوكب الأرض ، لكنه يحمل تأملات الإنسان وحلمه في احتمال وجود حياة أخرى في
الجرام السماوية ، كما يصور ما يمكن أن يتوقع من أساليب حياة على وجه كوكبنا هذا بعد تقدم
بالغ في مستوى العلوم والتكنولوجيا .

ويقول فيرن :

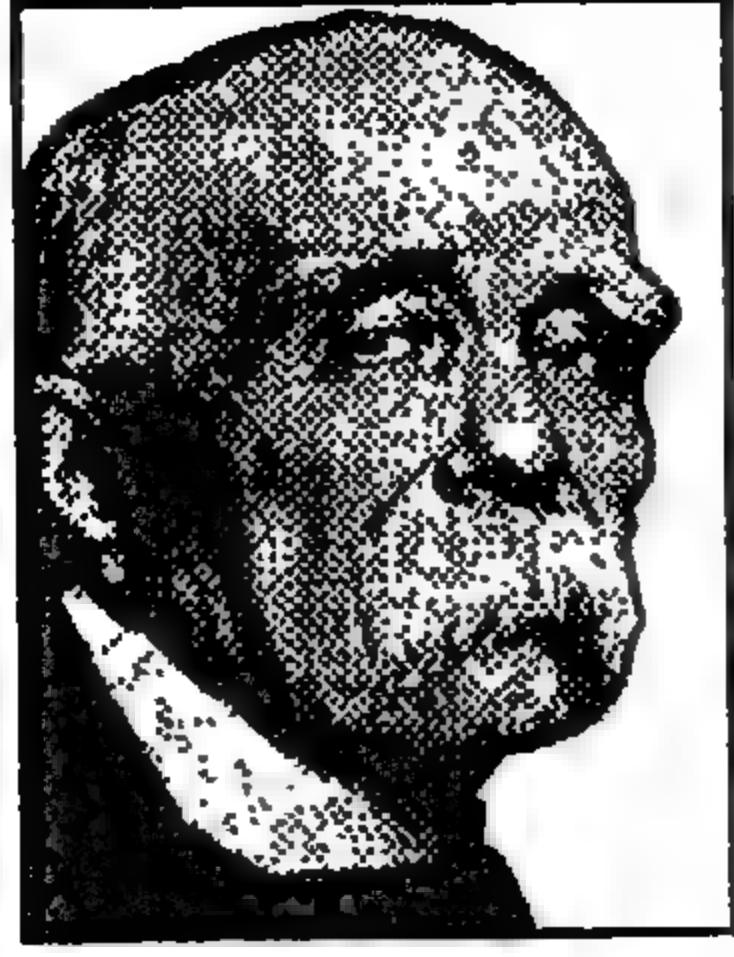
لقد بنيت رواياتي على ما يسمي اختراعات على أساس من الحقائق ، واستخدمت في صناعتها طرقاً
ومواد ليست فوق مستوى المعلومات المعاصرة والهندسة الماهرة .

ومن الطرائف الغريبة أن الفتاة التي كان يحبها جول فيرن في شبابه وقبل شهرته حملت
رسائله وذهبت إلى أحد الاختصاصيين في تفسير الخطوط وقال لها :

— إن صاحب هذه الرسائل محدود الفكر .. عقيم الخيال سقيم الوجدان ، حياته تبدأ من فشل وتنتهي
بفشل ، لن يستطيع أن يحقق ذاته أو يكون له قيمة في الحياة ، وسوف تعيشين في شقاء مع هذا الأبله إذا
تزوجتيه .

وفي نهاية حياته شاهد جول فيرن العالم يتحدث عنه والسينما تحول قصصه إلى أفلام تحقق
الملايين .

وأصيب بداء السكري وضعف سمعه وبصره وتوفي عن قمة شهرته ، وسار في جنازته ملوك
ورؤساء وسفراء وشعراء ومنهم الإمبراطور الألماني غليوم الثاني وأعضاء الأكاديمية الفرنسية .



قسطنطين ميلادينوف

(١٨٣٠ - ١٨٦٢ م)

شاعر مقدوني من جمهورية مقدونيا في يوغوسلافيا ، يعتبر أحد رواد الشعر الحديث الذي بدأ يتسلل في سكون الأعشاب النابتة على الضفاف ويغني للأرض .. والفلاح والعامل .. والإنسان المقدوني الذي أسرته الحروب وألقت به في ظلمات الغدر والخيانة .

تميز الشاعر المقدوني ميلادينوف بتجسيد النزعات الذاتية بحيث يرى الوجود من خلف غلاف شفاف لذاته ، وقد أشار أرسطو إلى هذا النهج في الشعر بأن ذات الشيء هي موضوع الفلسفة الأساسية .

وهنا تسبح التجربة الذاتية في نهر الرقة والحنين إلى الوطن . . . وتتجلى قدرة الشاعر في مزج أحزانه الفردية بالاتجاه العام الموضوعي . إنه يتعمق في كيانه يبحث عن نبض الإنسان المتطلع إلى آفاق جديدة ويقول :

كيف أضاع جناحي نسر

لكي أصل إلى بلادي

لكي أرى مكاننا العريق

لكي أذهب إلى كوكوشا وإستانبول الشهيرة

لكي أرى هل هناك أيضا

ينعم الظلام الشمس عند بزوغ الفجر

واستطاع الشاعر المقدوني ميلادينوف أن يحول حركة الشعر في يوغوسلافيا من مجرد قصص وسير شعبية يرويها العامة عن الأساطير والخرافات إلى قصيدة فياضة بالمشاعر ، تعبر عن موقف ،

وترصد وجدان الشعب تجاه الوجود والأحداث والظروف الصعبة .

.. وإذا كان المنفى قد يأتي أحياناً ، اختياري فإن الشاعر ميلادينوف يرفض أن يجلس في الظل
يغني للأرض العارية الغربية والأغصان المتجمدة ويظل متحدياً بحار الهلاك ليشاهد بقعة من
أرض بلاده ، يقول :

لا .. لا أستطيع أن أبقى هنا

ولا أستطيع أن أشاهد الأغصان المتجمدة

أعطني جناحين لكي أضعهما لنفسي

لكي أصل إلى بلادي

لكي أذهب إلى بلدي في دولة أخرى

لكي أرى « أوهريد » لكي أرى « ستروجا »

ويظل ميلادينوف ممزقاً على كف الريح تطوِّحه عواصف الغربة والحلم أن يهتدي إلى ميناء
وطنه ويحط بجناحيه نسر على شجر بلاده .



مارك توين

(١٨٣٥ - ١٩١٠ م)

عبقري أدب الفكاهة والمغامرات الطفولية البريئة الذي اصدر روائعه وهي : رواية توم سوير ، وهكليري فن ، وخط الاستواء .

في هذه الروايات عبر توين عن عبقريته الفذة التي عشقت الطبيعة والتسامح ودعت إلى الحب والخير والصدق والجمال . وصور مغامرات البحار حول نهر المسيسيبي .

وفي الحقيقة ولد مارك توين في قرية صغيرة بولاية ميسوري وعاش فترة من حياته يشاهد نهر المسيسيبي والسفن تبحر على صفحاته الهادئة والنوارس البيضاء تخلق فوق صفحة النهر وتمنى منذ طفولته أن يبحر يوماً على ظهر إحدى السفن ويصبح رباناً أو قبطاناً في يوم ما .

مزج توين دعابته وروحه المرحية في أدبه بالسخرية اللاذعة والنقد الحاد لتناقضات المجتمع الأوربي واضطراب الأنظمة وخلل العلاقات الاجتماعية وتعسف القوانين وسقوط القيم والمبادئ وإهمال النشء وعدم رعايتهم للثقافة والأخلاق الكريمة .

واضطرت توين أن يعمل في عدة مهن بعد وفاة والده حتى يوفر لأمه حياة هادئة خالية من المعاناة . لذلك عمل نقاشاً وبائعاً للصحف وعاملاً في متجر ويحاراً على ظهر إحدى السفن .

خلال تلك الفترة عشق السفر والمغامرات وكشف تاريخ البلاد وقرأ في الآداب العالمية واهتم بالتراث وكتب الرحلات والرحالة والكشوف الجغرافية .

وفي إحدى رحلاته على ظهر سفينة كان يسمع البحارة يصيحون ويخرفون ليعلنوا عن عمق المياه في المضائق الصعبة . وعندما بدأ يكتب للصحافة اختار هذا الاسم ليتذكر رحلاته في البحار ، وأصدر كتاباً صور فيه هذه الرحلات بعنوان « الحياة في المسيسيبي » واسمه الحقيقي صمويل لانجهورن كليمنز .

سافر مارك توين مع أخيه إلى نيفادا وأمضى فترة هناك بين الغابات يمارس الصيد ويطارد الحيوانات ويسجل مغامرات أخرى جديدة ، بدأ يكتب عنها إلى إحدى الصحف في فرجينيا سيتي.

أثارت مقالات توين اهتمام الناس وبدأ اسمه يضيء في سماء الأدب ، وعمل مراسلاً للصحف الأمريكية ، ونشر مجموعة من القصص القصيرة والروايات والمقالات السياسية التي تتناول الحياة والأحداث الجارية والمغامرات .

وعندما نشرت له إحدى المجلات قصة القصيرة عن « الضفدع » بدأ الناس يشعرون بلذة غريبة ويشعرون بسعادة وهم يطالعون أدبه ، ثم أصدر عدة كتب أخرى هي : « الأبرياء في الخارج » تضمنت مشاهد عن رحلاته إلى أمريكا الجنوبية وفلسطين وإبحاره في نهر المسيسيبي .

أما رواية « توم سوير » فهي التي كتبها في قمة شهرته ومجده حيث تجاوزت الحدود وأصبح اسم مارك توين يتردد ليس على ألسنة الكبار بل الأطفال أيضا . وعندما تحولت الرواية إلى فيلم سينمائي لم يعد أحد من الناس يذكر من أعمال مارك توين سوى رواية توم سوير التي تصور مغامرات طفل على نهر المسيسيبي يركض في الغابات ويقوم بالمغامرات البريئة ويثير الفكاهة من خلال سذاجته وتلقائته وعشقه للصدق والخير .

وخلال رحلاته في المدائن والموانئ المختلفة أحب امرأة وتزوجها ونشر مجموعة أخرى من الروايات هي : عصر الذهب ، توم الخطاب ، الأمير الفقير ، وتوقف عن الكتابة في الصحف وإلقاء المحاضرات وعاش لأدبه وفنه الجميل .

وفي نهاية حياته غرق في الديون بعد أن فقد ماله في إحدى دور النشر وظل يعمل ليلاً ونهاراً وأصدر كتاب « خط الاستواء » الذي أنقذه من الإفلاس والضياع .

ورحلت عنه زوجته وعاش مع ابنته ترعاه وتقف بجواره في أزمتة القلبية إلا أن رحيل ابنته في حادث مأساوي ترك أثراً على صحته وحياته .

فظل راقداً في الفراش يكتب وحيداً في بيته ، يلتف حوله الأدباء والمفكرون والناس الذين أحبوه . ونصحه الأطباء أن يتوقف عن الكتابة والتدخين إلا أنه ظل يدخن السيجار والابتسامة لا تفارق شفثيه ويتحدث بسخرية عن المصير والقدر والموت والحياة والضياع .

وقبل أن يموت منحته جامعة "يال" في أمريكا درجة الدكتوراه الفخرية وكذلك جامعة أكسفورد في إنجلترا .



تشايكوفيسكي

(١٨٤٠ - ١٨٩٣ م)

تشايكوفيسكي هذا الموسيقار الروسي البارِع الذي أيقظ الخيال وأطلق عصافير الحلم وحرر مشاعر الحب والانسجام في بآليه « بحيرة البجع ».

هاهي ذى ملكة البجع « أوديت » تتحول إلى غادة عذراء جميلة يُذهل سحرها الأمير الذي خرج للصيد . ويعجبها ويدرك أنها سحينة تأثير الساحر الشرير الذي حكم عليها أن تظل بجعة نهارة وامرأة ليلا ، ولا يبطل هذا السحر إلا إذا عشقها رجل صادق مخلص .

فلا يجد الأمير مفرا إلا أن يهرب مع حبيبته ويقفزا معا في بحيرة البجع ، وهنا ينتهي السحر وتعود العذراء إلى طبيعتها امرأة جميلة ويموت الساحر بعد أن يفشل في التأثير على الأمير ليزوجه ابنته .

و"بحيرة البجع" من فنون البآليه الذي أبدع فيه تشايكوفيسكي وكذلك "الجمال النائم" و"كسارة البندق" . ويعتبر تشايكوفيسكي أحد عباقرة الفن الموسيقي مع بيتهوفن وموتسارت وباخ وفاجنر . وقد بدأ يتعلم العزف منذ طفولته ودرس القانون وعمل في وزارة العدل وظل يواصل دراسته في الموسيقى والعزف . وبعد أن درس نظريات التأليف الموسيقي وبدأ يترجل بعض الألحان قدم استقالته من عمله بوزارة العدل واحترف الموسيقى ، فقام بتلحين نشيد السعادة للشاعر الألماني شيلر وبدأ في تأليف السمفونيات والأوبرا والمعزوفات والأغنيات القصيرة .

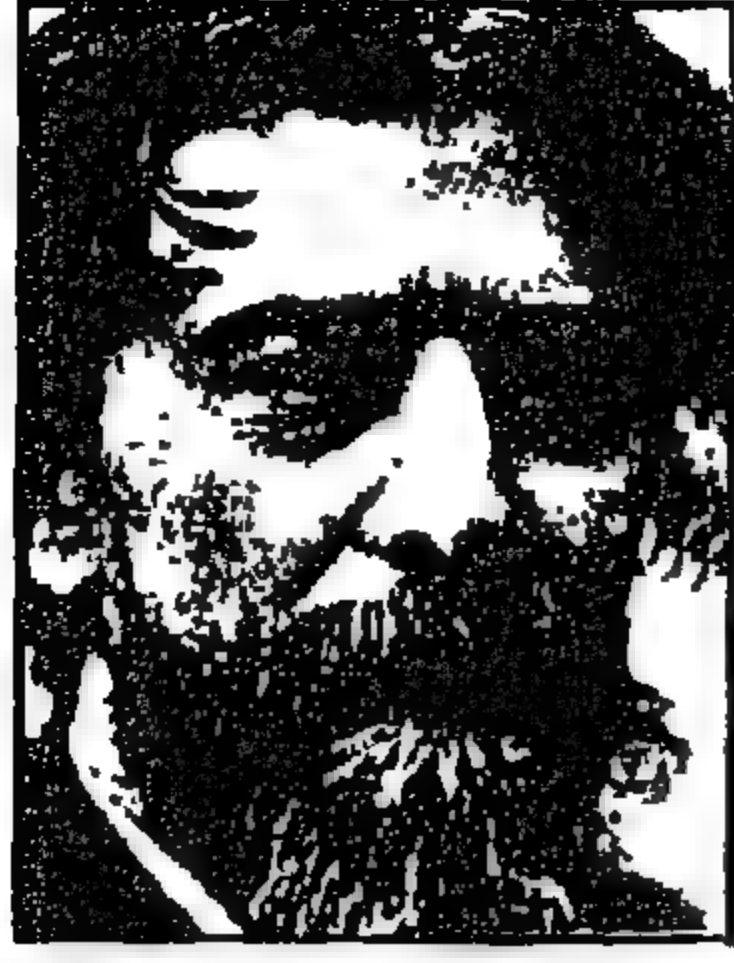
تميزت موسيقاه بالركة والروح الرومانسية التي تثير كوامن النفس وشجون القلب وترحل بالروح في عالم من الشفافية ونغمة الأسى . وقد شعر الموسيقار في البداية باليأس والتشاؤم والحزن لأن أعماله لم يكن لها صدى في القلوب رغم انتقاله إلى العواصم الأوربية ورحيله الدائم عن موسكو . ثم فشل زواجه الأول الذي أدى به إلى العزلة والإصابة بالمرض فذهب إلى سويسرا للعلاج .

بدأ يعود إلى موسيقاه مرة أخرى حتى جاءت رسالة من امرأة ثرية تعشق الموسيقى ، أحبته وقررت أن تمنحه ما يريد من المال ليعود إلى التأليف . وكانت هذه المرأة الثرية المجهولة هي رفيقة روحه ، وإلهامه الذي يفتح له ينابيع السحر والفن والجمال . فكتب كثيراً من المؤلفات الموسيقية وهو يحلم أن يشاهد هذه المرأة التي نفضت عنه الأحزان وأشرقت عليه بشمس دافئة في ليل بارد.

وفي عام ١٨٧٥ بدأت أعماله تجتاح أوروبا والعالم ، وتألّق اسمه واشتهر في كل مكان وانهالت عليه الدعوات لزيارة البلاد الأوربية والشرقية ، فأقام الحفلات والعروض واستمر في إبداع موسيقاه. ونحس في هذه الموسيقى بعضاً من أحزانه ولهفته إلى التطلع للمرأة التي ساندته ووقفت بجواره دون أن يراها حتى انقطعت رسائلها عنه ، ففرق في الحزن وأودع في الموسيقى شجون أحزانه وإحساسه بالانهيار والفقدان .

وظلت موضوعات الحب هي الأثيرة لديه ويتجلى ذلك واضحاً في "بحيرة البجع" والقصيد السيمفوني "رومي و جوليت" و"الجمال النائم" حيث تصحو الأميرة من النوم بعد مائة عام على قبلة حبيبها أمير الأحلام . وتدور قصة «الجمال النائم» حينما كان الملك والملكة في حفل كبير من أجل طفليهما «أوروا» وجاءت الجنيات يرقصن ويتميلن في خفة حول مهد الطفلة الجميلة ويقدمن الهدايا السحرية لهذه الأميرة الصغيرة حتى جاءت فجأة الساحرة الشريرة تعترض على عدم دعوتها إلى الحفل فتحكم على الأميرة أن تظل نائمة مائة عام ثم تصحو الأميرة على قبلة فارس الحب والأحلام .

وقد تأثر الموسيقار تشايكوفسكي بالموسيقى الفرنسية والألمانية والإنجليزية ، وحاول أن يبدع الجديد ويبتكر روحاً خالدة في الحس الموسيقي بعيدة عن التقليد أو التأثر الواضح . وقد نجح في خلق موسيقاه الفريدة التي تأسر جوانب الروح ، ونحس فيها معاني الحب والخير والإشراق .



الفونس دوديه

(١٨٤٠ - ١٨٩٧م)

الفونس دوديه أديب فرنسي تميز بدقة تصويره للواقع وخفقات النفس تجاه ما يصادفها من محن ومآسي .. وكيف تصحو هذه النفس لتواجه اليأس والسقوط بصلابة وتحذ .
ومن مجموعاته القصصية : الشيء الصغير .. تارتارين دوتاراسكون .. رسائل طاحونتي ..
حكايات يوم الاثنين وغيرها من القصص الإبداعية التي يهتز فيها الضمير ويثور العقل ضد الشر والفساد .

وفي إحدى قصصه القصيرة وهي «الدرس الأخير» تتردد في أعماق البطل انفعالات ثائرة وتمرّد عنيف وصحوة من عالم السبات . ويشعر البطل أن هناك موقفاً لابد أن يدافع عنه ويعلن فكره ضد كل ما يغتال أغاريد الصباح وبراعة الطفولة . ونلاحظ كيف تتجلى في كيان البطل تلك الصلابة والإرادة التي تواجه الصعاب وتؤكد حضوره الإيجابي ، بعدما كان مجرد قشة في مهب الريح أو فكر بلا انتماء وهذا ما حدث في قصة «الدرس الأخير»

في القصة يرقب التلاميذ الصغار أستاذهم الذي حضر مبكراً إلى المدرسة وقد ارتدى بذلته الأنيقة السوداء ورباط العنق وحمل في يده حقيبة سفر . بدا على الأستاذ المفتون بحب وطنه فرنسا إمارات الأسى والحزن العميق ، فقد سقطت فرنسا تحت الاحتلال الألماني ، والجنود قادمون الآن على الطريق لاحتلال القرية التي يعيش فيها ويقوم بالتدريس للأطفال في المدرسة . وما عليه الآن إلا أن يرحل من القرية لأن المدرسة سوف تغلق ، وسيطر الألمان على كل شيء ويصادرون فرحة الأطفال وأيضاً الحرية واللغة الفرنسية التي يتحدثون بها .

كل هذه الأفكار تدور في ذهن المدرس والدموع تترقرق في عينيه وهو يقف أمام الأطفال داخل الفصل ماذا يقول لهم كيف يعبر لهم عن هذه المحنة ؟ والأطفال الأبرياء لا يعرفون شيئاً فدخل المدرس إلى الفصل وكتب على السبورة هذه العبارة : الدرس الأخير .. ثم نظر إلى

الصغار وقال والدموع تنحدر من عينيه :

لستم المذنبين فيما يحدث حولنا .. أنا المذنب الحقيقي .. أنا الذي تسامحت في بعض الأمور..
وتهاونت في موقفي كثيراً .. أنا المسئول عن الوقت الذي أضعتموه بلا جدوى أو فائدة .

ونظر الأستاذ إلى أحد التلاميذ وأستطرد قائلاً : لست أنت المذنب يا بني .. كل منا يخفي في نفسه أشياء يؤنب عليها .. من الغد سوف تكون الدراسة بلغة الأعداء .. وهذا هو الدرس الأخير باللغة الفرنسية .. لغة فرنسا ووطننا الغالي .. إنه الدرس الأخير .

ويسود صمت رهيب على الفصل وعيون التلاميذ ت برق بحدة لا تدري أي معنى خلف هذا الحزن ، ويفكر أحد التلاميذ وهو يسمع هديل الحمام فوق أبراج القرية هل سيكون هديل الحمام في الغد أيضاً بلغة الأعداء ..

ويتوقف الأستاذ ليجفف دموعه ، ثم يعود بحزن ليقول :

أصدقائي الصغار .. أبنائي .. أنا المذنب الوحيد .. أنا المسئول عن سقوط فرنسا .. أنا .. أنا .. أنا ..
ولم يستطع الكلام فقد خنقته العبرات .. ومن بعيد كان صوت أحذية الجنود تقترب من القرية وبعض الصراخ .. ويعود الأستاذ ليكتب على السبورة : تحيا فرنسا .. ثم خرج من غرفة الدرس ، والتلاميذ الصغار يتطلعون والدموع تترقرق في عيونهم ، والصمت يشملهم ولا يصدر في الفضاء سوى صوت أحذية الجنود الألمان وهم يقتحمون القرية .

ولا شك أن هذه القصة القصيرة لها رموز وطنية يستشفها القارئ من خلف المعاني والصور عن القيم التربوية الوطنية التي يجب أن نزرعها في أذهان التلاميذ لتعمق قضايا الانتماء والارتباط بالوطن والحياتي بالأرض والوطن ، وأن الإنسان لا بد أن يعيش لقضية وطنه وهذا يبدأ من السنوات الأولى مع الطفل فقد اعترف المدرس أنه قد أضاع كثيراً من الوقت في اللامجدوى ، وأنه المسئول عن سقوط فرنسا ، وتلك هي مسؤوليته . وإذا شعرت أنك مسئول حقاً عن كل ما يحدث في بلادك من خلل أو فوضى أو هزيمة فقد ارتفع لديك مستوى الانتماء إلى أقصى وأعظم مستوى ، فلا قيمة للإنسان إلا بحياة يعطي فيها للآخرين ويساهم معهم في البناء والدفاع وزرع وردة في صحراء الوجود تصبح حدائقاً وظلاً للحائرين والمرهقين .



توماس هاردي

(١٨٤٠ - ١٩٢٨ م)

تومس هاردي ولد في منطقة دورست شاير جنوبي غرب إنجلترا وأطلق عليها في قصصه اسم ويسكس . وعاش في حقولها الخضراء هاربا إلى ظلال الشجر الوارف .. ورفقة الغدير وتحليق الطيور والفراشات وتغريد العصافير وغناء الجداول والأنهار .

عشق هاردي الطبيعة وذاب بأحزانه مع الريح والعواصف وغزارة الأمطار .. وكشافة السحب .. وصوت الرعود والبروق وتمزقت ذاته شفقة على كائنات الحياة التي لا حول لها ولا قوة في مواجهة قوي الطبيعة وجسارتها .

واعتقد أن هناك أقدارا دامية تضرب الكائنات وتمزقها وتلاعب بالأرواح وتسخر من الطموحات وتهزأ من الآمال والحب والمشاعر الرقيقة .

ولعله شعر بالتشاؤم رغم القيم الجمالية في الطبيعة ، وأيقن أن هذا الوجود مأساة تحطم البشر في صراعهم المرير بين الرغبات الغريزية والحياة والموت والفراق واللقاء .

إن هناك ظلما يعصف بالنفوس وخناجر ترشق في الروح وآهات تتحشرج .. أنات تعلو في الليل بين سموم الغيرة والأحقاد والشهوات المفزعة والرغبات العمياء القاتلة .

وإذا قرأت روايته « نسي سليله دربرفيل » تأزمت روحك وانكسر قلبك مع البطلة ضحية العادات والقوانين الحازمة والزائفة ، وتعاني المرأة دون رحمة أو تسامح وتسقط محطمة تحت وابل من الكوارث فلا تجد مفرا سوى اقتراف جريمة قتل وتشنق في النهاية .

وغضب الناس على هاردي لهذه الصورة الأثمة للمرأة « نسي » فقد وجه إدانته إلى مجتمع المادة والمد الاستعماري والمبادئ القائمة على الاستغلال والدمار والعنف والاستعباد .

ودرس هاردي الهندسة المعمارية وعشق الكنائس القديمة والتحم بالتراث الفني ، وقد وظف

هذا الحب في كتابة رواياته بطريقة هندسية حيث يضيف الجزئيات والتفاصيل إلى بعضها في تزيين وتنسيق وتحليل نفسي مقنع حتى عرفنا أن أبطاله شخصيات نابضة بالحياة قادرة على الإحياء بذاتها وأحلامها ومأساتها وأيضاً معبرة عن انهزامها وانكسارها أمام قوى الطبيعة والقوانين الاجتماعية والسياسية الظالمة .

اتجه إلى الشعر وتوقف عن الرواية ونشر ستة مجلدات تضم شعراً غنائياً عام ١٩٣١ وترك في الأدب الإنجليزي مجموعة روايات منها : علاج ميئوس سنة ١٨٧١ ، عودة المواطن ١٨٧٨ ، رجال الغابة سنة ١٨٩١ ، جود الغامض سنة ١٨٩٢ ، وقصصاً أخرى هي : تحت الشجرة الخضراء ، عمدة كاستربريدج ، يهوذا المغمور ، بعيداً عن الجمهور ، اثنان فوق البرج ، عينان خضراوان وغيرها .

وأصبحت هذه الأفكار هي السائدة في أدب توماس هاردي ، ولذلك ثار ضد العصر الفكتوري بما يرمز إليه من جمود في الفكر والصنعة في الأدب والاهتمام بالشكل والزخرفة اللغوية .

ويقول هاردي :

لا فائدة من الحياة مادامت تمنحنا الآلام دوماً ، وما الإنسان إلا عابر طريق مظلم ويده مصباح لكن النور خافت وضئيل والظلمات حالكة وكثيفة .

وحين نقرأ روايات هاردي تلمح رموز هذا التشاؤم في الأشخاص الحفاة وتعاسة الأبطال وعذاب الشهوات والظماً إلى المال والنفوذ والسيطرة ورغم تعاطف هاردي مع كائنات الحياة إلا أنه سخر من مواقفها وأيقن بأن الحب ليس إلا لعبة خاسرة بين الرجل والمرأة .

وقد شعر الناس بالكآبة لهذا الأدب التشاؤمي الذي يحطم النفس ويدمر انطلاقة الروح ويثير الشجن والأحزان في القلوب . ولكن هاردي يقول لهم :

أنا لست متشائماً وإنما أصور الحياة على حقيقتها .

وفي أدبه تلمس ملامح من عصره حيث إنجلترا سيدة البحار وانتصارها في حروب القرم ، الرخاء الاقتصادي ودعوات الإصلاح وانغماس الناس في البحث عن المال وإهمال الشعور والفكر والمواقف الإنسانية .



إميل زولا

(١٨٤٠ - ١٩٠٢ م)

إميل زولا رائد المدرسة الطبيعية في الأدب حيث دعا إلى تصوير شخصيات الرواية بصدق بعيداً عن قوانين الأخلاق والشرائع دون زخرفة أو رموز وإنما تجسيد بشاعة البطل بفطرته وغريزته وإقباله على المتع وسقوطه ضحية آثامه وشروره .

ويحاول زولا أن يقترب من النفس البشرية في بؤسها وانهزامها وضياعها وشرورها فوق الأرض واستغراقها في الرذيلة والتفاق والرياء وتحللها من كل فضيلة أو ميزة أخلاقية . ويرى زولا أن مواجهة حقيقة النفس البشرية لا يكون واضحاً ومنكشفاً دون مواربة إلا في لحظات التدهور الأخلاقي والتمزق الوجداني والتردي في هاوية الفساد ، وتلك محاولة لعلاج الإنسان والتعرف على أمراضه النفسية والذهنية وارتباطها بالبيئة والأرض والتاريخ .

وتأثر زولا إلى حد كبير في منهجه هذا بالمنهج العلمي الذي اتبعه كلود برنار (١٨١٣ - ١٨٧٨ م) العالم الفرنسي المتخصص في علم الأحياء ، وأصبح كتاب برنار « مقدمة في الطب التجريبي » هو الأساس الذي استمد منه زولا مبادئ المذهب الطبيعي في الأدب .

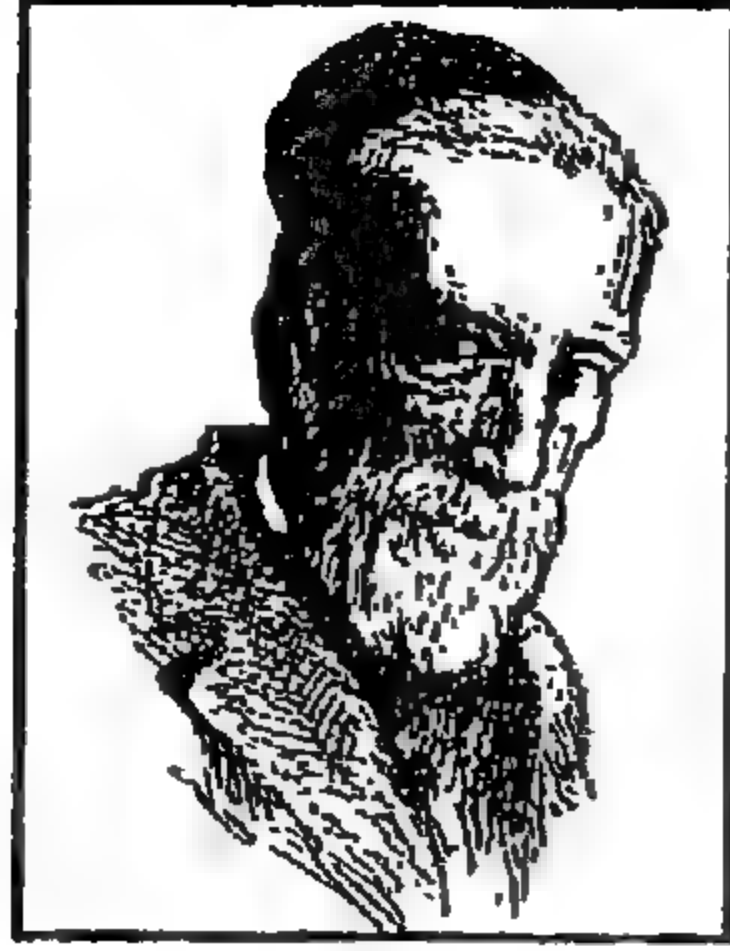
واقترح زولا بأن الكاتب الروائي الطبيعي عليه أن يظهر التجارب الحقيقية للإنسان في المجتمع دون زيف أو تجميل ، وأن يتبع التحليل النفسي لأن الإنسان هنا جزء من الطبيعة يتأثر بعوامل الوراثة والبيئة .

- ويقول زولا موضحاً مفهومه الطبيعي للأدب : إننا علماء أصحاب عقول تستخف بكل شيء وتسخر من الخوارق ، وتتبع القواعد العلمية لكشف الحقيقة الكاملة ونُعنى في تصوير الإنسان بعاداته وملامحه وسماته النفسية والشكلية الخفية والظاهرة وتفسير بيئته ومولده ونشأته ومماته حتى نصل إلى إضاءة هذا الكائن ورؤيته والتعرف على الظروف الاجتماعية التي تسحقه وتدمره والأقدار التي فرضت عليه حالات خاصة عجز عن مواجهتها .

ولذلك نلاحظ في روايات زولا أنه يستعين بالتجارب والأبحاث الفسيولوجية ويذهب لمشاهدة الأماكن والأشخاص ويتعرف على اللغة وإيحاءاتها ، ويتلمس الآمال والخاوف والطموحات والعقائد ليجعل من أبطاله صوراً صادقة منحوتة من الطبيعة ، ويمكنها أن تقف أمام هذه الظروف والقوانين الجبرية والدخول في معترك الحياة وإلقاء الضوء على الأفاقين والمغامرين والقوادين والسكران واللصوص والأوغاد وسفلة الطبقات البرجوازية .

أصدر زولا مجموعة من روايات عن الإنسان العادي ابن الأرض الفقير المنهزم الباحث عن .. صدى لغرائزه وأنانيته الفردية ومن هذه الأعمال : رجون ساكار ١٨٧١ ، المدمنون ١٨٧٥ ، نانا ١٨٧٨ ، جرمينال ١٨٨٥ ، الأرض ١٨٨٧ ، الدكتور باسكال ١٨٩٣ ، الإنجيل الجديد .

وقد ولد إميل زولا في باريس ومات والده وهو مازال طفلاً فواجه الفقر والذل والبؤس حتى اضطرت أمه أن تعمل خادمة في أحد البيوت لتنفق عليه وسعى إلى العمل في إحدى دور النشر ، وبدأ ينشر أقاصيص ومقطوعات شعرية في الصحف والمجلات . وأحب فتاة اسمها ألكسندرين وعاشا معاً فترة من الزمن لم يرزق منها أطفالاً ولكنه ظل واهباً عمره وحياته لأدبه ، وكان يحب أن يجلس في غرفته والنوافذ مغلقة والستائر مسدلة ولذلك حين تسرب الغاز في بيته لم يشعر به أحد ، ومات مختنقاً في شقته .



اناتول فرانس

(١٨٤٤ - ١٩٢٤م)

نشأ أناتول فرانس في أسرة فقيرة وفتح عينيه على مكتبة والده الذي يعمل تاجرًا للكتب وأتاح له أن يقرأ روايات كثيرة وقصص تاريخية .

وفكر أناتول فرانس بعد أن حصل على البكالوريا أن يعمل في تجارة الكتب مثل أبيه ولكنه فشل في ذلك ، وأهتم بفحص المخطوطات غير المطبوعة والمنشورات القيمة ومراجع النصوص الأدبية وانضم إلى مكتبة مجلس الشيوخ ، وأصدر في تلك الفترة مجموعة قصصية ، وكتاب « القصائد الذهبية » .

تعرف على صالون الأدبية مدام كيافية وأحبها حبًا عميقًا حتى تصدعت حياته الزوجية وقرر الانفصال عن بيته وزوجته وكتب إلى مدام كيافية يقول لها :

يا ثروتي يا كل شيء أحبك

أحبك للغاية

أنا سعيد في حزني وآلامي

وأبارك عذاباتي وأحزاني

فهى أتية من منبع فرحي نفسه

كل ما يصلر عنك يكون مباركًا

وأصدر أناتول فرانس رواية (تاييس) من وحي إلهام مدام كيافية ، ورغم أن الرواية أثارت أهل الدين عليه إلا أنه دخل المعارك السياسية بروح جسورة وكتب عن أعضاء مجلس الشيوخ أنهم بلا مواهب ولا ثقافة واضطر أن يقدم استقالته في النهاية .

وذهب ليعيش مع مدام كيافيه حيث خصصت له مكتباً ومكاناً في بيتها ، ولكنه لم يشعر بالارتياح رغم أنه أصدر عدة أعمال روائية ونشر مقالات تهاجم عيوب المجتمع والنظام البرلماني وحكم الملوك والأباطرة .

ومن أشهر أعماله في تلك الفترة « الزنبقة الحمراء » التي لاقت نجاحاً كبيراً ، وأصبح أناتول فرانس من رواد تلك المرحلة الأدبية يعيش في بيت كبير مع خادمه وكل يوم يذهب إلى بيت مدام كيافيه ولا يعود إلا آخر النهار ويقول عن الحياة :

— إن نظرنا إلى الحياة هي مجرد نتيجة كابوس جائم على صدورنا ينبع من تلك المواقف القاسية والمحن التي ترمق أرواحنا ، والطبيعة لا شك تستهزيء بجهلنا وسذاجتنا .

وانخرط أناتول فرانس في قضية إصلاح البلاد وبدأ يدعو إلى الاشتراكية ويلقي خطبا في الأمسيات العمالية والجامعات الشعبية ورابطة حقوق الإنسان وينادي بالعدالة ويهاجم الحروب .
وأصدر كتابه عن المجاهدة « جان دارك » وانتقده كثير من النقاد بأنه رسم صورة لهذه القديسة تتصف بالتهور والاندفاع .

وفي كتابه « جزيرة البطريق » عبر عن رسالة نقد عنيفة وجه فيها الانتقادات للتقاليد التاريخية ورجال الدولة وقال بأنهم يتسلقون السلطة من أجل الامتيازات المتعلقة بوظائفهم .
وتنبأ أناتول فرانس بأن هناك حرباً شاملة سوف تغرق العالم في بحر من الدماء ، ويلجأ إلى مدام كيافيه يكتب لها :-

سوف أحبك مثلما كنتِ

وسوف أجيبك إنني لكِ

نعم إنني لكِ

إذا لم يبق في قلبي إلا خرائب

فإنها أيضا لكِ

بجميع ظلالها وخريفها

لم يبق لدي ما أعطيكِ

إلا ياسي فتقبله

ويهرب أناتول فرانس من الصراعات السياسية ومعاركه مع الأنظمة ويختبئ في بيت مدام
كيفيه ويقول لها :

أراك باستمرار
رأسك على كتفي
وجفونك مسبله
وعلى شفتيك تلك البسمة
العميقة رائعة الجمال
التي تسبق نسيان العالم

وتضمه إليها مدام كيفيه وتهمس له :

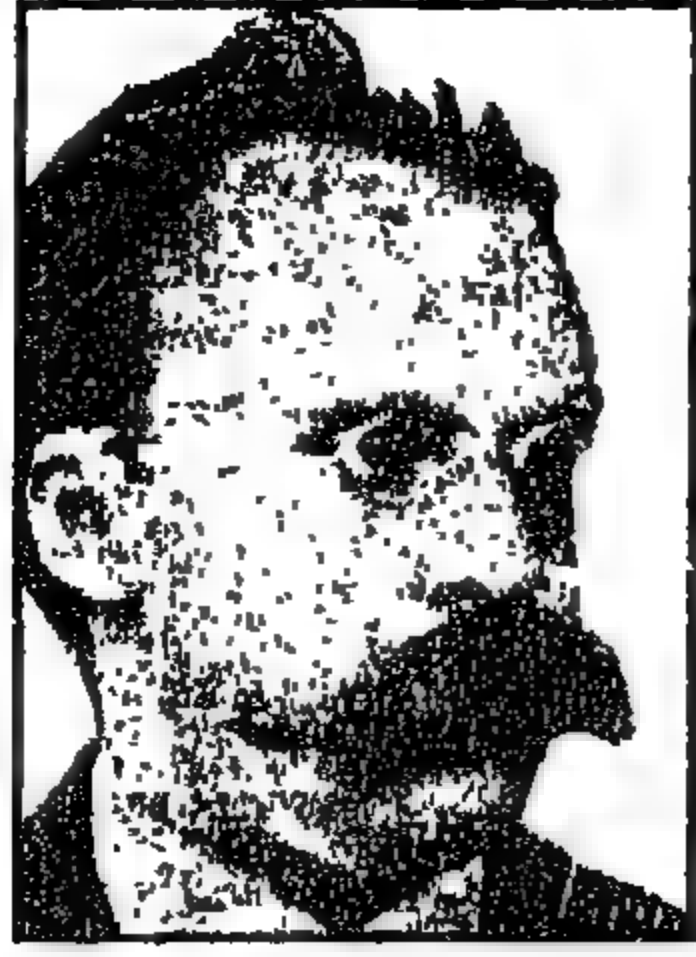
أنا لا أعيش إلا من أجلك وأعذبك
إنني أحبك . . أحبك من أجل نفسي
أغفر لي . . أتوسل إليك
أتمنى أن يكون لي عمر آخر لأمته لك
ولكن القليل الباقي هو لك

وقام بجولة أخيرة بعد أن تجاوز الستين من عمره إلى الأرجنتين يلقي المحاضرات ويكتب
القصائد إلى مدام كيفيه .

وحين ماتت مدام كيفيه استسلم للحزن واليأس وأعلن :
لقد فقدت سبب بقائي ووجودي
إن غيابها هلاك
افتقادي لها هو الموت

وأصدر عدة كتب هي : الآلهة العطشى ، و ثورة الملائكة ، واحتفل بعيد ميلاده الثمانين
وبدأت صحته تنهار وفي ليلة تتم بكلمات غير مفهومة وأرخی أهداب عينيه واستسلم لصوت
في داخله يقول :

إنها لمؤلة حياة البشر ولا توجد هدنة لآلامنا .



نيتشه

(١٨٤٤ - ١٩٠٠ م)

فيلسوف وشاعر عاش يؤسس مجدداً لأفكاره ويحلم بإنسان آخر يستطيع أن يحقق للمعذبين والبؤساء أحلامهم في حياة جميلة . كان يبحث في حقيقة الوجود والتناقضات الغريبة بين الحياة والفن ويقول :

- مازلت أشعر بالفرع المقدس وأنا الآن أمام هذا الصراع العجيب !!

وتأتي فلسفته لتقرر بأن هناك انساناً أكثر رقياً وأسمى من الفرد العادي ، يعلو فوق الصفات السائدة للبشر . . إنه « السوبر مان » الذي تكمن في داخله إرادة القوة ، ومن هنا لا بد للإنسان أن يحاول أن يصل إلى إرادة القوة حتى تتيح له السيطرة على الحياة ويستمتع بلذة البطولة والأعمال الخارقة .

إن تمجيد الانسان لتميزه وقدراته الخاصة ، ومقاومته ونضاله ضد الأنظمة التي تعرض العنف والقهر أحدث أثراً في حياة الأمم والشعوب ، حتى بدأت الأنظمة الاستعمارية تدرس فلسفة نيتشه وتخاف إرادة الانسان وبطولاته .

وقد صاغ نيتشه هذه الأفكار في كتابه « هكذا تكلم زرادشت » حيث يهبط زرادشت إلى الأرض بعد أن ظل منعزلاً أكثر من عشر سنوات في جبال الألب ، ويحاول أن يمنح الحكمة والموعظة لهؤلاء الذين انصرفوا إلى تفاهات الحياة ، ودعا إلى غلبة العلم على الجهل والخماسة واليأس ، وأن في داخل الكائن البشري طاقات هائلة يمكنه من خلالها أن يصل إلى أعلى مستوى من الإرادة ومواجهة الصعاب .

ويقول :

- استحلّقكم أن تكونوا أمناء للأرض وتفسحوا الأرض حتى يتاح لها أن تنجب يوماً ما السوبر مان.

وكانت تجتاح نيتشه أزمات نفسية وعقلية وظل حوالي إحدى عشرة سنة فاقدًا قواه العقلية
ولذلك تعددت مواقفه الفكرية ، وكثرت تناقضات كثيرة حول فلسفته .

وفي قصيدة « المجد و الأبدية » يقول :

يا دمع الضرورة
يا كوكب الوجود الأعلى
يا من لا تتركه رغبة
ولا تلطخه لا ..
يا نعم الوجود الأبدية
أنا نعمك إلى الأبد
لأنني أحبك أيتها الأبدية

وعاش في نهاية عمره يعاني الوحدة والسأم والشروء والهذيان ويقول :

من يلفتني
من الذي لا يزال يحبني
أعطوني يدين دافنتين
اعطوني فحم القلب
ممد مرتعش
تنفصني آهات نيران حمى مجهولة
وأرتعد من سهام الصقيع الحادة
مطارد أمامك يا أيتها الفكرة

وفي أحد الليالي الممطرة انتابته حمى شديدة ولم يستطع الكلام . . واستسلم فيلسوف القوة
والإرادة لفجعة الموت الأخيرة .

وقبل أن يموت كتب إلى أخته قائلاً :

- عديني عندما أموت ، لن يقف حول نعشي سوى أصدقائي ولن يكون حولي أحد من الغوغاء المتسائلين ، واعلمي على ألايلقي قسيس على قبري أكاذيب وأنا عاجز عن حماية نفسي ، وودعيني إلى قبري وأنا شريف .

وعندما مات لم ترثه جريدة ولم تذكره جامعة ، ولكن بعد سنوات طويلة بعثت ذكراه مرة أخرى وأثارت ضجة حول الإنسان السوبر مان .

ومن أهم مؤلفاته : المسافر وظله ، العجز ، المعرفة ، الفرحة ، هكذا تكلم زرادشت ، ما وراء الخير والشر ، عشق المعبودات ، منابع التراجيديا وغيرها .



مدام كيافيه

(١٨٤٧ - ١٩٠٧ م)

مدام كيافيه أديبة وصاحبة صالون أدبي ضم العديد من الأسماء الشهيرة في الأدب الفرنسي ومن أهمهم : أناتول فرانس الذي ارتبطت معه بعلاقة حب عميقة .

اسمها الحقيقي ليونتين لييمان ، ذات أصل نمساوي فقد تزوج أبوها أوغست لييمان امرأة تنحدر من أسرة ثرية واستقروا في باريس في مطلع القرن التاسع عشر .

تعلمت ليونتين لييمان في وسط ثري أنيق الألمانية والإيطالية ودرست الآداب والفنون الجميلة والفلسفة و زارت أهم مدن أوروبا .

في عام ١٨٦٧ تزوجت من البير أرمان دي كيافيه ، ولم تدم الحياة بينهما كثيراً فقد كان مقامراً عريداً ، لا يحترم زوجته ولا يقيم اعتباراً للقيم الأخلاقية . وعاشت معه مدام كيافيه تعيسة وتحملت من أجل طفلها ، ولكنها لم تستطع أن تقاوم هذا الصخب والحياة الماجنة لزوجها فقررت الانفصال عنه .

اهتمت مدام كيافيه بالآداب والفنون الرفيعة وترددت على الصالونات الأدبية المنتشرة في فرنسا خلال تلك الفترة ، وقد أعجبت بصالون مدام أوبيرنون وبدأت تفكر في إعداد مشروع لتأسيس صالون أدبي يهدف إلى مناقشة الفكر السائد في الحياة الأدبية وطرح أفكار جديدة حول الآداب والفنون .

واستطاعت أن تحقق مشروعها الكبير بإعداد الصالون الأدبي الذي قصد عدة أهداف منها :
— إيقاظ الحركة الفكرية و استثمارها في معارك فنية وأدبية ونقدية يشارك فيها الأدباء الكبار والجمهور المتذوق للفن والأدب .

اقترب من صالونها كبار الشعراء والأدباء الفرنسيين ، وكانت مدام كيافيه من خلال روحها المنطلقة وثقافتها الواسعة وحبها العميق لروح المناقشة وللساتها الحنونة لآلام الشعراء أن أصبحت شخصيتها الإنسانية مصدراً لإلهام وإبداع أعمال أدبية كثيرة .

ويذكر أن الشاعر أناتول فرانس الذي كان يتردد على صالونها الأدبي قد كتب كثيراً من أعماله من خلال إلهام مدام كيافيه .

شاهدت مدام كيافيه الشاعر أناتول فرانس في صالونها الأدبي وأعجبت في بادئ الأمر بخجله الشديد ورقته المتناهية وقصائده التي تعبر عن وحدة الإنسان في عالم قاسٍ .

وكانت مدام كيافيه رغم صالونها الأدبي الكبير تحس بالتعاسة فهي مازالت وحيدة بين الجدران والكتب والمقاعد الصماء ، الغربة تنهش روحها فتهرع إلى قصائد الشاعر أناتول فرانس لتبحث عن ذاتها الممزقة داخل هذه الصورة الشعرية حيث يقول :

إنني أتألم من خلالك
وأحبك لأنك بؤسي وكبريائي
فرحي والمي
روعة الأشياء وقسوتها
لأنك الرغبة والفكر
لأنك جعلتني شبيهاً لك
إنني أعرف وأرى وأحس
وأريد وأتألم

وحين التقت بالشاعر أناتول فرانس عبرت له عن إعجابها بهذه القصائد الأخيرة التي يكتبها ، فإذا به يهمس لها قائلاً : (كتبها لك) . ولم تتمالك مدام كيافيه مشاعرها وارتمت تبكي على صدره وتهمس له : (يا عمري ..) .

وظلت مدام كيافيه تعشق الشاعر أناتول و يحدثها عن أحلامه و معاناته و طموحاته وكيف أن حياته ممزقة مع زوجته التي لا تحبه وتفخر دائماً بأسرتها الثرية وتشير المشاحنات معه ولا تؤمن به كأديب وشاعر له دور كبير في الحياة .

وشعرت مدام كيافيه معه بلذة روحية في عشق هذا الشاعر المضطرب الإحساس المرتعش المشاعر عميق الفكر والتأمل ، وأيقنت أنها وجدت الرجل الذي تحبه ، فكتبت له تقول :

أنا لا أعيش إلا من أجلك
إنني أحبك بضرواة أحبك من أجل نفسي
اغفر لي .. أتوسل إليك
وأتمنى أن يكون لي عمر آخر
لامنحه لك

وكتب أناتول فرانس روايته « تاييس » من تأثير مدام كيافييه ، وهى أسطورة مزجها فرانس برؤيته الفنية الخاصة عن المرأة التي ترمز إلى الخطيئة وموقفها من الفنان الذي عشقها بظهر وإخلاص .

وعاشت مدام كيافييه قصة حب عنيفة ووهبت روحها وحياتها للشاعر أناتول فرانس وناقشت رواياته وقصائده في صالونها الأدبي ودفعته لتحقيق أحلامه والدفاع عن قيم الحياة ومهاجمة النظم الفاسدة في الدولة والبرلمان .
وتكتب مدام كيافييه إلى أناتول فرانس :

لو كنا نستطيع الهروب نحن الاثنين

والاختفاء بعيداً عن هذا العالم . .

ولكن نحن ضائعان والمجتمع سجن كبير

ونظل لنا الملذات الخاطفة

والمختلصة التي يعرفها السجناء

وتحيا مدام كيافييه مع شاعرها العاشق ، وتنساب كتاباته في الصحف والمسرحيات تمثل وتنشر والقصائد تتألق في سماء الشهرة ولكنه يواجه هجوماً من أهل الدين و يتهمونه في عقيدته وديانته ولا سيما بعد نشر روايته (تاييس) ولكن مدام كيافييه تقول له :

— أنت ارتقيت بي وسموت بذوقي في النقاء وألهمتني كل شيء ومنحتني كل شيء . . أنت موهبة فريدة وانفعالات حادة جديرة بالحب أنت قمة في البراعة . . أنت أجمل قصيدة حب لأجلي كتبت . . أنت ومضات النور في عيني سكبت أنت أحلى معاني في دربي رسمت . أنت أروع سيمفونية في قلبي عزفت أنت الهوى . . أنت المنى والعين من فرط حنانك دمعت . . أموت فيك حبيبي وروحي في روحك سكنت . .

وبعد أن رحلت مدام كيافييه عن الحياة تشربت روح أناتول فرانس بالحزن وكتب قائلاً :

لقد فقدت سبب وجودي

وإمكانية الحياة

إنها الحياة ومازالت في داخلي

ولن تموت إلا بموتي



خريستوف بوتيف

(١٨٤٨ - ١٨٧٦ م)

خريستوف بوتيف شاعر بلغاري مناضل ، علا صوته الثائر في سماء وطنه يحث شعبه على النضال والتحرر من الحكم العثماني فجرت قصائده لهيب الحماسة الوطنية والثورة والتضحية من أجل بلغاريا وحريتها .

وأجمل ما في حياة هذا الشاعر أنه كان يحارب بالكلمة و القصيدة وامتزجت في شخصيته دماء البطولة بالإبداع الشعري فقد وقف يهاجم الاحتلال العثماني ويحاول إيقاظ غفوة شعبه والخائفين الرجعيين المتتبعين بالاحتلال ونفوذه ، وألقى الخطب الثائرة والقصائد التي تعبر عن نضال بلغاريا واستشهاد أبنائها ومواقف رجالها في وجه العبودية والطغيان يقول في إحدى قصائده :

لا تدر في الدموع يا أم ولا تحزني

أجل إن ابنك ثائر ثائر متمرد

لقد تركتك يائسة حزينة على ابنك البكر

لا تبكي يا أم والعني جور المقتصب

الذي طردنا نحن الشبان

حيث نهيم لا دفء ولا مأوى

محرومين من الحب محرومين من كل شيء

وهذه القصائد تتميز بالتعاطف الوجداني بين الشاعر في صورة المناضل البطل وأمه التي تخاف عليه وتبكي من أجله ، ولكنه يمضي في طريقه شاهراً سلاحه في وجوه الخونة والظالمين . وقد قام الشاعر بالمشاركة الفعالة مع الشباب البلغاري في حمل السلاح ومهاجمة الجنود العثمانيين

ومحاولة طردهم من بلغاريا وتدريب على استعمال الأسلحة والقنابل ، وحول صفحات جريدته
«الكلمة » إلى بركان هادر يجرف أعداء الحق والحرية والسلام يقول :

آه يا أمي الباسلة

وداعاً وسامحيني

فأنا مسرع إلى نداء الشعب

وعلى ظهري بندقيتي لأقاتل عدونا هناك

لأجل ماهو غال عليّ

لأجلك لأجل أبي وأخوتي

وسيكذب حسامي ملحمة الشرف

وذهب الشاعر إلى ساحة القتال عندما اندلعت نيران الثورة الشعبية في جنوب بلغاريا وقاد
فريقاً من المحاربين وأطلقوا النيران على جنود المحتل العثماني وأثناء هذا القتال المرير كان يرسل
الأنباء إلى جريدته ليبعث العزيمة والقوة في نفوس الشعب البلغاري .

وأثناء القتال فوق قمة أحد الجبال يصاب الشاعر برصاصة في قلبه ويسقط من فوق قمة الجبل
شهيداً ولم يتجاوز عمره ثمانية وعشرين عاماً .

ويحلم الشاعر بوتيف بعصافير الحرية تحلق في سماء بلاده وأنه حسبة الموت شهيداً فوق تراب
الوطن ، ويتخيل وجه أمه أمامه فيقول لها :

أنت يا أم تعالي للقائي

تعالي ضميني بين فراعيك

وعلي جيني النقي اطبعي قبلة

وحلتي فستجلدين علي

هذه الكلمات العظيمة

عش حراً أو مت شجاعاً

وهكذا يسجل الشاعر بوتيف ملحمة البطولة والنضال ويصبح رمزاً كبيراً في ضمير أمته
وشعبه الذي أحبه ومازال يذكره في سجل الخالدين الأحرار .



روبرت لويس ستيفنسون

(١٨٥٠ - ١٨٩٤م)

في الأدب الإنجليزي خلال عصوره المختلفة لم يظهر شاعر وأديب استطاع أن يؤثر في نفوس الصغار والكبار أكثر من روبرت لويس ستيفنسون الذي اشتهر بقصص المغامرات الشيقة والأسلوب السحري الرائع الفياض بالمعاني الثرية وعنصر التشويق .

بالإضافة إلى أدب ستيفنسون العذب فقد كانت شخصيته هي الأخرى تتميز بالبساطة والوداعة والخلق المثالي الرفيع . وظلت هذه السمات بارزة في شخصيته وأدبه . ويمكنك إذا قرأت مجموعة مقالاته أو رواياته أو قصصه القصيرة أو قصائده الرقيقة أن تظل منسأباً مع الأحداث والمشاعر والصور المنتزعة من البحار والأمواج والجزر النائية والأبطال المغامرين المنطلقين في البحث عن الكنز . فقد كان قادراً على خلق عالم روائي متكامل لا يمت إلى الواقع بصلة . ولكنه مدهش ومثير وغريب جذب إليه الصغار والكبار .

كان ستيفنسون منذ طفولته يحلم أن يصبح كاتباً شهيراً ولكن والده خطط له ليصبح مهندساً مثله . واعتقد ستيفنسون أن الأدب رحلة هادئة لا تتطلب سوى القراءة والكتابة ، ولذلك عندما أصيب بمرض في طفولته انقطع عن الذهاب إلى المدرسة وقرر أن يجلس في البيت ليكتب القصص . واضطر أن يذهب إلى الجامعة بعد أن درس وقرأ هناك في التاريخ والفلسفة والأدب وكتب الرحلات والأساطير القديمة . وأصبح لا يذهب إلى مكان ما إلا ومعه كتابين يقرأ أحدهما والآخر يسجل فيه ملاحظاته ومشاهداته وتأملاته للناس والحياة .

واتجه ستيفنسون إلى أدب المغامرات الذي يعتبر أحد رواده وأصدر رواية « جزيرة الكنز » التي انتشرت في أنحاء العالم وأقبل عليها الأطفال يتابعون قصص القرصان في جزيرة السحر والغموض ومغامرات الطفل بطل الرواية . ثم كتب بعد ذلك أهم أعماله القصصية وهي « دكتور جيكل ومستر هايد » لتصور الصراع بين الخير والشر في الإنسان وتبع ذلك مجموعة أخرى تدور

احداثها في شواطئ المحيط الباسفيكي وروعة رمال الجزر بالنهار وغموضها في الظلام حيث المغامرات العجيبة .

وتألق أدب ستيفنسون مبدع المغامرات المثيرة والأحداث العميقة المرتبطة بجنوح الذات واشتياقها إلى كل ماهو غريب وغير معقول ، وأصدر بعد ذلك رواية « الاختطاف » التي اسرت الأذهان وسيطرت على العقول بما فيها من عالم الإثارة والرعب والمغامرات والبطولة ، وكتب رواية أخرى من عنصر المغامرات أيضاً هي « رحلة مع حمار » وغيرها من الأعمال القصصية التي جعلت القراء يهملون قصائد ستيفنسون ويعرفونه كروائي المغامرات والتشويق .

وفي الحقيقة ستيفنسون شاعر بارع ينهل من ذكريات طفولته البريئة ليسجل مشاعره النقية في مواجهة عالم الجمال والحب والطبيعة ، ولذلك تلاحظ أن هذه السمة البارزة في شعره ولها صفة الحضور والكينونة ، وخياله جامع ثري بالصور قادر على تشكيل مساحات كبيرة من التفاصيل الصغيرة فيقول :

الكلب والمحراث والصيد

لحمة البحار والمريخ

كلها تشع في الفضاء

حتى اللو قرب الجدار

فاض بالماء والنجوم

ومن أجمل أعماله الشعرية ديوان « حديقة الطفل » الذي يحتوي على قصائد تعبر عن متعته بالمغامرة الطفولية وحنينه الدائم إلى البراءة وعشقه للرحيل والبحار والجزر النائية .
ويقول في إحدى قصائده :

هذه التلال هذه الغابات

متعني الوحيلة

وهناك النهر تؤمه الأسود

لتشرب تروي ظمأها

وفي البعيد أشاهد خيمة

تشتعل النار بها
والأسود من حولها ترقد
وأنا كشاف هندي أدور حولها وأرقص
وأصيب في نهاية حياته بداء السل وأوصى أن يُدفن في أحد الجبال التي تطل على المحيط
ويكتب فوق شاهد قبره :

هنا يرقد حيث كان يتمنى دائما . .
هذا وطن البحار العائد من أعلى البحار
هذا موطن الصياد العائد من الجبال والتلال
يرقد حيث أحب دائما .



أوسكار وايلد

(١٨٥٤ - ١٩٠٠ م)

الأديب الأيرلندي والشاعر المتهتك ، مقتحم وكر اللذات ، ومعتنق مبدأ المتعة الحسية وإشباع الرغبات بكل الطرائق والسبل سواء شريفة أو ساقطة ، إنه يخاطر بحريته وشرفه من أجل لحظات المتعة ويمكن أن يقال عنه : متهتك لا يقيم اعتباراً للعرف أو المبادئ أو العقيدة ، وكان يجاهر بهذا الفسق حتي اكتشف أمره وأودع في السجن ، وفي السجن كتب روايته « من الأعماق » وقصيدة طويلة بعنوان "سجن ريدنغ" يصف عالماً من الفوضى والجريمة والقتل والخطيئة فيقول :

"لم يكن مرتدياً ثوبه القرمزي فالدماء والخمر لونهما أحمر . . وكانت الدماء والخمرة على يديه . . عندما وجدوه مع المرأة التي أحبها . . ثم قتلها في فراشها ."

أما روايته « صورة دوريان جراي » فهي شهادة تؤكد تحلله الأخلاقي واستهتاره بقيم المجتمع واندفاعه نحو تيار شهواته دون حساب أو رقيب ، وقد فحص النقاد في الغرب أدبه وشعره وقرروا أن هذا الأديب الشاعر ينتمي إلي مدرسة الفن للفن ، فهل الفن غواية وسقوط ومجون ؟ بالطبع لا نوافق أو نؤمن بهذا الذي يقال ، فالفن الحقيقي يساند القيم والأخلاقيات وينبع من الدين والعقيدة وليس الفن اعتداء وتشويهاً للقيم .

وما زال أبو نواس « ١٤٥ - ١٩٩ هـ » لا تقتنع بمجونه وأشعاره الفاسدة في الجواري والغلمان ، ولا تعد مصادر دراسية أو روائع أبي نواس بل إن ما قاله في التوبة والزهد ليعد أكثر قيمة فنية مما قاله في الزندقة والاعتداء على المقدسات ، وقد سجن هو الآخر في عهد الخليفة محمد الأمين ورغم أنه ابتدع في الغزل تيارات جديدة من وصف الخمر وغيرها فلم يزل ما ابتدعه مجرد حالات فنية واتجاهات تمضي مع مسيرة الشعر العربي في هذا العصر الذي اختلط فيه الفرس بالعرب حيث كان الفرس لا يهتمون إلا بإشباع رغباتهم وشهواتهم الحسية .

وإذا كان الشاعر والكاتب الأيرلندي قد توفي على حاله الساقط . فإن أبا نواس تاب وزهد

وليس أدل على ذلك من أشعاره التي قالها :

يا رب إن عظمت فنوبي كثيرة * فقد علمت بأن عفوك أعظم

وإذا عدنا إلى نظرية الفن للفن التي وصف بها النقاد أعمال الكاتب الأيرلندي نجده يقول : إن كل عمل من أعمال الفن إنما هو في جوهره حلس خاص لا يتجزأ فالعمل الفني نتيجة فريدة لمزاج فريد ، ولكن إذا تخلى الشاعر عن التزامه بالأخلاق والقيم واهتم بالتصوير فقد تعارض مع الموقف الذي يسمو بالمشاعر ويرتقي بالأحاسيس فالفن سلاح الإنسان ضد الفساد والضياع وليس وسيلة للتهتك والفساد .



جورج برنارد شو

(١٨٥٦ - ١٩٥٠ م)

جورج برنارد شو الساخر الطريف الذى فشل فى دراسته وأعلن أن المدارس ما هى إلا سجن كبير ، وعندما كتب نصوصاً مسرحية رفض كل الناشرين قبولها حتى مديرو ومخرجو المسارح اعتبروا أن هذه الكتابات فاشلة .

ولكن شو لم تنكسر همته ولم يتراجع عن رسالته وعشقه للأدب والمسرح فظل يقرأ فى الليل ويعمل فى النهار بشركة تليفونات إديسون .

وذات يوم يراه المدير يقرأ أثناء فترة العمل فيقرر الاستغناء عن خدماته ويعود شو إلى بيته ويضحك ساخراً من واقع الحياة ويقول :

— لقد أصبح للقراءة عقوبة كأنها جرم كبير . ويفرق فى كتب التراث والحضارة الأوربية والأدب العالمى والفلسفة وكتب تاريخ المسرح وتحترق ذاته فى هذا العالم الجميل .

ومع مرور الأيام بدأت الأعمال المسرحية لبرنارد شو تتألق على المسرح الإنجليزى ويقبل الجمهور عليها لما فيها من نقد اجتماعي ممزوج بالطرافة والفكاهة . لقد استطاع شو أن يكون جريئاً وصادقاً مع الجمهور رغم نقده الحاد صوب المجتمع الإنجليزى الذى يخفي فسادَه خلف صور الوقار والتحفظ .

وقد ارتضى الجمهور هذا النقد العنيف الذى يكشف خباياه لأنه مغلف بالسخرية والفكاهة بحيث يؤثر فى الناس دون أن يترك فى أعماقهم إحساساً بالغضب أو الرفض ، وتلك السخرية قائمة على دراسات اجتماعية وبحوث سياسية لأحوال وظروف الواقع بحيث أثار شو العديد من القضايا التى تنادى بحرية الإنسان وتنظيم العمل وتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً .

فقد اعتنق شو مذهب الاشتراكية وانضم إلى إحدى الجمعيات التى تدعو إلى هذا المذهب

وأصدر مقالات كثيرة في هذا الاتجاه تضمنها كتابه « رائد المرأة الذكية في الاشتراكية والرأسمالية »

واستطاع شو أن يعرض عيوب المجتمع وسلبياته دون رموز أو موارد وكان يقول :
— إذا اكتشفنا ما تعاني منه من نواقص وعيوب استطعنا أن نتجاوز الأزمات التي تسحقنا ونتغلب على مشاكلنا بكل بساطة

وقد بث العديد من هذه الأفكار في أعماله الأدبية فهو في مسرحية « بيوت الأرامل » يؤكد أن الرجل لا يجب أن يكتفي بالتقوى والصلاح وفعل الخير وإنما لابد أن يكون شائراً ومسئولاً عما يحدث في المجتمع من حوله .

وفي مسرحية « الإنسان والسلاح » يقرر أن البطولة الحربية وأمجاد الحرب ليست إلا أوهاماً من صنع أهل المدن ، أما في الريف فما زال الفرد ينتمي إلى الحقول الخضراء والبساطة والسماء الشاسعة . وفي مسرحية « كنديدا » يعري حياة الواعظ الذي يدعي أنه يحب الإنسانية والمثل العليا بأنه ليس إلا مجرد ثرثار لا يجيد سوى خداع الآخرين بحديثه .

وفي « بجماليون » عن الاستاذ في علم النطق وتنغيم الكلام (الصوتيات) يلتقي ببائعة زهور مشوهة النطق فتثير في نفسه الرغبة لإصلاح لغتها فأخذت "ليزا" تتلقى دروساً منه وتتغير عادات كثيرة لديها إلى الحد الذي تفجرت في داخلها عاطفة حب تجاه البطل ولكن رجل الصوتيات يرفض حبها ويفضل أن تظل مجرد جسم عشيقه في حياته .

وبذلك يدين شو هؤلاء الذين ينادون بالقيم والفضيلة والعلم والأخلاقيات بأنها قد بنيت داخل نفوسهم على ركام من الخراب والفساد وفي حاجة إلى الإصلاح .

وفي أعمال شو صورة لهذا الإنسان الذي يتميز بالبساطة والعقيدة والتسامح والثقافة العالية التي تدفعه إلى تغيير واقعه ومواكبة حضارة البشرية حيث يمكنه أن يرقى إلى مستوى يصبح فيه السوبر مان وقد تأثر في هذه النظرية بالفيلسوف نيتشه صاحب مذهب القوة .
ولذلك يقول شو :

في أعماق هذا الوجود قوة تدفع المرء إلى تحقيق المعجزات وتجاوز المستحيل كما أن هناك قوة الله تسيطر على روح الإنسان وتمنحه دائماً اليقين والأمل .

وتلاحظ أن أبطال شو شخصيات تتصارع بأفكارها من أجل حياة أفضل وعالم أجمل

وتتجسد الأفكار بصورة مادية أكثر من الشخصيات ذاتها ولذلك عندما كتب عن « جان دارك »
القديسة الفرنسية فقد ركز على فكرة النضال والاستشهاد من أجل المبادئ والوطن .
و حين نال جائزة نوبل عام ١٩٢٥ قال :
هذا طوق النجاة الذي وصل لي وأنا على الشاطئ .
وقام بتوزيع قيمة الجائزة وهي سبعة آلاف إسترلينية على الفقراء .



أنطون تشيكوف

(١٨٦٠ - ١٩٠٤ م)

تشيكوف الروائي الذي قرر الانتماء إلى المنبوذين في المجتمع والفقراء المعدومين والفلاحين المعذبين في شقاء الحياة وغريبتها .

وقف تشيكوف ضد إرث العبودية هذا الإرث المزوج بالكرهية والحسد والاضطهاد والفظاظة والجهل ويقول:

... أكره الروتين والاستبداد بكل أشكاله وأومن بالقيم الرفيعة ومقاومة الشر ونشر رسالة التنوير والنضال من أجل حرية الإنسان وإنقاذ الفقراء من الموت جوعاً وقهرًا .

وكشف تناقضات الطبقات البرجوازية وإغفالها حقوق الشعب الكادح وطموحاته الشريفة ، يقول :

... إن تناول العشاء في فندق من الدرجة الأولى الممتازة احتفالاً بذكرى إلغاء نظام العمل مقابل الطعام الذي كان يتبعه الإقطاعيون والنبلاء بينما يحوم حول موائد الطعام الخدم يقدمون لأسيادهم ، وسائقو العربات ينتظرون في الصقيع خروج هؤلاء الأسياد ، فماذا يعني ذلك ؟ يعني الكذب والتناقض والخداع أمام الروح القدس .

ولد تشيكوف في مدينة تاجا تروغ لأب يعمل بقالاً وشديد التعصب للدين ، وأم طيبة القلب ولكنها خاضعة لتعسف واستبداد زوجها . وكان تشيكوف ينهض مع شقيقه في الفجر للعمل نبي دكان البقالة حتى ساعة متأخرة من الليل .

ويقول عن تلك الفترة :

خلال طفولتي لم أعرف طعم الطفولة ، كنت حاملاً منذ صغري مع شقيقي نبي محل البقالة .

وفرض والده عليه نوع من التعصب الديني خلق في داخله خوفاً ورعباً حيث كان لا بد أن يحفظ التراتيل الدينية وينال عقاباً شديداً إذا لم يكن صوته واضحاً .

ظل تشيكوف يرقب الحياة والأحداث السياسية ويقرأ في صمت داخل غرفته والليل ساكن حوله والضوء الخافت يسري فوق صفحات الكتاب ويفكر في الأحداث التي مرت وقلوب الناس المحترقة بالألم وعذابات الموجهين بالفقر والحرمان .

ويقول عن موقفه من الحياة :

إذا أردت أن تفهم الحياة امتنع عن تصديق ما يقال لك أو ما يكتب بل راقب الأمور بنفسك وفكر .

درس تشيكوف كلية الطب وظل يقرأ في الآداب والفنون والتراث والدين وتعلم اللغات الأجنبية واطلع على المسرح الفرنسي واليوناني والروسي واهتم في قصصه بالإنسان العادي وسعيه من أجل الرزق ومواجهته للظلم والتعسف ونضاله ضد الفقر والمحن والمآسي .

ونشر قصصه في المجلات والصحف وكانت تتجه في البداية إلى السخرية من الطبقات الرأسمالية والإقطاعية ، ولذلك كان رغم عشقه للطبيعة يكره الريف لأنه شاهد هناك عبودية الفلاح الخاضع لسلوب الإرادة يمنح جهده وعرقه ولا ينال حقوقه إطلاقاً .

ويقول :

أحببت المدينة التي ولدت فيها وبدأت في عيني جميلة ورائعة وأحببت خضرة بساتينها وهدوءها الصباحي وأصوات كنائسها ولكن الحياة في الريف الروسي كرهتها وأحقرها بكل قواي وكم تعذبت لمشاهدة الفلاحين البؤساء في الحقول بلا حول ولا قوة .

عمل تشيكوف طبيباً يعالج الفلاحين ويبدل جهداً خرافياً من أجلهم ويمزج بين مواقفه الإنسانية والإبداعية في الحياة إلى الحد الذي ساءت صحته ، ولا سيما حينما انتشر وباء الكوليرا وظل يعمل ليلاً نهاراً لإنقاذ الفلاحين وضحايا المرض .

نشر مجموعات قصصية مستوحاة من الواقع الذي عايشه وتعاطف معه وتعذب من أجله فقد قام بزيارة السجون في جزيرة ساخالين واقترب من معاناة هؤلاء المنبوذين من المجتمع وتألم للحياة البشعة التي يعيشونها وعندما عاد سجل هذه المشاهدات في روايته « جزيرة ساخالين » واستطاع توجيه عناية المسؤولين إلى ما يحدث في هذه المعتقلات حتي قامت السلطة بالغاء نظام الجلد بالسوط وأنشأت مدارس وملاجئ للعجزة ودور حضانة للأطفال .

ومن سمات أدب تشيكوف البساطة والتكثيف والتعبير عن العواطف الجياشة والأزمات الساحقة والتعاطف مع الفقراء وتصوير البيئة الشعبية في صور تكشف عن أعماق المعاني الإنسانية وكذلك تحريض الإنسان المأزوم على تغيير واقعه والدفاع عن كرامته وحرية ضد عبودية الإقطاعي واستغلاله لطاقت وقدرات الإنسان .

ويقول عن دوره ككاتب :

— إنني اصنع العسل الذي أقدمه لغيري من رحيق أجمل أزهارى التي أقطفها .

ويصف تشيكوف أسلوبه وطريقته في الكتابة وكيف تتأهب لحظة الإبداع فيقول :

— نهائراً وليلاً تلاحقني نفس الفكرة الملحة يجب أن اكتب يجب أن أكتب ما أنهى كتابة قصة إلا وجدت نفسي مدفوعاً فوراً إلى كتابة قصة أخرى ثم أخرى .

أكتب بدون توقف كما أن الزمن يلاحقني ولا أستطيع أن أعمل غير ذلك .. كم هي الحياة غبية ..

ويسخر تشيكوف من نفسه ويقول :

— طالما أكتب أشعر بالسعادة ويطلع النقاد على ما أكتب ويقولون : إنه لطيف ويملك موهبة عظيمة ولكن لا يمكن مقارنة أعماله بأعمال تولستوي وتورجنيف .. ويظل النقاد والقراء يعيدون هذا القول حتى مماتي وعندما يمرون على قبري يقولون : هنا يرقد كاتب جيد ولكن أعماله لم تكن في مستوى تورجنيف أو تولستوي .

وعرف عن تشيكوف تواضعه وأخلاقه الراقية وبساطته في التعبير عن ذاته ورؤيته العميقة لوطنه وحبه لقومه وشعبه ، يقول :

— لم تعجبني نفسي أبداً فلا أحب نفسي ككاتب ، إنني أحب هذا النهر وهذه الأشجار والسماء وأشعر بجمال الطبيعة وتثير في المشاعر العميقة والرغبة في الكتابة ولكني لست رسام مناظر طبيعية فقط فأنا مواطن يتوجب على أن يتحدث عن الشعب وعن آلامه ومستقبله .

أحب تشيكوف الممثلة ميزينوفا ولكن لم يمض معها أياماً كثيرة فقد سئمت منه ، فقال لها :

— وداعاً أيتها الصديقة ورسائلك لي ليست إلا ازهاراً معطرة وليست وثائق لإدانتك ووداعاً .

تزوج أولغا الممثلة المسرحية ولكنها لم تعيش معه الحياة التي نمنياها فقد كانت مضطرة أن تظل بعيداً عنه لتقديم عروضها المسرحية ويظل تشيكوف وحيداً في البيت يعاني المرض وآلام الوحدة ،

ويقول :

— ماذا حدث لي ؟ هل هو التقدم في العمر أم الكسل من العيش ؟ لا أعرف ولكن ما أعرفه هو أنني لم أهد رغباً في الحياة وليست لي رغبة في الموت .

ويظل تشيكوف وحده حائراً يكتب رسائل إلى زوجته الغائبة ويتمنى أن تأتي وتشاركه لحظاته. فيظل يقرأ ثم يكتب ويذهب إلى المسرح وعندما يعود تعانقه الجدران والفراغ والليل المخيف .

فيقول لها :

إنني أشعر بالملل القاتل لا أتناول
سوى الحساء وأمضي أوقاتي مسجوناً
داخل المنزل .
لقد بدأ المال يشع لديّ وشعر لحيتي
ببيض

وأصبح تشيكوف يعاني من حالة عصبية فلا جدوى من كلماته أو كتاباته حيث استبدت به
الأحزان ونهشته آلام الغربة والعزلة فيقول :

أحبك يا حبيبتى
أحبك كثيراً ليحرسك الله
اكتبى لى كل يوم
أحس بالفراغ العميق
وأنت بعيدة عني

وبدأت صحته تتدهور . .

وهو مازال وحيداً ويفكر في رحلة حياته وصراعه مع وباء الكوليرا من أجل إنقاذ الفلاحين
وتحديه للسلطات الإقطاعية ودعوته إلى الحرية ومقاومته العبودية .. والمسرح الذي نعاد عليه
مسرحياته وتدوم إلى شهور كثيرة .. واسمه الذي يملأ الصحف ووسائل الإعلام وشهرته الكبيرة .

ورغم ذلك يعيش وحيداً بلا رفاق .. بلا زوجة ويقول لزوجته :

إننا نرتكب خطيئة كبيرة

لأننا لا نعيش سوياً

أرى كم أحسبك يا حبيبتى

أحسد نشاطك

.. وحيويتك وصحتك وسعادتك

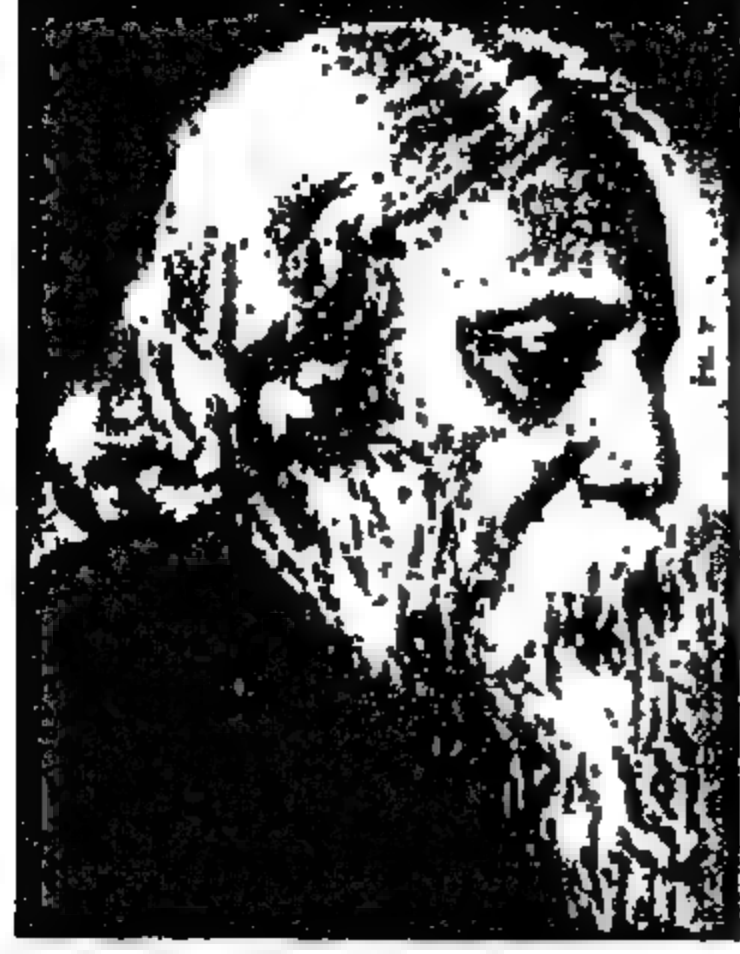
ولم يستطع تشيكوف أن يظل صامداً في الفراغ والوحدة والكآبة تفاقمت أمراضه ..

وسافر إلى برلين للعلاج وكتب إلى زوجته قبل السفر يقول :

إنما صُلت إليك فلا تتركيني

وحيداً

وفي برلين أسلم الروح .. ونقل جثمانه إلى موسكو .. ليُدفن في الأرض التي ولد بها وظل
يدافع فوقها عن الحب والخير والعدل والإنسان ..



رابندرانات طاغور

(١٨٦١ - ١٩٤١ م)

طاغور روح جامعة تألقت تحت الأنداء في الصباح .. روح سمت إلى سماء الحب وتحولت إلى غيمة واعدة بالمطر ، حتى تدفقت شلالاً من الخصوبة والنماء .. وراحت تغني للحب والربيع وتعيد خلق الفرحة للأطفال وعودة احتفالية الميلاد للأرض .. طاغور قلب الشرق المعذب بأوجاع البشر ..

إن طاغور رنين الألم في فضاء العشق ، وانفجار الحنين والتعاطف في رحلة النور إلى ظلمات العالم ، يمضي طاغور في أحضان الطبيعة ، يطلع الياسمين من مزارع القلب ، ويواجه الشمس الحانية ويرقص في إشعاعها الدائم وتوهجها الذي لا ينطفئ ويقول في أشعاره:

آه لهذا الياسمين .. هذا الياسمين الأبيض .. احسبني ما أزال أذكر اليوم الأول الذي ملأت فيه فراحي .. لهذا الياسمين الأبيض .. لهذا الياسمين الأبيض .. لقد شغفت بنور الشمس .. بالسماء .. بالأرض الخضراء .. لقد تنهى إلى سمعي .. الخريف الناعم من النهر المترقق .. وظلمة منتصف الليل .. لقد سمى الخريف وغروب الشمس إلى لقائي عند منعطف الطريق في العزلة المنزوية .. كمعروس نحسر عن خمارها لتستقبل حبيبها ..

في مولده استقبلته حياة ناعمة ، دافئة بالحنان تضح بالموسيقى ، وتفوح في أرجائها رائحة الورد والياسمين . ولد هذا الفنان في عائلة ثرية تحب الثقافة والفن ، فهذا جد طاغور أمير من الأمراء ترتبط تجارته مع كبار التجار في الهند أيام شركة الهند الشرقية ويعيش هذا الجد في قصره الكبير يقضي معظم وقته في الاطلاع على كتب التراث والإسهام في الحياة الفكرية ومساندة حركات الإصلاح الديني .

أما عن والد طاغور فقد كان يلقب بالمهاريش أي القديس العظيم فقد التزم جانباً دينياً في حياته واتبع حياة فاضلة تميزت بالسمو الروحي والعبادة حيث يرحل بعيداً في الطبيعة يخلو إلى ذاته يناجي ربه ويهرب من حياة الترف والصخب ويتحول إلى شخص عادي لم تفسد روحه

المادة أو تسيطر على كيانه واتجاهاته الثروة التي حوله .

ويصحو الأب في الصباح يتلو أناشيده الدينية بصوته الهادئ العذب ، وظلت هذه الصورة عالقة في ذاكرة طاغور حيث تأثر بالاتجاه الصوفي الذي اتبعه والده . وظهر هذا الاتجاه فيما بعد في قصائده وأعماله المسرحية وكتاباتهِ الثرية فيقول عن النور :

النور .. أه النور .. أين النور .. ليمتلئ النور حياة .. من نار الرغبة المتأججة .. الرعد ينهزم .. والريح تهب عبر المدى مزمجرة .. والليل داج كالحجر الأسود .. لا تدع الساعات تمر في الظلمة .. وأشعل مصباح الحب من قبس حياتك .

تشرب طاغور ثقافة والده الدينية والفكرية إلى جانب عشقه للموسيقى والغناء وتذوقه للفنون . وحينما ولد طاغور سماه والده بهذا الاسم : رابندرا ومعناها الشمس المشرقة أي أن الطفل سيكون هو النور القادم من أعماقه ليتشر على العالم الخارجي ، ويسفح الظلام ، ويقوم النهار عرائسه تحت الشمس فيقول :

أشعر بأن النجوم كلها تتلألأ في كياني .. إن الكون يجيش في حياتي كأنه السيل .. إن الزهور تتور في كياني .. إن شباب الأرض والماء والنماء يسمو في قلبي .. كأنه بخور المجامر .. ولهات الوجود يتردد في فكري .. كما يتردد في ثقوب الناي .

أما عن أسرته إخوته ، فهو الابن الرابع عشر والأخير في الأسرة ، وهذه المكانة جعلته دائماً في رعاية وحب وعطف الآخرين ، فمرت أيام حياته وادعة جميلة يجد كل ما يشتهي وما يحبه ويشارك أفراد الأسرة في هواياتهم الفنية فقد كانوا يدعون الفرق المسرحية لتقيم حفلات داخل القصر الكبير ، بل إن أفراد الأسرة أحياناً يشتركون معا في تقديم بعض العروض التي اشترك فيها طاغور وبدأت مواهبه الفنية تتألق نحو الموسيقى والشعر والمسرح . وتعلم طاغور من أخيه العزف على البيانو وسكنت روحه نغمات ساحرة لم تخرج إلا في قصائده وفنه . ويقول عن الموسيقى :

« الموسيقى هي أنقى أشكال الفن وهي أقرب تعبير عن الجمال ، وإننا نشعر أن إفصاح اللانهاية في الأشكال المحدودة من الخلق هو الموسيقى نفسها تنساب صامته طاهرة ، إن السماء الداجية التي تخصى النجوم دون وني ، شبيهة بطفل مشدوه بكلماته الأولى المبهمة يظل يردد لفظة واحدة ويصغي إليه بفرحة لا تنضب » .

احتضن طاغور الطبيعة منذ طفولته ، إنه فنان الحقول والمزارع ، وليد الألوان والسحب

والياسمين .. صديق الأطيّار ، فقد ذهب مع والده إلى قرية اشتراها وهو في الثانية عشرة من عمره للعزلة والعبادة وهذه القرية سماها الأب : دار السلام ، وأمضى هناك فترة طويلة من طفولته ، يصحّو مبكرا ويخرج ليعانق الحقول الخضراء وترنم بإحدى الأغنيات ، ومعه بعض الكتب أو القصائد الهندية القديمة .

وفي تلك الفترة قرأ للشاعر الهندي القديم « كاليداسا » بعض قصائده وتأثر كثيراً بما وصفه الشاعر من صور القرية والمطر والرعود والبرق . ولاشك أن هذه الفترة في أحضان الطبيعة ساهمت في شاعريته كفنان ، وفي تكوينه الفكري كإنسان ، فاقرب بحب من عالم الطبيعة ، وتعاطف مع الحيوانات البرية ، ولذلك حين خرج ذات مرة مع أخيه للصيد وشاهد النمر يسقط مضرجاً في دمائه ، أصابه الدوار واختنق بالدموع ورفض أن يخرج مرة أخرى للصيد وتوسل إلى أخيه أن يتوقف عن صيد الحيوانات إلى الأبد .

وهناك موقف آخر يعبر عن حبه ورحمته للناس ، وذلك عندما أمسك الحراس في القصر بأحد اللصوص ، شعر بالرافة والعطف تجاه اللص المسكين ودعاه إلى تناول الطعام ومنحه بعض المال وأطلق سراحه دون أن يسلمه للشرطة . إن هذه النزعة الإنسانية التي تسكن حياته وكيانه هي التي جعلت من طاغور ، فيلسوفاً ، وأديباً وشاعراً وصوفياً يهدي الحب للناس ويمسح الدموع عن المعذبين ويخفي في صدره فرحة البراءة والخير والسلام ويقول

قالت لي الغمامة : سأمحي .. وقال الليل : سأغيب في الفجر المضطرم .. وقال الألم : سألوذ بصمت عميق كآثار خطاه .. وأجابت حياتي : سأموت وأنا في متهى الكمال .. وقالت الأرض : إن أنوارى تلثم أفكارك .. في كل لحظة .. وقال الحب : ومضى الأيام ولكنى أنتظر .. وقال الموت : سأقود زورق حياتك عبر البحر .

وأحب طاغور أمه حباً شديداً ، فكان الوحيد دون أخوته الذي يسمح له بالجلوس في غرفة الحريم حيث تجتمع نساء الأسرة حول الأم ، وكلهن يعطفن عليه ، ويرى ذاته في عيون أمه التي أثرت في تكوينه النفسي ، فالحنان الذي ذاق علاوته من قلبها ، الرحمة التي أولتة إياها ، واهتمامها البالغ به ، جعله يسبح في بحر من الطمأنينة والأمان ويتأمل كل من حولها في مشهد رائع ، ويؤمن بأن هذا الحب النابع من أمه هو هدية من الله ونور يشع من جوانبها .

ويعتبر أن هذا الحب النابع من أمه ، حبه الكبير يقص عليها القصص التي قرأها أو سمعها .

بعض قصائده التي كتبها ، وتفرح الأم وتشجعه وتبث في روحه الأمل والثقة والإيمان بذاته وبقدرة الله ، وعندما رحلت أمه عنه ، تلقى صدمة كبيرة وهو مازال في الرابعة عشرة من عمره .. تملكته الوحشة وقهرته الغربة .. وطعته الآلام واحتشدت في عيونه الدموع التي لا تجف .. ويقول:

« لقد حرمني القدر أمي وأنا بعد فتى صغير ، فأصبحت وحيداً ، ألوذ بتأفدتي ، وأتأمل الطبيعة ، وارسم في مخيلتي ما يترقرق في الكون من صور شتى .. لقد كانت الطبيعة هي رفيقتي التي وجدتني بجواري دائماً »

ولم يجد طاغور سوى الطبيعة يهيم في أرجائها .. يغني بين أشجارها .. ويتأمل ألوانها لعل هذا السكون العذب يشفي آلامه و أحزانه .

والتحق بالكلية وتعمق في دراسة الآداب الأجنبية وترجم بعض مسرحيات شكسبير إلى اللغة البنغالية وبعض الآداب القديمة ، وكتب أول قصيدة طويلة بعنوان « قصة شاعر » وطبعت في كتاب مستقل ، وقام أخوه بإصدار مجلة ثقافية ، فكتب فيها طاغور مقالات عن دانتى وبتراك وجوته . وأول مسرحية كتبها كانت بعنوان « رودا شاندا » . ثم سافر إلى إنجلترا والتحق هناك بإحدى المعاهد الدراسية ثم الجامعة واطلع على الأدب الإنجليزي والموسيقي الغربية وكتب هناك مسرحية « القلب الكسير » .

وكان الهدف من ذهابه إلى إنجلترا في أول الأمر دراسة القانون ولكن الآداب الأجنبية والفنون سيطرت على حواسه وأفكاره فقرر أن يدرسها ويتعمق في علومها فتلاقت في فكره ثقافة الغرب والشرق ، وفي تلك الفترة كتب ديوانه الثاني « أغاني المساء » ثم ديوان « أغاني الصباح » وعرفه الناس في كل مكان بشاعر الهند طاغور .

ويعتبر ديوان "أغاني المساء" هو الذي أطلق اسم طاغور في سماء الشعر وعرفه العالم وقد حدث أن حضر طاغور زفاف أحد أصدقائه وكان من بين المدعوين الأديب الشهير « بانديت شاندر » يطلو، علق الخريص بانديت ، فاستأجر الأديب العربي ونومه فحضر طاغور وطوق عنقه بعنقود الورد ، وقال الحبيب : يا صديقي إن هذا الأسير الاتيم قد جاء به ليلته الأخيرة . ويقول طاغور عن هذا الذي أن :

« إن هذه المرأة التي أحبها أغاني المساء هي أمي ، من كان لها مثلها لم يكن يتركها أبداً .. »
الأولى كتب ما أحبته من ، فأبوا أن يرضوني وبما جرت به أموري ..

ويمضي طاغور في رحلة الحياة ، فيتزوج فتاة عاشت معه حياة سعيدة ولكن الموت اختطفها وتركت له ثلاثة أطفال ، وكأن الموت يطارده في حياته ، فرحل أبوه ثم ابنه وابنته ، وهذه المآسي فجرت الجروح التي لا يشفي منها أو يبرأ ، وكتب قصائد عن الموت يعلن فيها رحيله عن هذا العالم في صمت فيقول :

أه .. أنت .. يا منتهى حياتي الأسمى .. أيها الموت .. يا موتي تعال واهمس في أذني .. يوما بعد يوم سهرت في انتظارك .. من أجلك تذوقت هناء الحياة .. عانيت حذابها ..

ويخاطب المرأة التي وهبته الحب والبهجة في كلمات حنونة تحمل أحاسيس قلبه الرقيقة وأحزانه الدفينه . فالحب تتجلى صورته في أروع تساميهها ومعانيها ، حب يمتزج بالطبيعة ويظل خالداً لا يفنى .. لحظة الفناء والانتهاى لاتطيح بالمشاعر العذبة الحانية بل تؤجج ما في حشاها من أنغام ونبضات إنسان يحمل رسالة إلى البشرية .. رسالة قوامها المحبة وغايتها التسامي عن الحياة العادية :

يا رفيقتي .. لا تحتفظي لنفسك بسر قلبك .. أفضي به إلى .. إلى وحدي خفية .. أنت ياسن تبسمين في رقة .. اهمسي لي بسرّك .. في لين فإن قلبي وحده لا أذني هو الذي سيسمّعك .. الليل عميق والدار صامته .. وأعشاش العصافير مسريلة بالنعاس .. اذكرى لي من خلال عبراتك المترددة .. من خلال بسماتك المضطربة .. من خلال خجلك العذب وأساک .. اذكرى لي سر قلبك ..

ولم يكن طاغور شاعراً أو أديباً فقط ، بل كان صورة شاملة للفنان الذي احتوى الحياة وصعد إلى القمم العالية يبحث عن المطلق واليقين الروحي .. تنازعت روحه أنغام روحانية ، وأرهف قلبه إلى صوت الريح وضحكات الشجر ودموع الياسمين .. فشهد ما وراء الحياة .. وما تحجبه الظواهر العادية عن الإنسان من شفافية ، وتطلع إلى وجود ناءٍ لايلمس معالنه سوى الروح المسكونة بعشق الخير والسلام والجمال .

كانت مرحلة « النيرفانا » هي الخلاص الروحي لدى طاغور ، فقد اكتشف عالم ذاته .. والتمس في أجواء "النيرفانا" مرحلة صوفية حاملة تجسد الصفاء والنقاء في عالم الواقع ، وتمحو الخطايا وتطهر الأرض من الفساد . ومرحلة النيرفانا تعني الحب والسكينة ورحلة التأمل والزهد في الحياة ، ورفض عالم الواقع بما فيه من زيف وضياع ، وإيثار حياة العزلة والعبادة ورضا النفس بالاقتراب من الله والتمتع بنوره الذي يملأ الروح ، ويقول محمود تيمور عن روحانية طاغور:

« لا أعرف لأحد بين أدباء الشرق والعالم من الروحانية ما أعرف لأديب الشرق الأكبر طاغور إنه

عبقري فنان .. تضلع من الزاد العربي في فروع الثقافة وأتماط الأدب ولكنه احتفظ بجوهره الشرقي وطابعه الروحي حتى كاد بعبقريته يختص بفن من الأدب وحده فن استشفاف الغيبية التي تشرق للوجدان من جانب السماء...

ولقد نال طاغور جائزة نوبل في الأدب عام ١٩١٤ وقال عنه الزعيم الروحي غاندي :
إن طاغور هو منارة الهند ولعله أن يكون منارة الشرق كله ومنارة تبلل نور المحبة وتعيد إلى الإنسان المشرّد في مناهات المادية أحلامه واستقراره .. تعيد الأمل والإيمان والسلام والثقة بمستقبل أفضل .
ويرحل طاغور إلى عالم الأبدية .. ويترك رسالة إلى القارئ الذي يقرأه بعد مائة عام فيقول له:

من أنت أيها القارئ .. أنت الذي سوف تقرؤني بعد مائة عام .. ليس في إمكاني أن أبعث إليك بزهرة واحدة .. من الإكليل الربيعي ولا بشمع واحد من تلك السحب هناك .. افتح الأبواب وتأمل في المدى القصير ، واجن من حديقتك الزاهرة الذكريات العاطرة من الزهر منذ مائة عام فقد يكون في ميسورك أن تشعر والسرور بملأ عطفك بالفرحة الحية التي تغنت ذات صباح ربيعي ساكنة صوتها الهنيء عبر مائة عام .

ورحل طاغور ومازلنا نعيش تجربة الحب معه ، وتجربة نضاله ضد الظلام والتعاطف مع الحياة والطبيعة والكائنات ، والانطلاق إلى العلياء ، وهاهو ذا صوت طاغور يتردد في الفضاء :

أزف الرحيل .. فتمنوا لي يا رفاقي حظاً طيباً .. إن السماء مخضبة بحمرة الفجر .. لا تسألني ماذا سأحمل معي .. سأبدأ رحلتي ...

إشارة :

النصوص الشعرية من ترجمة د. بديع حقي في كتابه « قمم عالية » طبعة دمشق سوريا . وتعد من أروع التراجم لشعر طاغور .



فابرييل دانونزيو

(١٨٦٣ - ١٩٣٨ م)

ولد هذا الشاعر في مدينة بيسكارا ونشر أول ديوان له عام ١٨٧٩ . بعد انتهائه من دراسته الثانوية انتقل إلى روما لدراسة الحقوق ، ثم تزوج من الدوقة ماريا هاردوين بعد أن ظل يحبها واضطر أن يهرب بها ويتزوجها.

نشر في تلك الفترة بعض القصائد بعنوان : "مراثي رومانية" . وتعرف على الفيلسوف نيتشه، وعشق امرأة أخرى عام ١٨٩٧ هي الممثلة الشهيرة اليونورادوسي وأوحت له بكتابة أعمال مسرحية والاهتمام بالقضايا السياسية وانضم إلى الحزب اليميني المتطرف .

سافر إلى باريس عام ١٩١٠ بعد معارك سياسية مع أتباعه وتعرف هناك على الحركات الأوربية والشعراء والأدباء والفنانين .

في عام ١٩١٤ إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى يعود إلى إيطاليا ويشارك في سلاح الطيران ويفقد عينه اليمنى أثناء حادث للطائرة الحربية التي كان فيها .

بعد الحرب عام ١٩٢٢ يجلس في منزله الريفي بالبندقية على ضفاف بحيرة غاردا ، ويبدأ في إعادة طبع أعماله .

يمنحه موسوليني عام ١٩٢٤ لقب أمير ويعينه رئيساً للمجمع الإيطالي للغة .

ومن أجمل قصائده يقول :

ينبتق الفجر من روائي قاتي

وهو يتأملني في علوية بابتسامة تلجية

بينما الغلال المتراكمة فوق الحقول

يعانق بعضها بعضا على نغم النسيم الخفيف
تلامس وجهي أشلاء أنيقة من حديقتي الصغيرة
وقرع النواقيس الصباحية
يرن من بعيدا من أعالي الكنيسة العتيقة
أسراب من قبرات مهاجرة
بالحانها الفرحة الجللى للقمة بالغرام
تحييني هاربة من أوراق أبنك
وأنا أفكر في الفن وفي شبابي اليافع
وإزار أمي وجديلتين شقراوين
والأمل يتراقص في قلبي بللة وحبور

وقد اهتم الشاعر نزيو بعالم الطفولة ذاته المرتدة إلى عصر البراءة وظل يسترجع أحلام الماضي
الجميل ويمزج البراءة بالركة والشفافية لتتشكل صورة جديدة للحياة والحلم والمرأة .



وليم بطلرييتس

(١٨٦٥ - ١٩٣٩ م)

أحد رواد الأدب الحديث في أيرلندا مع سوينبرن وجيمي تومسون وفرنسيس تومبسون وغيرهم من هؤلاء الشعراء الذين عشقوا موطنهم الأصلي أيرلندا وتغنوا بسهولة ومزارعه ووديانه ومراعيه الخصبة حيث السواقي التي تحيط بها النباتات الخضراء والأزهار والعشب الناضج تحت ضوء النهار .

ولذلك اشتهرت قصيدته « جزيرة إنسفري » التي يتغنى فيها بذكرىات الطفولة وأحلام الماضي الجميل والحنين إلى موطنه الساكن في أحضان الطبيعة ويقول :

سأنهض الآن وأذهب إلى إنسفري

ومناك أبني كوخاً صغيراً من الطين والأغصان

وسيكون عندي حقول وخليّة نحل

وأعيش وحيداً بين الأشجار التي يغمرها طين النحل

وسوف أنعم بالهدوء هناك حيث تقطر السكينة

قرأ ييتسن في التاريخ والتصوف والفلسفة وقام برحلات عديدة إلى أمريكا وفرنسا وأسبانيا وظل طيلة عمره يشعر بالحنين الدائم إلى أيرلندا فكتب عدة مسرحيات تاريخية تُشيد بأمجاد ماضي أيرلندا وتوقظ الشعور بالفخر والزهو لأبطالها الذين دافعوا عن أرضها واستشهدوا من أجل تقدمها وحريتها . ومن هذه المسرحيات : (الكونتس كاتلين) عن الفلاحة الأيرلندية ، وفي مسرحية (شاطئ بيل) عن بطل أيرلندا الذي لا يُهزم أبداً وفي مسرحية (دايدر) فهي مستمدة من أساطير أيرلندا الشعبية .

عاش بيتس تجربة حب فاشلة ولكنها حافلة بالعطاء الفكري والتألق الوجداني الإبداعي ، فقد أحب امرأة اسمها : مود جون تهتم بالسياسة والفكر وتدافع عن حقوق أيرلندا بعنف وشدة . ورفضت الزواج منه وظل يحبها حوالي ثلاثة عشر عاماً حتى تزوجت من رجل آخر . وبعد مرور سنوات كثيرة حاول بيتس أن يتزوج ابنتها الشابة ولكن الفتاة رفضت . واضطر أن يتزوج من امرأة أخرى ، وارتبط مع مود جون بصداقة نقية وعلاقة أدبية وفكرية ألهمته قصائد حزينة تقطر بأساً وتعبر عن فشله في الحب فيقول في إحدى قصائده :

لا تعشق طويلاً يا حبيبي

فأنا قد عشقت طويلاً طويلاً حتى صرت مهملًا

كأغنية قديمة

وفي قصيدة أخرى يرثي ذاته وحبه الضائع ويكي على تلك السنوات التي مضت من عمره هباء فقد ظل على علاقة بهذه المرأة أكثر من ثلاثون عاماً حتى انتابه المرض وأصابته الشيخوخة ، وجلس يتأمل حياته فإذا هي سراب في سراب ، يقول :

لا تمنح القلب كله

لأن الغواني يجدن الحب غير جدير بالاحتفال أبداً

إنهن لا يتخيلن أن الحب يلوي مع السنوات

إن كل ما هو جميل ليس إلا لحظة عابرة

آه لا تمنح القلب مرة واحدة

ورغم أن بيتس انشغل في الحياة السياسية والأدبية وإصدار الكتب النقدية والدواوين الشعرية إلا إنه ظل يعشق محبوبته ، وقيل له : إنها الآن امرأة عجوز وخط الشيب شعرها و لا بد أن تنساها، فيقول في قصيدته:

القلب يصرخ لا

ليس عندي فتات من السلوى ولا حتى ذرة منها

فياستطاعة الزمن أن يخلق جمالها مرة أخرى

ومن نبلها العظيم تتوهج النار المتدلعة حولها

كلما تحركت وهي أشد تألقاً

وهب يبتش حياته للأدب والمسرح والدفاع عن قضايا الشعب ، والإيمان بحرية الأديب ودور الإنسان لتحقيق سمو في العلاقات والقيم الإنسانية .

وفي نهاية حياته سيطرت عليه فكرة روحية بالتصوف ونبذ هذا العالم والبحث عن حلم مازال في ذاكرته ووجدانه ، يقول :

— ليس العار أن تصيبك الشيخوخة بل العار أن تفقد إيمانك بالحب والحياة .

وفي ليلة كان يتأمل الأشجار عبر نافذته شعر أنه يود أن ينهض ويحلق مثل الطيور وسقط على الفراش وروحه تحلق بعيداً .

في قصصه أيضا نلمح قدراً كبيراً من تجاربه الشخصية ورحلاته في أوروبا والهند وعشقه العميق لأمجاد وتاريخ وطنه إنجلترا ودعوته إلى الغزوات الاستعمارية لتنتشر الحرية والنور . ومن هذه الروايات : الضوء الخافت ، كم ، ومجموعة من القصص القصيرة التي برع في نسجها .
أما في أشعاره فقد تميز بحس رفيع ونغمة موسيقية حاملة مع اتجاه إلى الأغاني الشعبية التي تُمجّد مآثر الأبطال الإنجليز والقادة والفاتحين .
ويقول في إحدى قصائده :

إذا استطعت أن تحلم ولم تجعل الحلم سيّداً عليك

إذا استطعت أن تفكر

ولم تجعل الأفكار هدفاً

إذا استطعت أن تعالج بالنصر والانكسار

أولئك الأشرار

إذا استطعت أن تسمع وتحمل الحقيقة

التي جهرتها

والتي يستعملها الأوغاد مصيدة للأغبياء

أو شاهدت أشياءك في قبضة الحياة تسحقها ...

ثم بصبر واقتناع تعيد بناءها بما لديك من أدوات بالية .

وفي نهاية حياته انكسرت ذاته وانطفأ وهج إبداعها عندما بدأت إنجلترا ترحل عن مستعمراتها وتقام الثورات ضدها وتلاشت تلك النعرة الاستعمارية وتطلعت الشعوب إلى الحرية والكرامة .. خفت صوت كبلينج ثم ظهر شعراء آخرون كشفوا عيوب إنجلترا ونقدوا الأنظمة الفاسدة والشعارات الزائفة فانطوى كبلينج وحيداً يتأمل حياته وأمجاد بلاده التي طواها النهار الجديد . .



هربرت جورج ويلز

(١٨٦٦ - ١٩٤٦م)

ويلز الأديب الذي أدهش العالم وشغل الأدب بأفكاره العلمية حيث تخيل فيها أرضاً بلا جريمة وبشرّاً بلا مشاكل وحياة انتشرت فيها المعارف وبسط العلم نفوذه في كل مكان ليواجه الفقر والجوع والمرض وترتقي الشعوب وتقرأ موسوعات علمية في مختلف لغات العالم وتحيا في نور وحب وسلام .

وقد تأثر بانتشار النظريات العلمية الجديدة والرغبة الصحيحة في اكتشاف حقائق عن الكواكب الأخرى ، والإبحار إلى مدن جديدة والإيمان بوحدة الشعوب فوق الأرض .

اتجه إلى أدب الخيال العلمي ليثبت أفكاره ونضاله لبناء مجتمع آخر قائم على حرية البحث العلمي وتحويله إلى سعادة البشر ولذلك لم يسلم المجتمع الإنجليزي من نقده الحاد في السياسة والفنون وتحليل أسباب التدهور الاقتصادي والقضايا التي يعاني منها الناس ، فكان يطرح الحلول ويقدم الأفكار ويركز على المستقبل ويحلم بعقول مستنيرة قادرة على الحب واستغلال طاقتها في البناء والإبداع وتحقيق الأحلام المستحيلة .

واهتم بأدب الخيال العلمي ليحقق هذه الأفكار فكانت روايته « آلة الزمن » من أروع ما كتب حيث يمكن للإنسان أن يكسر حاجز الزمن ويسافر من الماضي إلى المستقبل ويشاهد عالماً مدهشاً وغريباً ثم يعود إلى عصره مرة أخرى .

وفي رواية « الرجل الخفي » يصبح للعلم قدرة فائقة على تحويل جسم الفرد إلى مادة شفافة ومن هنا يمكنه تحقيق نتائج خطيرة في بناء علاقات اجتماعية خالية من العنف والكراهية ومواجهة مشاكل الحروب والدمار وكتب أيضاً رواية « طعام الآلهة » و « حرب الكواكب » وغيرهما ليؤكد أننا قادرون على التعاطف والتوحد فكرياً ونفسياً كشعوب حرة لتحويل أرضنا إلى جنة خضراء . دعا ويلز أيضاً في كتبه إلى الوحدة العالمية وعبر عن ذلك في مؤلفاته : موجز التاريخ ، عمل

الإنسان ، وأوضح أنه ليست هناك قيود تحد من إبداع الشعوب ، وأن نظام الطبقات والعبودية في إنجلترا يعد عقبة في طريق التقدم وستظل الانظمة السياسية بحاجة إلى الإصلاح مادامت تهدف إلى مصلحة الطبقات الرأسمالية وليست لفئات الشعب ومشاكله .

وآمن بالاشتراكية وانضم عضواً في « الجمعية الفابية الاشتراكية » ونشر مجموعة من الكتب تدعو إلى ذلك منها : الاشتراكية والزواج ، الآمال ، المدينة الفاضلة ، عالم جديد ، الإنسانية في دور التكوين .

عاش ويلز في طفولته حياة تعسة فقد اشتغل عاملاً في أحد المحلات التجارية وكان يقرأ في الآداب وقرر أن يستمر في مواجهة إيجابيات حياته وظل يدرس حتى التحق بكلية العلوم في جامعة لندن ، وعمل مدرسا وتعلم على يد الأديب أولدس هكسلي وأخذ عنه دروساً في علم الحياة . ووصف في كتاباته بعضاً من طفولته المعذبة وحرمانه ، لذلك كان دقيقاً في تصوير حياة الفقراء وأحاسيس المعذبين وهؤلاء الذين يتألمون في صمت ويلرفون الدموع تحت ستائر الليل الحزين .

وفي رواية « تاريخ السيد نابولي » تجسدت هذه القدرة الفائقة في التعبير عن كفاح الفقراء ضد المرض والقهر وآلامهم في الحياة وجراحهم من أجل رغبة الخبز. ونشأ ويلز في غرفة تحت الأرض لها نافذة تطل على الشارع ، فكان يرى أحذية المارة وظلت هذه المشاهد في ذاكرته حتى كتب قصة اسمها « تعس الأحذية » .

وفي فترة متأخرة من حياته بدأت صحته تتدهور وتزوج من ماري ابنة عمه ، وفشل زواجهما مما أدى إلى تفاقم آلامه وعذابات نفسه ووجدانه ، وأحب فتاة أعجبت بأدبه وعندما رغبت أن تتزوجه قال لها :

— احلري لن تكوني زوجة فحسب بل ستكونين ممرضة أيضاً .



مكسيم جوركي

(١٨٦٨ - ١٩٣٦ م)

مكسيم جوركي ولد يتيماً ، ضائعاً . مهملاً . لا عيون تطويه في رفق ، أو يداً ناعمة تلمسه في رقة . إنها حياة شاقة ، جافة تتنازعها الغربة ، والفرقة ، والشقاق وهذه المرارة هي التي أوجت له باسم « جوركي » الذي يعني شدة المرارة .

إن الآلام التي صهرت حياته لاشك فجرت في داخله سحر الكتابة ، ورسم الصور بالحروف ، وكشف قضايا المجتمع الذي يعاني الفقر ، والتصدع والسقوط . احتوت قصصه القصيرة على شخوص لا حول لهم ولا قوة في الحياة ، تبحث عن رزقها ، الأشواك تنغرس في القلب ، والأسى بطل من العيون ، ولكنه لا يترك هذه الشخوص منهارة ، إنه يضيء لها الطريق ، طريق الثورة على مجتمع القياصرة والعبودية والاستغلال . وهذا كان إيمانه وهدفه الكبير .

تُعتبر روايته « الأم » من أعظم روايات الثورة التي دعا إليها مكسيم جوركي . وفي هذه الرواية صورة دقيقة الملامح للمرأة الريفية في روسيا ، هذه المرأة الفقيرة التي تحيا في بؤس وانكسار فزوجها سكير عرييد ، أو متوحش القلب ، قاسي الطباع ، حاد اللسان ، لا تعرف الرحمة إحاسيسه ، وتسكنه الخشونة و الفظاظ ، يضربها بشدة ويحرمها من كل شيء إلى أن يموت الرجل ويرحل عنها فتهد حياتها لوحدها ابنها « بولس » .

تعيش مع ابنها الشاب المثقف ، المحب للاطلاع والقراءة وحجراته مكتظة بالكتب في مختلف العلوم والفنون ، وتتأمل الأم ابنها وتتابعه وتنصت إليه وهو يناقش أصدقائه في البيت حين يجتمع بهم ، وتقرأ ما يكتبه : تلك منشورات توزع على الناس في الشوارع سرّاً ، إنه نائر دائماً ، وهي تحبه ، تدعو له أن يحفظه الله لها ، إنه أملها الأخير ، وحلمها في الحياة .

ومع مرور الأيام . . بدأت الأم تفهم السر الذي يسعى وراءه وحدها . . إنه أحد أبطال رجال المقاومة السرية ، يساعد الفقراء ويتحدث بصوتهم وينطلق في الليل من أجلهم ، إنها تخاف عليه

ماذا يريد ؟ الحرية ؟ الحرية من الذل والفقر ، والظلم الذي ساد الأرض ، ولكن فجأة ، يتم القبض علي وحيدها وجماعته ، ولكن الأم لا تتوقف عن ممارسة الدور النضالي الذي بدأه وحيدها بولس ، إنها تطبع المنشورات ، توزعها في الليل ، وتخرج لتساعد الفقراء حتى يأتي يوم تُساق فيه إلى السجن . ويركلها الشرطي بالأقدام ، وتُضرب بالنعال السوداء الثقيلة ، وتذوق الموت ، والأصفاد حول يديها وعنقها وأقدامها ، ويقرأ الناس عنها في كل مكان لتصبح رمزاً للثورة ، الثورة ضد أوغاد المدن وأصبحت رواية « الأم » من أروع روايات أدب الثورة التي أثارت إعجاب العالم .

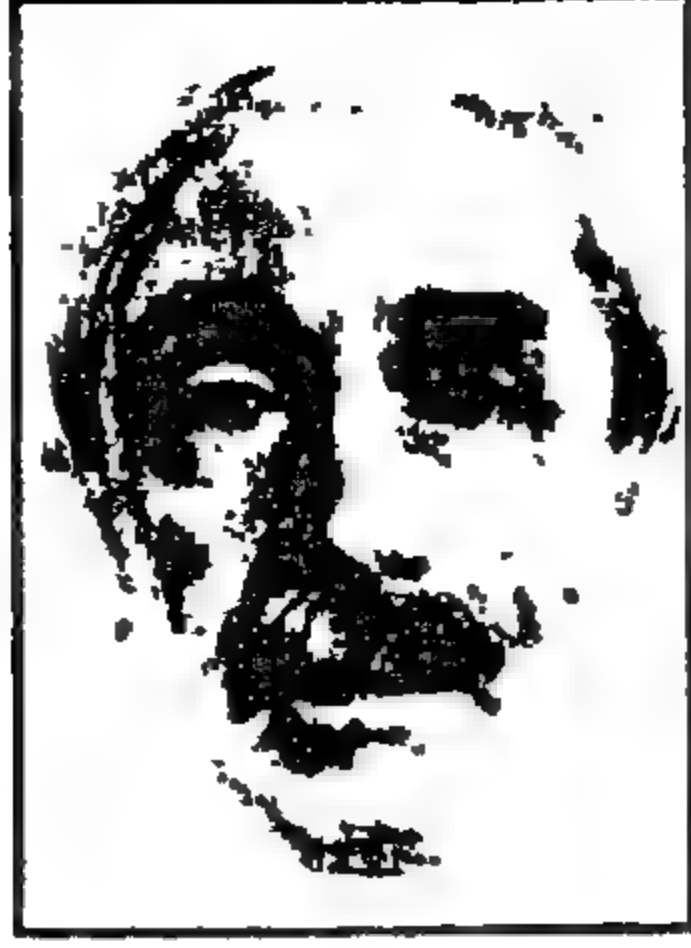
وقد كتب مكسيم جوركي روايات أخرى هي : حياتي في حدثاتي ١٩١٤ ، تحدث فيها عن سيرة حياته ، وأورد نماذج من أدب السيرة بتلقائية وطرافة وأسلوب عذب صادق جريء يحمل ملامح أديب لم يولد إلا ليكون علمًا من أعلام الثورة والنضال ، ورواية أخرى هي : « بين الناس » ١٩٢٣ .

ومكسيم جوركي شاعر أيضًا . ثائر ضد الطغاة والأفاكين والخونة والبلهاء الذين يسعون لدمار الحقول الخضراء ليشيدوا قصورهم العالية فيقول :

« طير العاصفة وحده يمضي فخورًا .. جريئًا .. وحرًا .. فوق البحر المرتعش بالصمت .. وتهاوى الغيوم على البحر .. أكثر انخفاضًا .. أكثر إظلامًا .. ونهدر .. وتدفق الأمواج محممة .. زاحفة إلى لقاء الرعود .. ويتدحرج الرعد شاحدا نصاله .. مريدًا بالغضب .. والرياح تمسك بقطعان الأمواج وتقذف بها بكل قوة تيارها الوحشي على الصخور .. حيث تتناثر كتل الماء الزمردية .. ذرات من ضباب .. وكالبرق الأسود يمضي منشداً طير العاصفة .. وكالسهم يثقب الغيوم .. »

ومازال مكسيم جوركي يطل علينا في الأدب ثورة تحلم بالخلاص من واقع تقوض تحت سياط العار والعبودية . وتلمح في قصائده تأثره بالطبيعة التي يرى فيها عواصف وزوابع وأمواجاً بما يرمز إلى هذه الثورة ، فالطبيعة تُلهم الشاعر وتسانده من أجل الحق والحياة الحرة الكريمة ، فيقول :

« صفحة البحر داكنة .. الريح تتجمع فوق الغيوم .. بين السماء والماء وطير العاصفة ينطلق فخورًا .. شبيهًا بالبرق الأسود .. لمس الأمواج بجناحيه مرة .. ويمر كسهم في الغيوم طورًا .. وهو يرسل صيحاته المنذرة .. »



بول فاليري

(١٨٧١ - ١٩٤٥ م)

شاعر المدرسة الرمزية في الشعر الفرنسي الذي تألق قبل الحرب العالمية الأولى واستمر ينشر الدواوين الشعرية : سهرة مع السيدة نيسيت ١٨٩٦، وأبيات قديمة وبارك الشابة ١٩١٧، وسحر ١٩٢٢، وأوبالينوس ١٩٢٣ وروح الرقص ١٩٢٥، والمقبرة البحرية ١٩٢٦، وفاوست كما أراه ١٩٤١، والملاك ١٩٤٥، ونرجس ١٩٤٥ .

والرمزية مدرسة ازدهرت في الخمسة عشر عاما الأخيرة من القرن التاسع عشر وقد قامت لتناهض مذهب البرناسية الذي يرفض التعبير عن المشاعر الفردية في حرية وطلاقة وقد اجتمع مجموعة من الشعراء وهم استيفان مالارمي ، وبول فيرلين وارتور رامبو وجان مورياس ودعوا إلى قصيدة جديدة تعبر عن العالم الخارجي للشاعر وتُطلق ما في النفس من رغبات وما في الذهن من احلام وما في القلب من أحاسيس .

اتجه الشاعر بول فاليري إلى اعتناق مذهب المدرسة الرمزية واستطاع أن يخضع شعره للجمال الموسيقي والاتجاه إلى كشف أسرار الكون وتأمل الطبيعة وجمالها ومحاولة النفاذ إلى ما وراء هذه الطبيعة ومزجها بالحلم الرومانسي والخيال الجامح . وحين تقرأ اشعاره لا بد أن تخفق روحك وأنت بين الأوراق المبعثرة والعبرات المنسكبة وبلايل الحب المغردة ووجه الحبيبة الساكن على صدر الشاعر ، يقول :

عندما ترتعش الأوراق المبعثرة وتشرع في الفرار

ثم تسكب العبرات من كل قرار

فلأنك تشهد بلايل الحب تعصف بالقلب الغامض

وترى العاشق المجنون ماضى العزيمة

يعانق عشيقته البضة الإهاب متصمراً على الروح

وقد تأثر بول فاليري بالشاعر مالارميه إلا أنه حاول دائماً أن ينتقي العبارات ويطرح الدلالات الخاصة به في صور شفافة أو حاملة وأحياناً يتوغل في متاهات النفس وينثر أفكاراً مجردة ويقول :

حناني يمتد ليرتوي من هذا الماء

فتأخذه النشوة

أمام نزوات إنسان يحاول ممارسة سلطانه على نفسه .

وقد أصدر فاليري مقطوعات شعرية تحت عنوان "نرجس" وهذه المقطوعات تحمل الأسطورة اليونانية عن "نرجس" الشاب الرائع الجميل الذي يعشق وجهه عندما يراه في النبع الصافي . ويرى فاليري أن الإنسان في داخله نوع من الجمال والإحساس المبهم الخفي الذي لا يُفسر أحياناً وقد يرفض الفرد أسلوب هذا العالم الذي يحاصره وينفذ إلى أعماق ذاته يعشقها حتى الإعجاب والهوس ويقول :

أيتها المياه المستترة العميقة

ما أسعد ذواتكن المتزجة

أنا وحلي .. لو سمحت لي الأصلاء والأنواء

وحدي بيد أننى أنا من يقترب من ذاته

عندما يقترب من الضفاف التي يباركها مورك الأخصان

وبول فاليري شاعر يجسد الأشياء المجردة ويحولها إلى طاقات حسية يُمكنك أن تلمسها أوتراها وتخيّلها دون عناء فيقول :

لا منظور ولا معروف

أنا العطر .. حي وميت في الريح القادمة

لا منظور ولا معروف

صدقة أم عبقرية ما أن اجيء حتى تنتهي المهمة

لا مقروء ولا مفهوم ..

كما في ارقى العقوبة من أخطاء موعودة

لا منظور ولا معروف

زمن وغد عار بين قميصين

ويظل بول فاليري نغمة ترتعش بين أوراق الشجر وسحابة راحلة إلى مدن النهار الجديد ، وقلب طفل مزقته الريح على حافات مدن اللهب والجحيم .



برتراند رسل

(١٨٧٢ - ١٩٧٠ م)

برتراند رسل فيلسوف إنجليزي كتب العديد من المؤلفات التي جعلت منه فيلسوفًا عالميًا يقرأه العالم شرقًا وغربًا وتظل كتاباته حتي اليوم تُدرس كمحتوى لنظريات في الفلسفة والعلوم والآداب . ولكن أهم ما كتب رسل هو آراؤه في الحب والحرية . و لنحاول ان نتعرف على هذا الجانب في فلسفته .

في الثانية من عمره توفيت أمه وعاش محروما من حنان الأم ، ثم بعد عام توفي والده فلم يجد من يرعاه سوى جده اللورد جون رسل واتجه منذ طفولته إلى الاطلاع والبحث و التأمل . وقد أوصى عليه والده قبل موته أحد المعلمين ليدرسه العلوم وقد عرف فكر هذا المعلم بالحرية والعمق . وبعد موت جده تولت جدته التي تميزت بالعقيدة الصارمة والأخلاق المتطرفة ، فقد كانت تؤمن أن التدخين خطيئة وتبتعد عن الناس والمجتمع وتحقر كل متعه في الحياة ، ولا شك أن هذه الحياة قد أثرت على رسل فدفعته إلى الوحدة والتأمل بعمق . وذات مرة أهدته جدته الإنجيل، فقرأه وراح يناقشه مع معلمه وظل اعوامًا كثيرة يفكر في أمور الدنيا والحياة .

قرأ في الشعر والرواية ولا سيما قصائد بايرون وشيلي وكتب جون ستيوارت مل ، ويعترف رسل في مذكراته أن كتب جون مل عن المرأة والحرية كان لهما أثر عميق في نفسه . وحين التحق بجامعة كمبردج ، انفتح عالم جديد له ، فالتقى بالأصدقاء المهتمون بالفلسفة والشعر و الأدب وظل معهم يتناقشون في السياسة وشتى نواحي عالم الفكر ومن أهم أصدقائه (ماكتاجارت) الذي أعجب به رسل لثقافته الواسعة وإقباله على العلم والمعرفة .

بعد التخرج من جامعة كمبردج عام ١٨٩٤ اشتغل ملحقا شرفيًا في السفارة البريطانية في باريس حيث كان من واجباته أن ينسخ الرسائل المطولة لإقناع الحكومة الفرنسية بأن جراد البحر ليس من فصيلة السمك .

تزوج من امرأة أحبها ، وعاش في برلين يدرس الاقتصاد والاشتراكية الألمانية ، وزار أمريكا وعاش فيها فترة وشاهد منزل الشاعر الأمريكي (وولت وتمان) ، واطلع على مؤلفات الأدباء والشعراء والفلاسفة والمفكرين ودرس الفلسفة ، وكانت رسالته موضوعها (أسس الهندسة) .

عندما زار رسل الصين كتب عنها يقول :

الصين علمتني كيف أفكر تفكيراً يمتد ليشمل مسافات بعيدة من الزمن ولا أدع الحاضر ببيئاته باعثاً على اليأس ، ولولا هذا الدرس الذي تعلمته في الصين لما احتملت العشرين عاماً الماضية بجانبها من مآسي على نحو ما احتملتها .

يحدثنا برتراند رسل عن أهمية الحب في حياة الإنسان بل في وجود البشر بصفة عامة فالحب يعتبره القيمة العليا ، وإن أي نظام اجتماعي يعمل على الحد من التطور الطبيعي للحب فهو نظام قاصر بل فاسد .

ويعلل قضية ازدهار الحب في المجتمعات وتلاشيه بين الأفراد إلى طبيعة العادات والتقاليد والثقافة التي ينشأ عليها الأفراد وإلى سوء فهم للعلاقات بين الرجل والمرأة ، وأيضاً إلى عدم معاشية الحب كقضية إنسانية ، وهنا لا يعني رسل أن الحب بين الرجل والمرأة عاطفة ومشاعر رومانسية وإنما الحب الكوني الشامل لكل ما هو جميل ونقي في الحياة . وهنا يدعو إلى حرية الأفراد في التعبير عن مشاعرهم والتزود بالثقافات والعلوم والفنون والآداب الرفيعة .

ويناقش رسل ظواهر الحب في الشعر والمسرح والفن بصورة عامة ويرى إنه على الرغم من أن بعض البلاد تجد شعرائها يتغنون بالحب وجمال المرأة والأدباء يكتبون قصصاً تدور حول الحب والفنانين يرسمون في لوحاتهم اشكالاً رائعة للحب إلا أن بعض الانظمة وعلماء الاجتماع تجدهم في هذه البلدان يتجاهلون عاطفة الحب ويعيدونه من العناصر التي لا يجب مراعاتها في كل برامج الإصلاح والتنظيم الاجتماعي .

إن الإحساس بالحب تجاه امرأة معينه أو لوحة جميلة أو فكرة أو هدف أو غاية يستوي هذا الإحساس مع الأشياء الأخرى مادام الإنسان قادراً على الانفعال ، فالحب يزيل وحشة النفس ويبدد الوحدة ويمحو بذور الخوف من أعماقنا . والحب أيضاً يحطم أسوار النفس التي تحجب عنا الهواء وضوء الشمس فيستحيل الإنسان كائناً حياً من نوع جديد يشعر بما حوله من جمال وينظر إلى المستقبل بتفاؤل ، وثقة ، ويجب أن ننتبه إلى أن الحب الذي يتحدث عنه برتراند رسل هو نوع من السمو والمثالية المطلقة .

يوضح لنا برتراند رسل ما هية المواطن الصالح في نظر الدولة وعلاقته بالحرية الفردية الشاملة، فالمواطن الصالح هو الذي لا يثور ضد القوانين والقيم والنظريات التي تلقاها ونشأ عليها في الدولة ولا سيما النظم السياسية واتجاهات الدولة . لأنه إذا ثار ضد الأوضاع القائمة لم يكن في نظر الدولة مواطناً صالحاً ، وقد يساهم الدين في هذا المواطن الصالح بتوجيهاته من الدولة ، فالفرد ينشأ راضياً بما قسم له في الحياة ومقتنعاً بولادة الأمر في الدولة ، ومن هنا فالدين معين للدولة علي بقاء الأنظمة القائمة وبالطبع يتحدث رسل عن الدين المسيحي في بلاده.

ويفسر رسل أن ثورة الفرد يجب أن تنبع من تجربة حيه يعايشها ، فهو من الضروري أن يشعر بالظلم مثلاً ليثور ويجرب الاضطهاد ليتمرّد وحرية التعبير عن الذات هي في قائمة القضايا التي يحارب من أجلها رسل . والحرية هنا ليست حرية الأرض أو حرية الفرد في التعبير بل حرية الانسان بصورة شاملة في كافة المجالات .



سومرست موم

(١٨٤٧ - ١٩٦٥م)

الكاتب الانجليزي وليم سومرست موم قبيل أن يودع هذا العالم قال :

لقد حاولت كثيراً أن أبحث للحياة عن معنى ما فلم أجد إلا معنى واحداً وهو أن نحياها .

ولد في باريس وأجاد اللغة الفرنسية ودرس الطب ولكنه لم يعمل طبيباً بعد تخرجه وانجبه إلى توظيف علمه في إطار حياته الأدبية ، وقد تأثر بالأدباء الفرنسيين الكبار ومنهم زولا وبلزاك وجي دي موباسان .

وإذا قرأت قصصه أحسست أثراً لدراسته وحبه العميق لفرنسا ، فهو يميل مثل أغلب الروائيين إلى التحليل العميق للنفس البشرية ودراسة أعماقها بكل ما فيها من خطايا وفضائل وشر وخير وهو يؤمن بأن المثقف الذي يُصرح بالمبادئ والمثاليات أحياناً لا يستطيع أن يحياها أو يحققها في حياته لأنه يتخذها مجرد شعار وليس واقع وحياة .

في رواية (العبودية والإنسان) ١٩٥١ صورة لهذا البطل المصاب بعمالة في قدمه ويحلم بحياة عالية الهمم والطموحات ولكنه يفشل في ذلك ويحب امرأة لا ينسجم معها فكرياً ويحاصره اليأس من كل مكان فيتراجع عن الطموحات الكبيرة والعزائم الفتية ويقرر ببساطة الانتحار .

وفي روايته (القمر وست بنسات) صورة أخرى عن الفنان الذي يتمرد على حياته بعد أن يكتشف فجأة أنها خاملة بلا قيمة أو هدف نبيل فهو لا يدري كيف يحرك الفرشاة فوق لوحاته فيهجر زوجته وأولاده ويذهب إلى باريس ليخلو إلى فنه ويستطيع إبداع أجمل لوحة في حياته ولكنه يموت بعد ذلك .

ربما كان موم يقصد أن تتوفر للفنان مملكة خاصة يسترد فيها ذاته من واقع الضوضاء والزحام

ووسائل الإعلام التي تُشكل ضغطاً على أعصاب الفنان ، وقد عاش موم تلك المعاناة حين حاولت الصحافة إجراء الحوارات معه والتعرف على آرائه في القضايا العامة وقد رفض كثيراً أن يكتب أو يدلي بأخبار عن سيرة حياته كما يفعل معظم الأدباء والشعراء حتى إنه طلب من أحد أصدقائه أن يحرق رسائله كي لا يستغلها أحد بعده في كشف لبعض أسرار حياته ، فلم يكن مؤمناً بما يقوله الأديب عن حياته ولكن المصدر لسيرته من كتاباته وإبداعه .

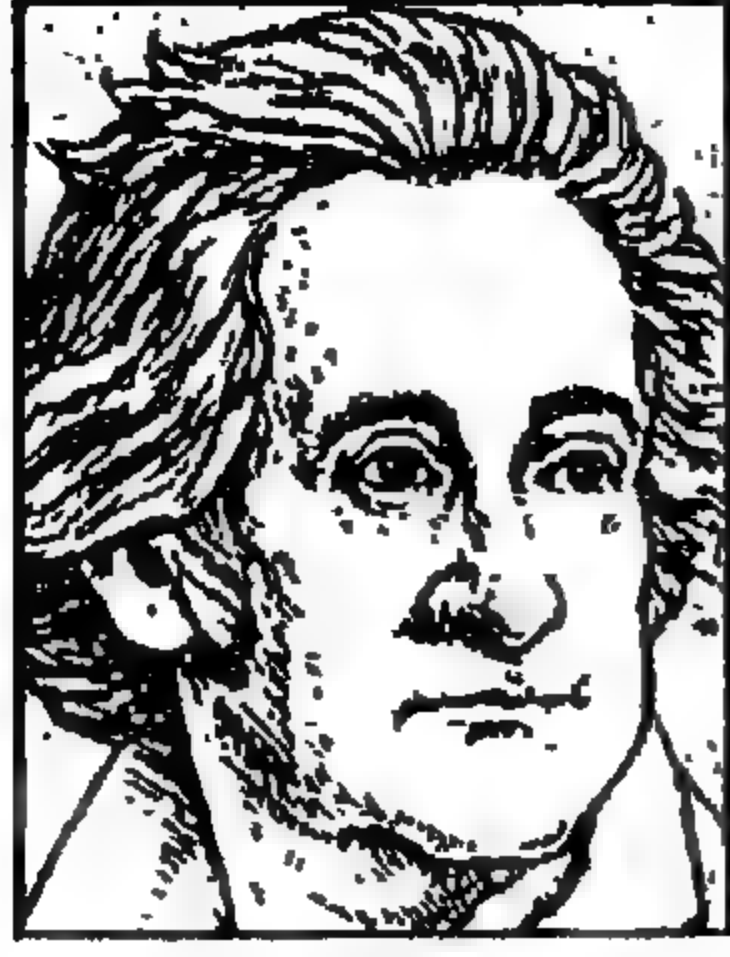
والأديب موم لديه قدرة على وصف الأحياء الشعبية والأماكن التي تحدث فيها رواياته .. وفي ذلك تأثر بالأديب الإنجليزي تشارلز ديكنز . ومن مجموعات موم القصصية قصة : (مطر) التي اشتهرت وفتحت آفاقاً جديدة أمام الكاتب ويقال إن دخله بلغ فيها ما يقارب المليون دولار .. والقصة عن جماعة من الأوربيين في سفينة ومعهم واعظ وامرأة اسمها سادي .. ويتتقد الواعظ هذه المرأة بسبب تحليلها من القيم .. وتغريه فيزل ويسقط معها فيدفعه الإحساس بتأنيب الضمير إلى الانتحار .. وتنتهي القصة والمرأة تصرخ في وجوه ركاب السفينة قائلة :

«كلكم رجال خنازير قذرة .. كلكم سواء دون استثناء»

وكان هدفه من هذه القصة أن يبين كيف يرد الإحساس بالذنب إلى ضمير من يبيعون الكلام في الهواء دون إيمان عميق بالقضية التي يدافعون عنها ، فالمرء وليد البيئة والظروف والمجتمع الذي نشأ فيه وليس هناك خائن بالصدفة هكذا يؤكد سومرست موم .

وقصة « رد » عن البحار الوسيم الذي يحب سالي ثم يختفي وتعيش سالي أياماً حزينة فتزوج هرباً من الأحزان ولكنها تظل تعسة بسبب حبها للبحار ، وتمر السنوات حتى يشاهد رجلان يعرف زوجها أنه البحار الذي أفسد عليه زواجه ويتأمل الزوج فيراه قبيح الوجه ويعجب كيف ظلت زوجته تعاني من حب هذا البحار الأصلع المترهل الجسد المنتفخ البطن ، ويتساءل الزوج ماذا ستفعل الزوجة لو عرفت أن هذا هو « رد » ؟ .

إن الحب لدى موم لا يحيا في الخيال وإنما يعيش على الواقع ويقف ضد تيار الزمن .



رينيه ريكله

(١٨٧٥ - ١٩٢٦م)

الشاعر الالماني رينيه ريلكه رعشة ألم في الشعر العالمي وخفقة قلب انسحق في غبار الغربة ..
وظمأ إلى رحيل في سماء الطهر والشفافية .

اعتصر كيانه حزن عميق يرفض هذا العالم المادي المتصارع على النفوذ والمال والقوة والمتعة ثم
يزول كل شيء إلى الفناء وتظل الروح في الجحيم تزار . في شعره هالة من الوجد الصوفي
والنغمة المحلقة في سحائب بيضاء تشتهي البراءة والورد والنهر العذب فيقول :

رب امنح كلامنا القدرة على أن يموت

موته الخاص به .. واجعل الموت لقاءنا

في عمق .. فما نحن سوى القشرة والورقة ..

أما الموت العظيم فيقيم في أحشائنا

ثم ينضج كالثمرة التي لا بد أن ينتهي إليها كل شيء ..

ويكتب إلى زوجته « كلارا » التي أحبها وصورها في بعض قصائده ، يشكو لها واقع الحياة
وكيف يرى الناس في عجلة من أمرهم ، والقيم منهارة على الأرض والمشاعر ليس لها أثر في
اعماقهم . اقرأ ماذا يقول :

الناس هنا ينامون على الأرض في النهار ..

وتحت السماء وفي الليل وعلى وجوههم

علامات من العبوس والضجر ..

فلا واحد منهم راض عن أي شيء ..

فالقيم مزعومة في كل ركن من أركان ..

هذا العالم المتوتر الأعصاب ..

هل ترين أنه يوم الحشر ..؟

أم ترين أن الاحساس بالمرارة

والاغتراب هو الذي ترك وراءه هذا التعلق الشديد بالنزوة الوقتية العابرة ؟

تميزت قصائد ريلكه وأدبه القصصي وبحوثه باتجاه روحي إلى صفحات خالصة البراءة والنقاء .. يحلم بمجتمع أقرب إلى المدن الفاضلة .. ويكتب ليقاوم هذا المنفى الذي سقط فيه الشاعر .. وتشير بعض كتاباته إلى خروج آدم من الجنة ومعصيته وسقوطه على الأرض وحيداً يعاني الضجر والصراع من أجل الرزق .. وعبر في ديوانه « الساعات » عن هذه الفكرة قائلاً :

كل الذين يبحثون عنك يغرونك .. والذين

يجدونك هكذا يقيدونك بالصورة والإشارة ..

أما أنا فأريد أن أفهمك .. كما تفهمك الأرض مع نهجي تنضج مملكتك

أحس ريلكه بعذاب الوحدة ، وما يسود الوجود من اضطرابات وتمزق بحيث أهدرت عبقرية البشر في الحروب والبحث عن الأمجاد الزائفة ، وتناست البشرية كيانها الروحي وتعاطفها واشفاقها وإحساسها نحو الآخرين . وجاء في ديوانه "الصور" بعض من هذه الأفكار والرموز فيقول :

الأعمى الذي يقف فوق الجسر .. مظلماً كعلامة على طريق ممالك مهجورة .. ربما كان ذلك الشيء المتشابه أبداً .. الذي تطوف حوله ساعة لنجوم .. من بعيد ربما كان المركز الهادئ للافلاك .. لان الأشياء كلها تفضل من حوله وتنسكب وتبدو رائعة ..

يعد ريلكه شاعر الحياة والزمن الوردي والهمسة الناعمة .. لم تجتذبه سطحية الأشياء وتفاعلها اليومي وهمومها العادية .. يحس أن هناك اسراراً تتحدث عن نفسها فيما وراء هذا الواقع اليومي ، ليست تلك هي الحياة التي يبحث عنها أو يجرب أن يفعل بها .. هناك حياة أخرى تعلو فيها النفس وتسمو الروح ويخفق القلب بالركة والعاطفة الجياشة .. وتنهل الدموع والبسمات وتتألق فيها الرحمة والحب و التضحيات الكبيرة فيقول :

والليل .. الليل عندما تهب الريح منعمة بالفضاء الكوني وتطعم من وجوهنا .. من ذا الذي لا تبقى

من أجله ؟ ألا ينبغي أن تصبح هذه الأحزان نافعة لنا .. ؟ ألم يأت الأوان كي نتحرر بالحب من المحبوب
ونتحمل الفراق ونحن نرتعش .. كمثل ما يحتمل السهم الوتر ؟

لقد قرأ ريلكة أيضا في الأدب العربي ودرس القرآن الكريم وتأثر به وتجلّى ذلك في سيطرة
مشاعر الطهر والعفة في شعره .. وإيمانه بالحب الروحي ورفضه لمجتمع أوروبا الحديث الذي
يستنزف الطاقات الإبداعية ويهدرها عبثًا .



روبرت فروست

(١٨٧٥ - ١٩٦٣ م)

شاعر أمريكي حقق شهرة كبيرة ومجداً إبداعياً لم ينلها شاعر آخر في عصره ، فقد مُنح أكثر من أربعين درجة دكتوراه فخرية من جامعات في أمريكا وإنجلترا ، وفي عام ١٩٥٠ أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قراراً بتكريمه ، جاء فيه :

— إن الشاعر روبرت فروست قد ساهمت قصائده في إضاءة الفكر وتوجيه الأذهان إلى الحكمة والمحبة والعدل الإنساني .

وروبرت شاعر تقليدي ينهل من التراث الشعري القديم ، وبناء القصيدة قائم لديه على الوحدة الموضوعية والألفاظ الجزلة والخيال الضارب في أغوار الحياة وتصوير الطبيعة ، وتتجلى أفكار قصائده في تمجيد الحياة النقية ورفض الأحقاد والعنصرية والدعوة إلى الحب والصدقات الإنسانية ، وتفسير الواقع الخالي من النظم والقيم إلى واقع آخر تتجلى فيه نغمات الأحاسيس الرقيقة ، ولذلك يقول في إحدى قصائده :

ليه أيها العالم العاصف

الأيام التي لم يلفك بها

الضباب والسحاب

أولم تلتحف بها كأنما في كفن

ولم تكن كرة الشمس المتوقفة

كلها أو بعضها

محجوبة عن نظر البشر

وقد ولد الشاعر روبرت فروست في سان فرانسيسكو وعاش قريبا من الأرض والمزارعين بل إنه مارس الزراعة أيضا وعشق الطبيعة وتعلم لغة الأرض في العطاء والحب والتضحية وكيف يُغنى الإنسان لتنمو شجيرة خضراء في قلب الصحراء وكيف يناضل من أجل وردة تنمو في الروح . ويقول في إحدى قصائده عن مدى تأثيره بهذه المعاني :

هنالك عبر الغابات والحقول

وفوق الأسبجة اتخذت طريقي

وصعدت الروابي المشرفة

وتطلعت إلى العالم

ونزلت ثم عدت إلى البيت

في الطريق الرئيسي

وهنا بلغت النهاية

وروبرت شاعر الحكمة والنزعة الإنسانية حيث تنساب الصور الشعرية تنفض عن الأرض بقايا الغبار وآثار الحروب وتجلو ما في قلوب الناس من خوف ويأس وإحباط وتشعل في الظلمات مصابيح ضياء تهتدي بها البشرية إلى طريق حافل بالعطاء والمساواة والتوحد مع الطبيعة في وفرة اخضرارها وكثافة عطائها وبساطة خيرها .

روبرت فروست شاعر يزرع في قلب البشر لغة التحدي للظلام والخريف والضباب حتي تنفجر الغمامات بقطرات المطر الربيعي ويصحو قلب الإنسان للحب والعطاء .



أنطونيو ماتشادو

(١٨٧٥ - ١٩٤٠م)

أنطونيو ماتشادو شاعر الحب والحياة .. وأحد رموز الفكر المستنير والثقافة المناضلة في أسبانيا .
ولد في مدينة أشبيلية من أسرة تقدمية متحررة ومثقفة إذ أن جده لأبيه عمل أستاذاً جامعياً ،
ووالده اهتم بالتراث الشعبي وعلم الفلكلور ودراسة الأغاني الشعبية الأسبانية وبخاصة
الفلامنكو ، ويصف طفولته في قصائده ويقول :

طفولتي ذكريات شاسعة في أشبيلية

وجنيئة صافية

حيث ينضج الليمون ..

شبابي عشرون عاماً في « قشتالة »

تاريخي بضعة أحداث ..

لا أريد تذكرها ..

وتنتقل الأسرة إلى مدريد حيث يُعين الجَد أستاذاً في جامعتها ويلتحق ماتشادو وأخوه بمعهد
التعليم الخاص حيث التربية المتحررة والثقافة المتنوعة المختلفة عما يُدرس في المعاهد الحكومية
والدينية من ثقافة تقليدية غثة لا تثير الفكر ولا تساهم في الإبداع .

درس الشاعر الأسباني ماتشادو المرحلة الثانوية وبدأ يهتم بالدراسات الشعبية والشعر والفنون
وتألفت ثقافته وازدهرت مواهبه ولكنه لم يكن طالباً لا معاً أو مجتهداً فظل عشرة سنوات في هذه
المرحلة حتى حصل على الشهادة .

وفي عام ١٨٩٨ بدأ ينظم أشعاره وقد تأثر بهزيمة أسبانيا في حربها ضد كوبا وفقدانها آخر
مستعمراتها ولذلك غلب على أشعاره النغم الذاتي الحزين والتهويمات والمشاعر الرومانسية .

ويحدد ماتشادو أن الشعر ليس الكلمة من حيث قيمتها الصوتية وجرسها وليس أيضاً التكوين والزخرفة ونظم الأبيات . والشعر أيضاً ليس تعقيد الأحاسيس والمشاعر ، بل رقة الروح وسماتها الخاصة لكي تواجه الكون في شجاعة وإنطلاق . وأصدر ديوانه الأول (وحدة) الذي عبر فيه عن هذه المعاني والأفكار .

وفي عام ١٩١١ سافر إلى باريس بصحبة زوجته بعد حصوله على منحة لدراسة اللغة الفرنسية وآدابها . وهناك التقى بالفلاسفة والشعراء وتأثر بالمذاهب الفنية وتعمقت ثقافته وترقرقت شاعريته .

ويواجه الشاعر ماتشادو محنة رحيل زوجته التي يحبها وظل يتألم لمرضها حتى سقطت بين ذراعيه من أثر المرض . ويكتب لها مراثية يقول فيها :

في إحدى ليالي الصيف

كانت الشرفة مشرعة

وباب داري مفتوحاً

ولج الموت إلى بيتي

وأخذ يقترب من سريرها

حتى إنه لم يلتفت إلى

بأنامل جد رقيقة

في خفوت ودون أن يعيرني انتباهاً

مر الموت إزائي مرة أخرى

ماذا فعلت ؟

لم يجد الموت ..

طفلتي همدت ..

وقلبي انقطر ..

آه ما فصمه الموت

كان خيطا بيتنا عن الاثنين .

ويشرد الشاعر في مسحته .. هائما في حلم تحطم ، تحاصره غمامات من تشاؤم وبحيرات من
دموع ونزيف الجراح ..

ويرى الوجود من خلف ستائر ظلماء ويقول :

حلمت بأنك كنت تأخذيني

في درب أبيض ..

وسط الحقل الأخضر

نحو زرقة السلاسل ..

نحو الجبال الزرقاء .

ويصف الشاعر ماتشادو تفاصيل رحلة الحلم الأخضر مع الحبسية التي فارقت الحياة ولكن
ماتزال آثارها باقية في لمسات الصباح وصوتها الطفولي يفجر أمطار الحنين :

ذات الصباح الهادئ .. أحسست بيدك

في يدي .. بك الرقيقة الحانية .

أحسست بصوتك الطفولي في مسمعي

مثل جرس صغير جديد ..

لفجر ربيع

ونشر ماتشادو هذه القصائد الجميلة في ديوانه الجديد واطلع الناس على سر هذه الشاعر
الصادقة ونبض الروح المضيء بالحب والجمال فاشتهر الشاعر ماتشادو وكتب إلى صديقه الشاعر
خوان رامون يقول له :

**" عندما فقدت زوجتي فكرت أن أنتحر بأن أطلق النار على نفسي غير أن النجاح الذي
لقيه ديواني أنقلني وليس عن عبث بل لأنني فكرت في إنه لدى موهبة نافعة ليس لي الحق في
القضاء عليها .. "**

ويسافر ماتشادو إلى بلدة (بياسة) بعد أن تألم لوفاة زوجته حيث كل شيء حوله يذكره بها،
ويحيا الشاعر بعيداً منسياً خلال ست سنوات من العزلة ، وتمرحياته بين رتابة الحياة وكآبة الطبيعة
ويظل يقرأ ويمارس عمله استاذاً في معهد هذه البلدة .

ويلتقي الشاعر ماتشادو بالشاعر الكبير فيديريكو لوركا الذي أطلقوا عليه الرصاص خلال الحرب الأهلية ، وينشر ماتشادو ديوانه (قصائد) ليحمل نفثات قلب أضناه الحزن والبكاء على زوجته الراحلة .

وفي عام ١٩٢٨ يعشق امرأة جميلة اسمها غيومار ، مثقفة تحب الشعر ، ولكنها متزوجة فظل على علاقة بها لمدة أربع عشرة سنة ويكتب لها :

مثل وميض أبيض
في ليلتي اللهباء
وفي الرمال اللامعة إزاء البحر
بشرك الوردية السمراء
على بغته يا غيومار
في الجدار الرمادي
سجن وماوى
وفي منظر حالم
مع صوتك والريح لا غير
في لؤلؤة قرطك الباردة
بفمي يا غيومار
وفي قشعريرة فجر مجنون
مطل على رصيف يلطمه بحر حلمي
وتحت جبين سهري المقطب
خشية أن تأخذني سنة
دائمًا أنت يا غيومار

لقد عشق الشاعر ماتشادو هذه المرأة المثقفة غيومار ولم يكن يراها إلا في المنتديات والأمسيات الثقافية والندوات الفكرية . وظل معذبًا في وحدته لا يستطيع أن يحقق أحلامه معها ، ويموت

عشقاً من أجلها ، ويقول :

غيومار
أنا مدان بأنني أبدعتك
وها أنا لا أستطيع نسيانك
إن كل حب لوهم
فهو يبتدع العام واليوم
والساعة وإيقاعها ..
يبتدع العاشق والمعشوق
فهو لا يجرب شيئاً

ويكتب ماتشادو عدة مسرحيات تُعرض في مدريد ويطلع مرة أخرى ديوانه « قصائد »
ويندمج في اللجنة الدولية للكتاب في سبيل الدفاع عن الثقافة .

وحين تندلع الحرب الأهلية الأسبانية تغتال قوات الجنرال فرانكو الشاعر الكبير لوركا ولا
يدري ماتشادو ماذا يفعل ، فقد مزقته الصدمة ورهبة الحرب وبشاعة الموت ويهرب مع والدته
إلى الحدود الأسبانية الفرنسية رغم الإعياء والمرض والآلام ، وتسأله أمه :

— متي نرجع إلى أشبيلية ؟

ويظل يقاوم دوار المرض . حتى يسقط على الأرض فاقداً الوعي .. وأمه تصرخ بجواره ثم
يفتح عينيه وينظر إلى الآفاق البعيدة .. يتطلع إلى بلاده ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة ويردد أشعاره :

هذه الأيام الزرقاء

هذه الشمس

شمس الطفولة

أيام الأندلس الزرقاء

وشمس أشبيلية الحنون

وتراب أسبانيا الدافئ

ومات الشاعر أنطونيو ماتشادو غربياً على أرض فرنسا ، ولحقته أمه ، ولا يزال رفاتهما في
ديار الغرب .



جورج صاند

(١٨٧٦ - ١٩٠٤م)

جورج صاند توهج الروح المتمردة .. والقلب العاشق الراحل بين موانئ شتى تمزقه الريح وأنين الدمعات .. ويعصف به هوى مستبد وعشق جامح ، خلق منها اسطورة عاطفية في تاريخ الأدب الفرنسي .

فاضت دموع عشقها ذات يوم حين رحل عنها حبيبها الشاعر الرقيق ألفريد دي موسيه ، ولكنها تداوي الداء بالداء فتركض إلى عيون رجل آخر لتنسى معه حبيبها الراحل ، فالحب في حياتها عادة يومية والرجال المشاهير الغارقون في غرامها تتخير منهم ما تحب وتضرب بالآخرين عرض الحائط دون مبالاة أو اهتمام لمشاعرهم أو مواقفهم .

هكذا عاشت جورج صاند كالعاصفة تقتلع المشاعر من نياط القلب واشتباكات الروح ولا تهتم كثيراً بالأخلاق أو القيم الاجتماعية أو الأعراف السائدة . إنها تقرر ما تتمناه .. وتحقق ما تحلم به في بساطه وانسجام .

ولذلك فإن شهرتها الحقيقية لم يكن مصدرها مؤلفاتها في أدب السيرة التي فاقت المائة ، وإنما جاءت شهرتها من علاقاتها المتعددة والكثيرة مع مشاهير عصرها .

تزوجت جورج صاند في الثامنة عشرة من عمرها وأنجبت طفلين ، وبعد فترة شعرت بالملل والكآبة فهجرت أسرتها وتوجهت إلى باريس لتحيا في عالم الأدب والإلهام .

وخلال سنوات قليلة أصبحت صديقة حميمة بل عشيقة لـ مشاهير في عصرها من فنانيين وأدباء وشعراء وسياسيين وموسيقيين وفلاسفة . وقد عاشت قصة حب مؤلمة مع الفنان النمالي فريدريك شوبان ، ولكنها تركت الموسيقى وذهبت إلى رجل أحبته ووقف معها يساندها في حياتها الأدبية واسمه جولز صاند ومن هذا الرجل اتخذت اسمها : جورج صاند .

تعددت مؤلفاتها في السيرة الذاتية والقصص الناقلة لمساوى المجتمع وتحليل قضاياها . وكتبت الرواية الاجتماعية الإنسانية وكتب الرحلات إلا أنه غلب على أسلوبها الاتجاه الفلسفي .

أحبت الشاعر الفرنسي الحالم ألفريد دي موسيه ، وحين كانت بجواره اثناء مرضه شاهدت طبيباً شاباً يعالجه فأحبته وهربت معه وتركت خلفها شاعراً يئن ويبكي .. وحين هجرت الطبيب عادت إلي الشاعر تقول له :

« إنى أحبك .. وسأموت من حبي إذا لم يصنع الله معجزة من أجلي .. إنني عاجزة عن فعل شيء للعزلة .. باللعزلة .. أريد أن أقتل نفسي .. آه يا طفلي كم تشعر أملك بالنعاسة ».

وظلت علاقتها مع ألفريد دي موسيه ، تتأرجح بين الإقبال والإدبار والتواصل والهجر حتى تركها وسافر لأنها قد خانتها فكتبت إليه باكية :

« أيها الطائش إنك تهجرني في أسعد لحظة من لحظات حياتي .. أليس كثيراً أن تجمع كبرياء امرأة وأن تلقي بها علي قدميك .. يا قلبي في الحياة يا حبي المشؤوم » .

وأصبحت قصائد ألفريد دي موسيه ورسائل جورج صاند من أروع الوثائق الأدبية التي تجسد رقة الشعور ورهافة الإحساس في الحب وتعتبر اليوم مصدراً هاماً لدراسة الحالة النفسية والفكرية للمبدعين ومجتمعهم وعصرهم ، ولعل هذه العلاقات العاطفية هي التي أسهمت في شهرة جورج صاند أكثر من مؤلفاتها المائة .



بيتروس ماغنيس

(١٨٨٠ - ١٩٥٣ م)

ولد الشاعر ماغنيس في اليونان ودرس الحقوق والتجارة وعاش حياته بين المدن والجزر اليونانية شغوقاً بجمال البحار ودفقة الأمواج والأشجار المائسة والطيور المحلقة وسكنت الطبيعة ذاته ومزجها بعواطفه وأحاسيسه ولذلك يقول إلى الفتاة التي أحبها في قصائده :

عندما تذهبن إلى الدروب

التي كنا فيها متى أوغل الليل

يرافقنا الحب

وتشيعنا الظلمات

عندما تذهبن إلى هناك

سترين أطيافنا مازالت تهيم في هدوء

وتتهامس بأسرارنا

وبين الحين والآخر نتبادل القبل

قرأ ماغنيس في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ووجد ذاته في الاشتراكية والتعاطف مع الفقراء والمبوزين والمسحوقين من أفراد المجتمع وكان قد آمن بمبدأ الفن للفن في بداية نضجه الفكري ولكنه تخلص من هذا واتجه إلى الاشتراكية وحاول أن يحول مساره الإبداعي إلى قصائد موجهة إلى أهداف اجتماعية وإنسانية .

وبدأ يرسل قصائده إلى مجلات أدبية في مختلف البلاد ومنها مجلة (الحياة الجديدة) التي كانت تصدر في الإسكندرية .

ويقول في إحدى قصائده في هذا الاتجاه الاشتراكي :

انهمر المطر أمس

واصبح اليوم عطراً معبقاً بالريح

قطع الماس تلالاً على أشجار الورد

والزمرد في الأرض الخضراء منتشر

ما أسعد العاملين الذين سيخرجون

إلى الهواء النقي

وراء الرزق يسمون ...

الشمس ستغسلهم وفي أشعتها يسيحون

ولم يكن ماغنييس راضياً عن أحوال وطنه اليونان ، فظل يكتب مقالات حادة يهاجم فيها الطبقات الرأسمالية ويرثي الشرفاء الفقراء الذين لا يجدون من يناصرهم أو يساندهم في معركة الحياة . ويقرر الرحيل إلى مصر ، وأمضى هناك أيام عمره الباقية وانفعل بالأحداث وشارك في اتجاهات الفكر وامتزج بالحياة الاجتماعية والسياسية وأعجب في تلك الفترة بدور الزعيم المصري مصطفى كامل وأشاد به وبدوره كنضالي كبير .

واستمر في إبداع قصائده الساخرة ، يقول :

سألت ثعلبة بالغة الدعاء ذات مرة :

لماذا يلاحقونك في كل مكان ..

هل لأنك تاكلين الدجاج أم لجمالك و سحرك الفتان ؟

وأجابت الثعلبة :

- بل من أجل الفراء .

وفي مصر تمزقت ذاته حينئذ إلى وطنه يود أن يشاهد أهله ويخطو فوق الأرض والقمم الشامخة ، ويتذكر طفولته العذبة ولهوه بالزمار بين الأعشاب فكان يغلبه الحزن والألم ويقول :

آه لو أمكنتني أن أمضى حياتي

علي قمم الجبال الشامخة

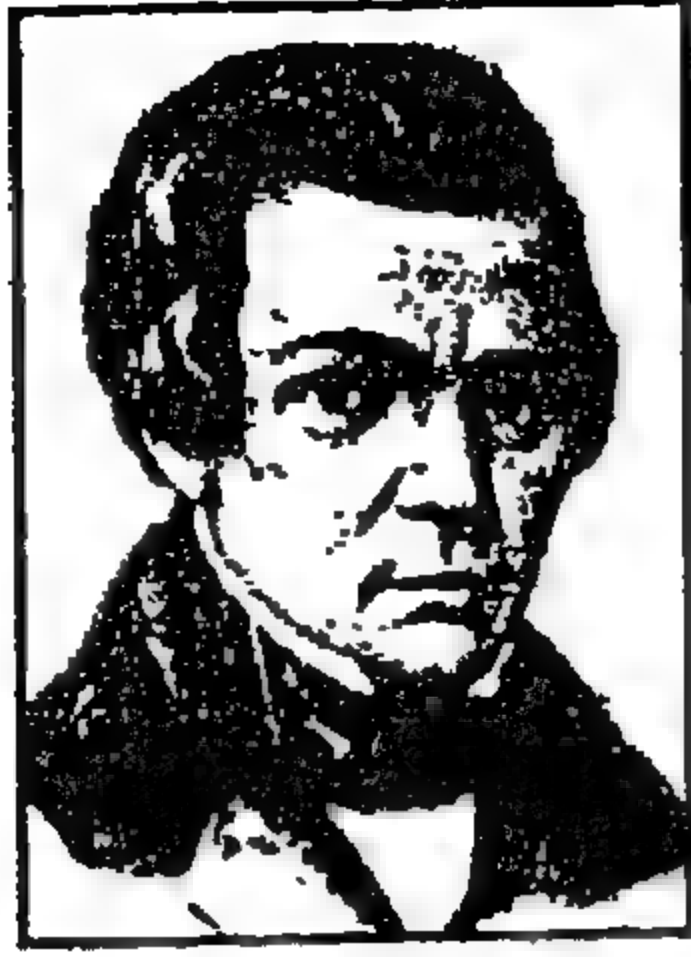
وأستنشق الهواء الطلق

في صحبة ملهمتي الطيبة ومزماري الحبيب

وكتب في مصر أربعة دواوين شعرية تحمل عذابات إنسانية تواجه تناقضات الحياة ويحترق من أجل البؤساء ويتمنى العودة إلى وطنه هناك . وقد غلف هذا الحزن بفلسفة الحكمة والصمت والنضال يقول :

— مرورنا عابر والحياة من حولنا خضم زاخر طوي لمن يعرف كيف يقف بعد سقطته شامخًا ..
طوي للمهرج السيرك الذي يقهقه ضاحكًا وهو يتلقى الصفعات

وأمضى ماغنيس حياته في مصر تحاصره الأحزان والذكريات الغابرة والسوانح العابرة
ويكتب بدم القلب شعرا يصف لواعج حبه لوطنه ولأبناء هذا الكون الضائعين المشردين
حتى رحل عن الحياة ومازال صوته يدوي في تلك الأماكن التي شهدت مجلسه وحضوره
ونشاطه الإبداعي



غيوم أبولينير

(١٨٨٠ - ١٩١٨ م)

الشاعر الإيطالي غيوم أبولينير لم يفكر في البحث عن إبيه وعقاب أمه اللاهية ، وإنما انسحب إلى داخل ذاته يتأمل ويقرأ .. ويخلق في القضاء حتى سقط مضرجاً في دمائه حينما استقرت رصاصة في صدره أثناء الحرب العالمية الأولى .

هذا الطائر الجريح عشق فتاة في شبابه وأحبها ، والشائعات تطارده بأنه بلا أب ولد في ليلة شيطانية تنتظره أبواب الجحيم والشقاء ، وإذا بالفتاة تهجرة وترحل عنه منكسرة ولا يدري لماذا الفراق ... وخرج متشرداً ضائعاً يبحث عن ذاته الممزقة تفوح منها رائحة الخيانة والسقوط والجريمة .

وفي ليلة وجد نفسه خلف قضبان السجن مع صديقه بيكاسو .. حيث اكتشفت الشرطة قطعة من التحف النادرة في بيته كان أهداها له صديق ولا يدري أنها قد سرقت من متحف اللوفر .

وفي السجن كتب أجمل قصائده عن الحب والسجن والعدل والغربة والقدر المحتوم الذي يعصف بحياته ، وسجل ذلك في ديوان « خمور » وحين خرج من السجن اشترك في الحرب العالمية الأولى ليصاب برصاصة تضع حداً لمأساته وبؤسه والعار الذي خلفته له أمه .

وقد أكد أبولينير أن الشعر ليس مجرد رموز وتهويمات ، وإنما لمسات إنسانية وروح نחנו وتناثر وتشارك في صنع الحياة يقول :

أسمع جلبة المدينة .. ولأنني سجين

بلا أفق .. لا أرى الأسماء معادية .. وجنود

سجني العارية .. النهار يمضي .. ومصباح يشتعل

في السجن .. نحن وحيدون في الزنزاة

أيها الضوء الجميل

أيها العقل الغرير ..

درس أبولينير في المدارس الدينية بمدينة موناكو وسافر إلى ألمانيا وعمل بالتدريس لأبناء النبلاء، وهناك عشق فتاة انجليزية اسمها آني وكشف لها عن أحاسيسه الملتهبة وارتبط معها بعلاقة مصيرية ، ولكن الفتاة هاجرت إلى أمريكا وتركتة وحيدا يبحث عن ذاته الضائعة وقال لها في أشعاره :

وداعاً أيها الحب الزائف المختلط

بالمرأة التي تبتعد

بتلك التي فقدتها

في ألمانيا في السنة الماضية

والتي لن أراها من جديد

وعندما قامت الحرب العالمية كان في فرنسا فاشترك مع القوات الفرنسية للدفاع عن الوطن وألحق بفرقة المدفعية ثم إلى فرقة المشاة وساهم ببطولات جريئة في الحرب وحاز إعجاب الجميع ولكن الشاعر أبولينير أصيب في الحرب برصاصة أحدثت جرحاً خطيراً في رأسه مما أدى إلى وفاته

وكتب أبولينير قصائد كثيرة من وحي الحرب وتجربة محنته حين ولد لا يعرف له نسبا وأمه التي جلبت له العار ، يقول :

أيها الخريف السقيم والمعبود

ستموت عندما يعصف الإعصار

في حقول الورد

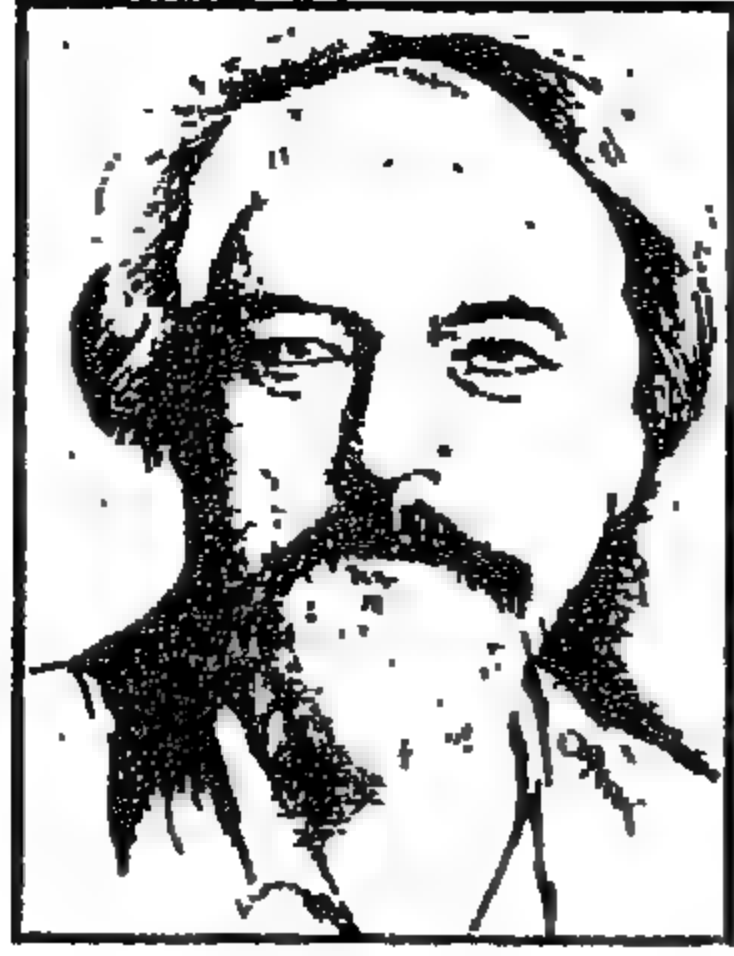
عندما تثليج علي البساتين

يعتبر أبولينير من شعراء المدرسة الرومانسية الذين ساهموا في بلورة حركة الشعر الفرنسي ، فقد عبر بمهارة وصدق عن أحاسيس النفس الممزقة والقلب الحزين والروح الضاربة في أعماق الأسى فجاءت قصائده ذات طابع مبتكر أصيل . وكذلك محنته قد ألهمته بإبعاد إنسانية ومواقف

عبر عنها في لحظات من الشجن و الحنين المؤثر .

ويقول في إحدى قصائده الحزينة :

عند منحني شارع يحترق
بجميع نيران وجهاته
بجروح الضباب الدامي
حيث تنوح الواجهات
امراة تشبه هذا الضباب
كانت نظرتها التي تتم عن فظاظتها
بجرح عنقها العاري
خارجة ثملة من حان
في اللحظة التي تعرفت فيها
على زيف الحب نفسه



جيمس جويس

(١٨٨٢ - ١٩٤١ م)

عندما كتب روايته « عوليس ١٩٢٢ م » مُنعت من النشر في إنجلترا وأمريكا فلجأ الكاتب إلى طباعتها في فرنسا وذلك لما في الرواية من وصف صريح لغرائز الإنسان وأقباله على النزوات دون تحفظ أو اعتبار للقيم الأخلاقية واقترافه الأثام والشرور .

إن جويس يتتبع الأفكار الذهنية للبطل وما يدور فيها حول الحياة والموت والمرأة والمتعة معتمداً على الرموز والإشارات النفسية فجاءت الرواية معقدة ، ذات مستويات فنية عالية ومتعددة .

إن جويس يفسر لك ما يشغل الوعي واللاوعي ، وما في الذهن والحلم والصحو ، وتكاد تصبح الرواية أقرب إلى الدراسة النفسية الاجتماعية ليوم في حياة البطل يبدأ من الساعة الثانية ظهراً حتى الرابعة صباحاً ترى البطل في جنازة صديق له ، ثم في أحد المطاعم بالمدينة ، وفي مشهد آخر يكون البطل في أحد الحانات يحتسي الخمر مع النساء ، ويتعمد الكاتب أن يصفه من الداخل مع أفكاره وظنونه البشعة الفجة الصارخة الصريحة .

ومن هنا كانت الرواية كبيرة الحجم في أكثر من ٨٠٠٨ صفحة حيث يجد القارئ نفسه راكضاً من مكان إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى كأنه خارج الزمان والمكان ، وتشابهت الرواية مع الأعمال الكلاسيكية لكبار الكتاب في أوربا مثل : البحث عن الزمن الضائع لبروست ، الحرب والسلام لتولستوي ، والثلاثية لنجيب محفوظ ، ولا تطفئ الشمس للأديب إحسان عبد القدوس ، وغيرها .

ولا ندري سر الطريقة الغريبة التي اتبعها جويس في بناء روايته من حيث الغموض والعالم النفسي وأسرار الذات ويقال أن هذا يعود إلى طفولته وحياته التي عاشها محروماً يعاني الغربة والعذاب ، حيث كان أبوه مولعاً بالشراب . ماجناً لا يقيم وزناً للقيم والأخلاق وأمه سيدة رقيقة المشاعر تحتمل حماقات الأب بصبر من أجل ابنتها واضطرت الأسرة إلى إيداع ابنتها مدرسة داخلية

ووقف جويس الطفل يبكي وهو يتعد عن أمه إلى المدرسة .

وفي داخل المدرسة صادف النظم المعقدة التي لا تبالي بالمشاعر والعواطف فشعر بالاحتراق والكبت وأنه يود تدمير هذا العالم . وكبر في داخله شعور بالاضطهاد والرغبة الشديدة في التمرد والثورة على القوانين ، وربما هذه الظروف السيئة هي التي جعلته يقبل على القراءة ، فتأثر بأعمال الأديب النرويجي هنريك أبسن ، وصموئيل بيكت هذا الذي أصبح صديقاً له بعد ذلك وعشق في هؤلاء تقديسهم للحرية والحياة .

وبعدما توفيت أمه شعر بصدمة كبيرة لارتباطه العاطفي بها وحبه العميق لها وكتب في تلك الفترة روايته « صور الفنان في شبابه » ، ورمز بها إلى حياته التعسة وشقائه الذي لا حد له بين ما يحلم به وما يراه في الواقع من إحباط وتوحش ودمار .

وقرأ جويس في علم النفس وتأثر بكتابات فرويد رائد التحليل النفسي ولذلك اتبع في قصصه النفس الممزقة وأعماقها وأسرارها ورغباتها وانفعالاتها بالمواقف وكشف الجانب الخفي من تيار اللاشعور بطريقة مباشرة أحياناً ورمزية أحياناً أخرى .

ومن المواقف الغريبة التي اعترضت حياته أنه بعدما كتب مجموعته القصصية «أهل دبلن» وطبعها على نفقته وذهب لاستلام النسخ من المطبعة فوجيء بأن شخصاً مجهولاً جاء استلم النسخ كلها وحرقها ، ولكن جويس أعاد طبع المجموعة مرة أخرى ليتحدى هذا القدر الذي يترصده ومن يقف ضد إبداعه .

كانت ابنته تحب صديقه الكاتب صموئيل بيكيت ومرضت وماتت فحزن عليها كثيراً وأنفق ما يملك ليعالجها ولكن لم يكتب الله لها الشفاء فظل يائساً يلعن الأيام والأحداث حتى ضعف بصره وغادر فرنسا إلى جنيف وأصيب بمرض في المعدة أدى إلى وفاته عام ١٩٤١ .



ذيونيسيوس كوكينو

(١٨٨٣ - ١٩٦٩ م)

أديب الواقعية في الأدب اليوناني الحديث الذي عبر عن إحياءات الصراع اليومي في الحياة من خلال عاطفة الحب والترابط الحميم بين الرجل والمرأة ، إن الحب الرومانسي ولحظات انخفاف الروح لا تعني هذا الأديب وإنما الحب الذي يقهر اليأس ويرقي بروح الإنسان ويقاوم شظف العيش ومرارة الواقع وهزيمة الفرد هذا الحب المغلف دائماً بالمأساة بين عالم المدنية والصخب و التسابق إلى المال و السلطة .

ويرفض كوكينو شطحات الخيال والاغراق في الأوهام ويقول :

إن الأحداث في الحياة غير متوقعة لو قرأها المرء في كتاب لسخر من المؤلف لشطحات خياله غير المبررة التي تولد كل هذه المغامرات .

ولذلك نلمح في قصصه هذا التقارب الحميم مع الأبطال سواء في المدن الكبرى أو القرية أو البيئة الشعبية وهذه الواقعية دائماً مقترنة بالمأساة التي تمزق الأبطال وتصهر نفوسهم وتلقى بهم في بحار الشجن والعذاب .

ففي قصة « سائق العربة » نجد البطل قد فقد ابنه في الحرب وماتت زوجته وابنه الآخر في مصحة لأمراض الصدر ، وابنته الوحيدة هربت من البيت إلى طريق الضلال ، ثم وجدها ميتة على الطريق ، ويعتني البطل بحفيده الوحيد ويشعر بالحياة والحب معه ولكن يأتي والد الحفيد الذي خرج من المستشفى ليصطحب ابنه معه ويرحل به بعيداً ويظل الجد يبكي من أجل حفيده حتى ينهار تماماً ويشعر أنه فقد كل شيء وتنتابه نوبة قلبية وتفارقه الروح .

هكذا ينسج الأديب اليوناني أحداث قصصه الدامية ويتناول الجانب النفسي بالتحليل والتركيز على انفعالات الأبطال ، إنهم في الغالب مهزومون وبؤساء ومنسحقون أمام الأحداث والأقدار

ويؤمن كوكينو بأن في أعماقنا روحاً مأساوية كُتب عليها أن تغامر وتناضل في مواقف الألم والشقاء وقد تنهزم هذه الروح ولكن هذا لا يهم مادامت تناضل حتى اللحظة الأخيرة في الحياة .

أما في رواية « السيدة ذات الحصان الأبيض » عن شاب يدون مذكراته ويعشق فتاة تتزوج من رجل لا تحبه ويظل الشاب هائماً في حبيبته المقدسة ويسامحها لزواجها من غيره إلا أنه يكتشف في يوم ما أنها على علاقة آثمة برجل صعلوك فيسرع إليها ويطلق الرصاص عليها ويعيش معذبا بضميره وآثامه .

إن علاقة الرجل بالمرأة لا بد أن تقوم دائماً على مكاشفات عاطفية صادقة ومواقف وجدانية وافكار اخلاقية وقد حاول كوكينو أن يبرز صوراً متناقضة لهذا المجتمع اليوناني وما يسوده من اضطراب في الاخلاق وجشع في النفوس وغلبة الجانب المادي على الروحي .

وهنا يدعو الأديب اليوناني إلى علاقات قائمة على المثل العليا والقيم الأخلاقية فالمرأة عليها مواجهة الحياة بثقافتها وعلومها وفكرها وارتباطها بدورها الكبير تجاه المجتمع والناس . والرجل مسئوليته كبيرة في موقعه واتجاهه إلى التعمير و البناء وتربية النفس و العقل .

ومن أهم الكتب التي نشرها كوكينو: تاريخ الثورة اليونانية في اثني عشر جزءاً وقد نجح هذا العمل الكبير لأنه كُتب بطريقة شيقة وظل طيلة الخمسة والعشرين عاماً الأخيرة من حياته يدون تاريخ الثورة اليونانية معتمداً على ما لديه من وثائق .

وعندما أنهى كوكينو هذا العمل التاريخي كان راضياً تماماً عن إنجازاته الكبير وقال :

- استطيع الآن ان أستقبل الموت وأنا في أحسن حال فقد قدمت لوطني كل عصارة ذهني وفكري .

وفي الحقيقة لم يعد قادراً بعد ذلك على أن يراجع مؤلفاته أو أن يضيف لها شيئاً جديداً .

ويقال أن كتابه التاريخي هذا أصبح مرجعاً مهماً في الجامعات وأقبل عليه الباحثون والمتخصصون والدارسون ، وأشار كبار المفكرين و الأدباء وأساتذة التاريخ أن ما قدمه كوكينو يعتبر أعظم ما كتب في تاريخ اليونان .



فرانز كافكا

(١٨٨٣ - ١٩٢٤ م)

فرانز كافكا أديب ألماني ولد في براغ ، عانى في طفولته من قسوة أبيه واستبداده . إذا قرأت أعماله وهي : القضية ١٩٢٥ .. القصر ١٩٢٦ .. أمريكا ١٩٢٧ ، شعرت بصدمة رهيبة وآلم من الغموض والرعب والوحشة .

فأنت تشاهد البطل محاصراً بالحياة و اللا حياة ، ضائعاً في متاهات غريبة لا يجد منفذاً لخروج أو طريقاً للفرار ، وقد مزج كافكا هذه الصورة بالسخرية و التهكم و المفاهيم الفلسفية العميقة . ويقرر النقاد أن هذا يرجع إلى مآسي عاشها في حياته حيث ينحدر من سلالة يهودية وأسرة تحافظ على التقاليد السطحية المتكلفة ولكنه وقف أمام هذه التقاليد ورفض الحياة .

وقد تزوج امرأة .. لا يحبها فكانت مأساة أخرى وأصيب بمرض السل وعجز الأطباء عن علاجه ، إضافة إلى هذا فالمناخ السياسي الذي عاش فيه هذا الأديب قبيل الحرب العالمية الأولى يتسم أيضاً بالوحشية والكآبة و البؤس وتوقع الكوارث حتى قامت الحرب فشاهد سقوط الإمبراطورية الألمانية وانهارت كل مبادئ العدل وأحلام الشباب .

لقد أطلق النقاد على أدبه أنه « الأدب الأسود » حتى إن كُتبه كانت تصدر وتُحرق في برلين بينما تُطبع وترجم في باريس ولندن وأمريكا ، ومن كلماته يقول :

اللعنة تمشي به ولكن الأغرب أنها بدونها أيضاً تمشي ، إنه مجرد عشب ضئيل شيطاني لا لزوم له .
إنني أعيش غريباً أكثر من الغرباء أنفسهم .

الإنسان عارٍ وقد جلله العار ، لا أجد من يفهمني في شمولي وكياني ولو كان هناك من يستطيع ذلك .. امرأة مثلاً فسيكون معنى ذلك أن لا أقف على قدمي وأن أموت .. أموت .

و الحب الجسدي يطمس الحب الروحي ولكنه لا يستطيع ذلك إلا لأنه يحمل الحب الروحي في طياته

وبلا وعي منه .. أنا لا أحبك أنت .. بل أحب ما هو أكثر من ذلك .. أحب وجودي الذي يتحقق من خلال حبك .. لقد مزقت نفسي بنفسي .

وإذا قرأت روايته «القضية» عن رجل جاوز الشباب يفيق من نومه ذات صباح ليدخل عليه رجلان يزعمان أنهما يمثلان الشرطة ويبدآن معه التحقيق وهو في دهشة لا يدري ما هي تهمة ويتركونه بعدما يعرف أنه « متهم » وسيدعى للمحاكمة في يوم ما . ويحاول هذا الرجل أن يعيش حياته فلا يستطيع . يود أن يدافع عن نفسه . وفي يوم تأتبه مكالمة تليفونية بموعد المحاكمة وعليه أن يذهب إلى مكان المحكمة ، وعندما يذهب لا يجد شيئاً .. مكان محطم يسكنه بعض الفقراء ولا يعرف شيئاً .. ويظل يبحث عن المحكمة فلا يدرك مكانها حتى يأخذه رجلان خارج المدينة ، ويطحانه أرضاً ويقتلانه ولا يقاوم ويسمع صوتاً يقول : يموت كالكلب .

وفي رواية « المسخ » يستيقظ البطل ليشاهد نفسه قد تحول إلى حشرة فظيعة ، فماذا يفعل ؟ ولا شك أن هذا العالم الغامض الذي يسيطر عليه اليأس والتشاؤم والإحباط والموت واللامبالاة صورة من العبث والسخرية في الحياة فالإنسان يولد ولا يدري إلى أين يمضي ؟ وماذا سوف يحدث له في الغد ، إنه سجين الظروف والأقدار .

وقد تصور كافكا أن هذه الأعمال التي كتبها لا قيمة لها إطلاقاً فكتب في وصيته أن تحرق كلها لأن القراء لن يجدوا فيها فائدة . ولكن هذه الوصية لم تنفذ ونشرت أعماله كلها ودرسها النقاد وقرأها القراء عن ملامح إنسان خربت روحه وانهارت ذاته في عالم من الفوضى والضباب.



أزرا باوند

(١٨٨٥ - ١٩٧٢ م)

شاعر أمريكي تعمق في اللغات الأجنبية و الثقافات العالمية المختلفة وقرأ في النظريات العلمية و التاريخ و علم النفس و مزج كل ذلك بإبداعه الشعري فأصبحت قصائده أقرب إلى ضباب الأساطير و خرافة ماوراء الطبيعة و حكايات النفس المعنبة الباحثة عن رؤية جديدة في عالم تنهار جمالياته و تتلاشى منابع سحره تحت وطأة الألم و التمزق والغربة .

ولد في أمريكا وأمضى سنوات من عمره في لندن ثم سافر إلى باريس وقرأ هناك و التقى بالشعراء و المفكرين وعاش معهم يساندتهم ويضحى من أجلهم في محن الحياة ويدافع عنهم وينشر المقالات النقدية عن إبداعهم .

وقال الأديب أرنست همنجواي عن الشاعر أزرا باوند : إنه يكرس خمس وقته للشعر وبما تبقى من الوقت يحاول أن يساعد أصدقاءه في حياتهم المادية والفنية .

ورحل الشاعر أزرا باوند إلى إيطاليا واستطاع أن يحتل مكانة كبيرة في الحركة الثقافية والأدبية . وشارك في الحياة السياسية ، وفي الحرب العالمية الثانية هاجم أمريكا و إنجلترا و انحاز إلى موسوليني .

وبعد الحرب العالمية وجهت إليه تهمة الخيانة العظمى وقبض عليه وأودع السجن وكان يتحدث عن حرية الإنسان والعنف الدموي الذي اجتاح البشر والأرض فرأت المحكمة أنه مختل الذهن وغير قادر على الاتزان النفسي و التحكم في سلوكه فقررت إرساله إلى مستشفى الأمراض العقلية وظل هناك من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٨ .

اثناء فترة السجن كتب أروع أعماله الشعرية وهي ديوان « الأناشيد » الذي بلغت أجزاءه أكثر من مائة جزء عبر فيها عن أفكاره و خياله العميق وأحلامه المتطرفة ومدى تأثره باللغات اليونانية

واللاتينية و الفرنسية والإنجليزية وظهرت في قصائد "الأناشيد" أيضاً ملامح من أعلام الشعر والأدب و الحضارات الغربية والنظريات العلمية وشواهد من الأساطير الخارقة و الحضارات القديمة .

ولذلك تشعر أن قصائد «الأناشيد» تخلو من الوحدة الموضوعية أو التسلسل المنطقي والفكرة المحكمة ، فهي قفزات في الفكر من عصر إلى آخر يمزج التاريخ بالسياسة بالفن بالأدب بالفلسفة والجغرافيا .

ويقول في إحدى قصائده :

ما تحبه اليوم الحب الصحيح يدوم
كل ما عداء نفاية
ما تحبه الحب الصحيح لن يفتصب منك
ما تحبه الحب الصحيح إرثك الحق
عالم من عالمهم أو عالمي
أم أنه ليس بعالم واحد ؟
جاء النعيم المرثي أولا أي المحسوس
وإن كان في ردهات الجحيم
ما تحبه الحب الصحيح إرثك الحق
ما تحبه الحب الصحيح لن يُفتصب منك

وفي نص شعري آخر يقول :

خفف غرورك
أنت كلب منهك تحت البرد
متورم بشمس متقلبة
أسود نصفك ونصفك أبيض
لا تميز الجتاح من اللنب
خفف غرورك ..



جان جون برس

(١٨٨٧ - ١٩٧٥م)

جان جون برس شاعر فرنسي امتد أثره الفني إلى الشعراء العرب فتسرب إليهم بعض من مزاجه النفسي وأهوائه الشعرية والتداعي الحر الذي ترحل فيه القصيدة إلى ما وراء هذا الواقع وضربات اللاوعي والحلم الخرافي وتأوهات النفس وإحساسها بالقيود والظلم .

سافر الشاعر إلى بلاد كثيرة بحكم عمله في وزارة الخارجية حتى اختار أمريكا مسكنًا له ، صدرت له مجموعات شعرية هي مدائح ١٩١١ ، وأخيرًا ديوان «وقائع ١٩٦٠»

وأهم ظاهرة في شعره هو النسيج الباطني الذي يشكل الصور الفنية ، فهو يترد إلى أعماق ذاته يعبر بطرائق شائكة وصعبة ، وغامضة دائمًا ، ولكن تبعث في القصيدة نغمًا ينثر المتعة ، وتحس بنزيف ألم شاعر لا يدري كيف يتوافق أو يواكب الحياة ، فهناك تنافر بين طموحه وما يتحقق أمامه، وقد يغنى للزمن القادم والأيام الغائبة ، يغني في تيار من الحزن والكآبة ، باحثًا في ردهات روحه عن معنى خفي يمنحه بشارة الأمل ويفجر لديه طاقات من الفرح .

فيقول في إحدى قصائده :

«أجل ، كل الأشياء مفضوضة .. أجل .. كل الأشياء ممزقة والعالم الذي يمضي .. والجناح عالٍ إنه طيران التبن والريش ، نداوة زيد وخشف .. في صعود العلامات والمدينة المنخفضة نحو البحر في اضطراب الأوراق البيضاء .. نشرات ونورس في طيران واحد»

وقد أعجب القراء بديوانه «اغتراب» الذي صدر بعد الحرب العالمية الثانية ويمكنك أن تدرك سر هذا الإعجاب لأنه رسم صورة للإنسان المعاصر في تلك الفترة بعد أن أكلت من حشاشة قلبه حروب وتغيرات الحضارة المادية الأوربية التي فقد فيها طموحاته وأحلامه البريئة ولذلك يقول :

«انتهى الحلم الذي فيه يبهر انتظار الحالم .. خلاصنا فى السرعة وفى الانتهاء .. نفاذ الصبر فى كل الأمكنة .. ومن فوق كتف الحالم تهمة الحلم والجمود» .

وقد أدت حياة الحروب إلى جراح فى الروح ، وبدأ المفكرون والشعراء يحاولون إيجاد خلاص لهذه الأزمة الروحية ، فكل شيء فى شقاق ، والعلاقات الاجتماعية مبتورة ، والحب ليس غير متعة جسدية ويشترى بالمال ، وشاهد الشعراء كيف يتحولون إلى سلع بلا قيمة فوق هذه الأرض فيقول:

«التطرف عقيدتنا .. وحده الهرم هناؤنا .. وكتب كبيرة تحمل أفكار الريح .. أين تراها إذن ... سنجعل منها مرضى لنا .. قانوناً للتعصب .. الانشقاق تقلدنا .. ليس عندنا أيتها الآلهة سوى الشقاق بيننا .. أصغروها أيها المفلسون .. الرياح قوية وهذا هو امتيازنا» .

وهذه الفكرة وهى خراب الروح ودمار الوجود الجميل عبر عنها هؤلاء الشعراء الذين ذاقوا ويلات الحروب ومنهم توماس ستيرن إليوت فى رائعة «الأرض الخراب» التى قدم فيها مرثية للحضارة الغربية عام ١٩٢٢ .



توماس إليوت

(١٨٨٨ - ١٩٦٥ م)

الشاعر توماس ستيرن إليوت الأمريكي المولد والنشأة ، ثم سافر إلى لندن واستقر هناك ، كتب قصيدته « الأرض الخراب » ونشرها عام ١٩٢٢ وهي تعتبر مرثية لحضارة القرن العشرين التي طغت على النفوس بالمادة والحروب والعنف وعاش الإنسان ضائعاً بلا قيم أو أخلاق أو عقيدة تنقذه من هذا الهلاك اليومي الذي يصادفه ، وقد تأثر كثير من الشعراء الرواد بهذه القصيدة مثل صلاح عبد الصبور والسياب والبياتي ونازك الملائكة ، وغيرهم . فما هي الظروف والعوامل التي خلقت من هذا الشاعر هذه الصورة الرائدة في الشعر والنقد والأدب ؟

كان والده يدير شركة صناعية ويهوى الرسم وتملكته في البداية المبكرة لحياته رغبة أن يصبح رساما ويذكر أن عائلة إليوت ساهمت في تأسيس جامعة واشنطن ، كما كان لها فضل سبق في الهجرة من إنجلترا إلى أمريكا قبل مئات السنين .

أما عن أمه ، فهي امرأة مثقفة تقرأ في الأدب والدين وعندما لم تتوفر لها الظروف للدراسة في الجامعة ، اتجهت للعمل بالتدريس ، وقد نشرت بعض القصائد التي تكتبها ، منها قصيدة عن حياة الراهب « سافونا رولا » . في هذه الأسرة نشأ إليوت متأثراً بالاتجاهات الفكرية المتوارثة داخل العائلة ، وذلك باهتمامه بالتقاليد والإيمان بقيم الشرف والنبيل والحق والأخلاق . ومن خلال هذه الروح المحيية للماضي ، المتطلعة إلى ما هو أصيل وجميل ، أقبل إليوت في طفولته على الشعر ، يقرأ في الأدب اليوناني والروماني والشعر الإنجليزي ، وكتب الشعر في مرحلة مبكرة من حياته وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر .

أول ديوان شعري أصدره بعنوان « بروفروك وملاحظات أخرى » وذلك عام ١٩١٧ وديوانه الثاني بعنوان « قصائد » حتى نشر قصيدة « الأرض الخراب » عام ١٩٢٢ فأحدثت دويًا هائلاً في عالم الأدب والنقد لما تضمنته من أسلوب غير مألوف وثورة على الرومانسية وتأصيل للواقعية

والعودة إلى تراث الشعر الأوربي القديم متأثراً بالشاعر الكبير « دانتي » .

توالت أعماله الإبداعية في الشعر ولاقت نجاحاً وهي : أربعاء الرماد ، الديوان الكامل ، بيرت نورتون ، إيست كوكر ، إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، والرباعيات الأربع .

وفي المسرح ساهم بمجموعة من المسرحيات هي : الصخرة ، جريمة اغتيال في الكاتدرائية ، جمع شمل العائلة ، حفل كوكتيل ، أمير السر ، رجل الدولة الكبير ، وفي هذه المسرحيات وظف لغة الحياة اليومية داخل العمل ذاته فقد كانت المسرحيات تلجأ إلى المبالغة و التهويل وتقديم أفكار تعلو على فكر الجمهور العادي كما في مسرحيات شكسبير .

ولكن جاء إليوت وجعل الناس يشعرون أن العمل الذي يجري أمام عيونهم بأحداثه واقع يلمسونه كل يوم ويشاركون في اتجاهاته ، وهذا ما جعل مسرحياته يقبل عليها الجمهور ويناقشها النقاد وتحقق جدلاً بين المثقفين ، وكذلك القضايا التي عبر عنها في المسرح هي التي يعاني منها الإنسان في حياته اليومية . وهذا التكنيك الفني الذي أقام عليه مسرحه قد أكدته في نظرياته النقدية التي كتب عنها ونشرها في دراساته ومقالاته الكثيرة ، ومنها : " الغاية المقدسة " وهو أول كتاب نقدي يصدر له .

في قصيدة " الأرض الخراب " نغم حزين يرفض الواقع ويفرق في اليأس والتشاؤم ، فالإنسان قد هبط إلى الحضيض وانطمست جذوة الروح وغابت في الرغبات الحسية وتحت أصوات الآلة التي تحطم المشاعر وتسلب الفرد من كيانه وإنسانيته .

في " الأرض الخراب " بحث إليوت عن الشرف والكرامة والأخلاق الرفيعة ، فروعه أن كل هذا قد سقط وضاع ولا نجاة من هذا الواقع المؤلم . كما نجد في " الأرض الخراب " هناك إشارات كثيرة إلى تراث الشعر الإنجليزي وشعر دانتي وأوبرات فاجنر و الشعر الألماني و الفرنسي وصور ومشاهدات وحوارات وشخصيات كثيرة ، وقد يخيل لك أن هناك عدم ارتباط بين مقاطع القصيدة وكل أجزائها ولكن بعد الانتهاء منها وتحليل دلالاتها ترى أنها تؤلف وحدة عضوية متناسقة في الفكرة والإحساس .

" الأرض الخراب " قصيدة عميقة لاتخلو من غموض ، ولهذا لم تكتب للقارئ العادي وإنما للصفوة المثقفة التي لديها أفكار مسبقة عن التراث و الشعر والفن ، وهذا هو أدب إليوت الموجه إلى المثقف ثقافة عميقة جادة وصادقة .

وإليوت هو صاحب نظرية المعادل الموضوعي في النقد وتحدث عن هذه النظرية في مقالة

بعنوان « هملت » حيث أوضح بأنه لا يمكن أن يحلل الأفكار الذهنية للبطل هملت من خلال موضوعات أو نظريات نقدية جاهزة أو سائدة ، بل يجب أن نبحث عن معادل موضوعي للأفكار التي في ذهن « هملت » أي البحث عن حقائق ، وأفكار و أحداث تكون ذات تأثير وقوة تعادل احساس البطل « هملت » وتتفق مع موضوع أفكاره .

ويرى إليوت أن الشعر مهمته ليست في خلق الانفعالات و التطرف في الهياج النفسي أو الحماسي وإنما الشعر تعبير عن الانفعال الإنساني في تدفقه الطبيعي ، والشعر ترويض للشعور وهروب من الذات .

و الشعر الجميل هو ما يكتب في كلمات موجزة ، مكثفة و الابتعاد عن اللغة الرنانة التي تدوي في فضاء النفس وصحراء القلب بلا أثر .

في قصائده يقول :

أين تكون الكلمة . أين تدوي ؟ .. هنا
في البحر . في الجزر على اليابسة ؟
في أرض المطر أو أرض الرمل ؟
هنا .. لا صمت يكفي أولئك الذين يسرون
آناء النهار وأطراف الليل .. الزمن
غائب .. والمكان الصحيح غائب ...
ماتزال الأشرعة البيضاء تنجس نحو البحر
ونحو البحر تطير أجنحة غير مكسورة ...
والى العصيان تسرع الروح الضعيفة ..
وأصوات البحر الضائعة .. ويسرع الليل
الضائع ...

ومن قصيدة « الأرض الخراب » يقول :

نحن الرجال القارخون
نحن الرجال للجوفون
تساند
ورءوسنا محشوة بالقش
واسفًا
واصواتنا الجاة
عندما نتهامس معا
تكون هادئة بلا معنى
بين الفكرة الحضيضة
بين الحرية والعمل
يقع الظل
بين التوهم والخلق
بين العاطفة والاستجابة
يقع الظل
لقد تعبت من حياتي
وحياة أولئك الذين سيعقبوني
وأنا أموت ميتي
وميتة أولئك الذين سيجيئون بعدي
أيتها المدن التعسة
التي أنشأها رجال ملبرون
أيها الجيل التعس المؤلف من رجال مستثيرين.



وين بي تو

(١٨٨٩ - ١٩٤٦ م)

شاعر صيني مناضل ظل يغني لبلاده وفجر الحرية الحديد الذي يطرق الأبواب بدم الأحرار .
درس في جامعة تشينخوا في بكين وسافر إلى أمريكا ليدرس الفنون التشكيلية والأدب واطلع
على الآداب الغربية و التراث الصيني القديم .

وكان في طفولته يعشق التأمل ويظل يقرأ ويحلم بأن الكائنات حوله تتدفق في قلبه وأنه ليس
وحيداً في هذا الليل .. فالمصباح ليست إلا أنفاساً للحب و الأمان ، والمقاعد اصدقاء و الكتب
القديمة لها عطر جميل وفنجان الشاي عالم آخر يكتشف فيه أحلامه .

وعاش الشاعر الصيني حياته من خلال وجدانه يرى الناس بقلبه ويلمس الأشياء برقة إحساسه
ويتحدث إلي النجوم و الأفلاك و الطيور بوهج روحه .

ولذلك يقول عن الليل :

هذا المصباح هذه الجدران الأربعة المبيضة بضوئه

هذه المائدة الجيدة

هذه الكراسي الأليفة ألفة أصدقائي

عطر هذه الكتب القديمة الذي يهاجمني

هذا الفنجان من الشاي الصديق

النقى نقاوة عذراء

الطفل الذي يعشق أمه

هذا الليل الخافل بالأسرار هذا الهدوء الشامل

نشيد من الشكر يرتجف في قلبي

في قصائد الشاعر الصيني وين بي تو رسالة شعبية ومهمة إبداعية وهب ذاته وفنه لها وهي التعاطف مع الجماهير المكافحة و النضال من أجل حرية بلاده في صراعها مع اليابان .

وعندما عاد بعد دراسته في أمريكا شعر بأن له دوراً حقيقي لا بد أن يمارسه وأن مبادئ الكفاح والإيمان وحب الأرض ليست إلا قضية عليه أن يحملها ويمضي من أجلها شاهراً قلمه وسلاحه وبدأ يوظف اتجاهاته الشعرية لحرية الوطن وإثارة قومه ضد الظلم والعبودية وإلى الاستقلال .

وعندما شبت الحرب انطلق يدافع عن وطنه الصين وينشر القصائد الحماسية والأناشيد الثورية ولا يحلم بشيء سوى أن تنهض بلاده وتعيد مجدها القديم ويغني للوطن ويقول :

أوه يا ربيع الخريف السريعة هبي

أريد أن أمجد صير أزهار وطني

أريد أن أمجد صير وطني الجميل كالأزامير

هبي فوق كلماتي لتصبح باقة من الأزهار الغضة

وانتج الشاعر الصيني وين بي تو إلى كتابة المقالات السياسية وهاجم الفساد الذي استشرى في البلاد ونقد مساوئ المجتمع وتخاذل الناس وخوفهم من الحقيقة ، ودعا إلى التمرد على الجمود الذي يسيطر على الأذهان والخروج من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة .
ويعبر عن أحزانه قائلاً :

الأرض تلدور لا تتعثر

كل شيء يتسم لشمس الصباح

لست أجهل الابتسامة

ولكن دموعي تسبق ابتسامتي

ومن الغريب أن هذا الشاعر الشائر الذي عشق شمس بلاده وأرضه وخصبها ودافع عن كيائها وشارك في الحروب بالسلاح و الشعر يتم اغتياله ذات ليلة عند عودته إلى بيته ويسقط على الأرض التي أنشد لها أجمل الأشعار .. وتتدفق دماؤه ساخنة في باطن الأرض .

ويبدو أنه كان يتوقع هذه النهاية المفجعة إذ يقول للوطن :

إن حملت إلى السرور

مت مسرورا

وان حملت إلى الشقاء

مت شقيا

الموت هو الشيء الوحيد الذي أطلبه منك

موتي هو أقصى هبة أقدمها اليك

ويرحل صوت الشاعر وين بي تو ، وتظل روحه تغني للمجد و النضال وتدعو إلى التمرد
على الذل والعبودية وانتصار إرادة الإنسان .



بوريس باسترناك

(١٨٩٠ - ١٩٦٠ م)

بوريس باسترناك الأديب الروسي الذي حاز على جائزة نوبل عن روايته «دكتور زيفاجو» عام ١٩٥٨ في إيطاليا.

فقد رفضت الحكومة الروسية طبعها اعتقاداً أن الرواية توجه النقد الحاد إلى ثورة ١٩١٧ . وفي الحقيقة هي أحد الأعمال الكلاسيكية الواقعية التي كتب مثلها تولستوي في (الحرب و السلام) ، وهمنجواي في (وداعاً للسلاح) ، و (البحث عن الزمن الضائع) لمارسيل بورست ، و(البؤساء) لدستوفيسكي و (الثلاثية) لنجيب محفوظ .

ولقد ظل باسترناك يحلم بإبداع أقرب إلى الأسطورة ، يحمل في جوهرة ملحمة النضال في الحياة ومواجهته للحرب والضيايق والتمزق والتضحية وتصوير الأفراد في حالات القنوط والهزيمة و التراجع واليأس وأيضاً في حالات العشق والفرح والفراق والموت والغربة .

وإن كان هناك رصد لوضع الأفراد تحت النظام الشيوعي أو نقد لسلبات هذا النظام فلم يأت ذلك عمداً ، بل في سياق الإطار الفني للرواية كما يرسمه باسترناك . وقد ترجمت الرواية إلى عدة لغات أجنبية قبل أن تصدر في لغتها الأصلية . وسر نجاحها قدرة الكاتب على تحليل المشاعر وصف العواطف وتأثير المكان والأحداث . فهناك تشويق في الرواية يجعلك مستمراً في متابعتها مع الصديق الفني وإذابة الشخص في تاريخ الوطن من حروب أهلية وعالمية فتشعر أن الدكتور زيفاجو شخصية تعرفها وتتعاطف معها وربما تجده مرآة ذاتك أو صراعك مع الأنظمة وهول الحروب .

وهذا الطبيب بعد أن تزوج المرأة التي أحبها يذهب إلى الجبهة أثناء الحرب العالمية الأولى ويحب ممرضة كانت تبحث عن زوجها فلم تعثر عليه حتى تعلم أنه مات منتحراً ، ويتعذب زيفاجو بين ولائه لزوجته وغرامه العنيف بهذه الممرضة ، ويذهب بأسرته ويصطحبهم إلى مدينة

بعيدة عن الحرب ، وتشاء الأقدار أن يقابل الممرضة التي يحبها فيرتبط بها ارتباطاً مصيرياً ولا سيما حين تُنفى أسرته ويظل وحيداً ضائعاً ، وعندما يموت تبكي عليه عشيقته الممرضة .

لقد تميز باسترناك برشاقة عباراته ودقة لمحاته وتفصيله الصغيرة فهو لم يقصد أن يدين النظام الشيوعي ولكنه فنان يتطلع إلى مجتمع لا يتحول فيه الأفراد إلى آلات تُفنى دون قيمة ، أو تموت بلا هدف .

إنما يهتم بالإنسان وحرية وحقه في حياة يشعر فيها بذاته ووجوده وأنه كائن له اعتبار بما يحمله من أفكار واتجاهات للإصلاح الاجتماعي و التنوير العقلي . ومن الغريب أن باسترناك بدأ حياته الأدبية شاعراً وأصدر مجموعات شعرية هي : أختي الضابط شميد ، الميلاد الثاني ، سبيكتور سكي ، بالإضافة إلى ترجمة مؤلفات كبار الأدباء و الشعراء في العالم مثل شكسبير وجوته .

فيقول في إحدى قصائده وهي "حلم" :

في غسق النوافذ لزجاج قد حلمت بالخريف .. بالأصدقاء ..

أنت منهم في زحام المهرجين ومثل صقر شرب الدماء .. هوى من السماء.

قلبي فوق راحتك .. مضى الزمان .. شاخ .. علاه الصم . والفجر بالحرير فضض الأطر .. على زجاجها
لقى من البستان .. دموع سبتمبر القانية الدماء

وقد أحب في شبابه فتاة ظل يتودد إليها متمنياً أن تتزوجه وعندما سافرت وركبت القطار هرع ، وراءها ولكنها تركته حزينا يتألم ، وهذه التجارب قد حولها إلى قصص في شعره .

ورغم هذه المجموعات الشعرية إلا أنه لم يكن يشعر بالرضى والاستقرار مع ذاته ، إنه يحلم بشيء لا يعرف كيف يطلقه من صدره ، يحلم بالبحث في كل مكان ، التاريخ المجتمع الناس الأنظمة ليصل إلى جوهر الحقائق ولذلك بعد أن انتهى من رواية دكتور زيفاجو تلك قال وهو يتنهد :

استطيع أن أرتاح الآن وأقرأ في وجوه الآخرين صدى روايتي

وكان محققاً .. لقد نجحت الرواية وانتشرت وذاعت في العالم لأنه حول التاريخ إلى فن الشخص إلى أطياف و السرد اليومي للحياة إلى متعة و الحب الذي لا يموت في الروح إلى كائنات تتنفسه وتعيش به وتدافع من أجله وتؤكد حضورها حتى أمام قوى الدمار و الحروب ومفارقات القدر و الحياة .



ماوتسي تونغ

(١٨٩٣ - ١٩٥٣ م)

شاعر وزعيم الحركة الشيوعية في الصين الذي حارب من أجل الفقراء و العمال ووقف أمام الإقطاعيين والبورجوازيين وصاح:

لتزدهر مائة زهرة ولتنافسها مائة مدرسة

أيها الناس اعطوا قلوبكم لهذا الوطن

الجميع هنا جنود عمال

ولد الشاعر ماوتسي تونغ في أسرة فقيرة وعمل في المزرعة ينقب الحطب ويطعم الحيوانات ودرس في المرحلة الثانوية العلوم الطبيعية و اللغات الأجنبية والتاريخ المعصر والجغرافيا .

اهتم منذ طفولته بالقراءة ومتابعة الأحداث السياسية في وطنه و التعبير عن رأيه بشجاعة وتحد. عندما كان في السابعة عشرة من عمره شهد الإبادة الجماعية للفلاحين الذين ثاروا ضد الإمبراطور وأعوانه مطالبين بتحسين أحوالهم الحياتية . واستبد به الحزن والألم وقرر أن تتغير هذه الأمور واستقر الغضب في داخله يبحث عن منفذ للانفجار .

وبدأت هذه الأحداث تلهمه بكتابة الشعر وتسجيل ما يشعر به من أحاسيس وأفكار تجاه الواقع القاسي الذي يعاني منه العمال و الفلاحون الفقراء حيث سيطرت الطبقة المالكة وحاشيتها من الأثريا و الاقطاع على أحوال البلاد وتركت الشعب يعاني الجوع والمرض والآلام .

وعبر ماوتسي تونغ عن غضبه حين انتشر مرض الطاعون في البلاد وفتك بالأطفال و العجائز وأحدث اضطراباً في البلاد فقال في إحدى قصائده الحزينة :

ماذا يفيد هذا العدد
الكبير من الأنهار ومن الجبال
والهضاب ؟
عندما لا تستطيع أن تعمل شيئاً
ضد هذا المرض اللعين
الذي سبب فراغ ألف منزل
وسكن الشياطين تحت عشرة آلاف سقف
والأرض لا تقطع في اليوم
أكثر من ثمانين ألف كيلومتر .
ولكن إذا ازداد وباء الطاعون
ستذهب السعادة على الحزن
لتسير في مجاري الأنهر المملغة
في النسيم
في الربيع سيغمر المطر الأحمر
كل هذه النفوس

بدأ ماوتسى في سن مبكرة بالمشاركة في العمل السياسي عندما كتب مقالاً يدعو إلى عودة
الزعيم السياسي صن يات تسن لمواصلة نضاله من أجل الشعب الصيني .
كما قام ماوتسى بقص شعر رأسه مع عدد من الطلاب تعبيراً عن الرفض والاستياء والغضب
فقد كان التقليد المتبع للشباب هو الشعر المجدول الذي يرمز إلى الطاعة للعائلة المالكة .
ومع الأحداث السياسية انفجرت قبلة في مدينة هانكو في ٩ أكتوبر ١٩١١ ونفذ حكم
الإعدام في عدد من الثوار، مما أدى إلى التمرد و الثورة وانضم ماو إلى صفوف الثوار وأطلق
كلماته « حرروا الصين » ويكتب المنشورات المعادية للجنرال شيكاى الذي شكل حكومة ادعى
أنها جمهورية .

وبدا ماوتسي يؤسس جمعيات وأصدر مجلة للشباب لنشر المقالات الثورية وتأثر في تلك الفترة بالماركسية وكتابات كوتسكي وتاريخ الاشتراكية ووجد في الشيوعية أيديولوجية جديدة لتنظيم الجماهير ورفع مستوي الكادحين ، واستطاع أن يؤسس الحزب الشيوعي وينشأ نقابات للعمال والباة والموظفين تحت شعار :

"اقتلوا الطغاة والأسياء والبيروقراطيين الفاسدين"

ونظم ماو الحياة التعاونية من مصارف وجمعيات ومؤسسات ومكاتب بريد ، وحاولت الحكومة المركزية مقاومته ودخلت في حروب معه ولكن ماو ورفاقه استولوا على أكبر المدن . وفي الحرب ضد اليابان أسهم في توحيد كلمة الصين وأعلن ثورة الجيش و الشعب وانتهت الحرب وانتصر ماو على الحكومة المركزية وأصبح سيد الصين وزعيمها . وتميزت قصائد ماو بتوظيفه لمفردات اللغة الصينية الكلاسيكية وتمجيده لإنسان وكفاحه ضد من يحاول استغلال قدراته ويقول :

مناظر الشمال رياح وأضواء

جليد ملتصق فوق آلاف الأميال

هناك سور الصين العظيم

هناك وهناك

لا يوجد سوى الشهب حيث يضيئ النظر

والنهر العظيم الذي أوقف فجأة تطلقه القوى

وكتب ماو مسرحيات وطنية واستطاع أن يخلق من ذاته مبدعًا وزعيمًا اشتراكيًا أصبح أسطورة شعبه وقالوا عنه :

كان الرئيس ينام فوق سرير من خشب ولا يطلب خلال الليل إلا قدحًا من الماء مع أنه كان يمضي معظم ساعات الليل يعمل ، ولم يكن يملك سوى ردائين من القطن وخرج يحتفظ فيه بأورقه .



أولدس هكسلي

(١٨٩٤ - ١٩٦٣ م)

من رواد الأدب الإنجليزي الحديث الذي تمرد على الاعراف والأصول التقليدية حيث توقف الصراع بين العلم والدين وأصبح الأدباء يتجاهلون موقف الكنيسة تماما ويعبرون بحرية عن مصير الإنسان ودوره في الحياة.

وينحدر أولدس من نسل توماس هكسلي العالم الكبير، وجده توماس أرنولد أحد كبار رجال الدين في العصر الفيكتوري . وهكذا نشأ في بيت علم وأدب باذخ ونشأ شاعر الحس ، مرهف الشعور نزاعاً إلى السمو وثاباً إلى الخيال . وأحب العلم والدراسة واهتم بشئون الكون ودرس في أكسفورد .

كانت متعته الحقيقية مطالعة المعارف والموسوعات في عمق وشغف شديد وقرأ كتابات الأدباء الفرنسيين والتراث الإنجليزي . سافر إلى بلاد كثيرة ، وكتب قصصاً تأثرت بالبلاد التي زارها في أوروبا وأمريكا .

وكتب الشعر وهو مازال طالباً في الجامعة ، وبعد دراسته عمل في الصحافة ومارس النقد المسرحي ثم هجر الصحافة وتفرغ للأدب وهجر الشعر بعد فترة وانصرف إلى القصة والرواية والمقال وكتب الرحلات .

وتميز بنزعه العلمية حيث الآراء والنظريات المقترنة بالبحث العلمي في كل شيء ، ويقال أنه هجر الحياة كلها من أجل القراءة والثقافة فهو يود أن يفهم العالم من خلال الكتب ولا يمارس أية تجربة في الحياة . وقد عشق التصوير والموسيقى .

وحين تقرأ كتاباته تجد مباحث كثيرة في القضايا التي تهم المثقفين و الحقائق العلمية خلال سرد طريف ودرامي ، وهو الذي مزج الحقائق العلمية بالسرد ويقول :

— كانت الجثة ملقاة وراء الستار وقد بدأت الكائنات الحية الهوائية الدقيقة تغزوها غزوها الذي لا يقاوم ، وسوف تستمرى هذه الكائنات الحياة في خلايا الجثة الميتة .

وتميز أيضاً هكسلي بأسلوبه الساخر وطريقته في التهكم وهذه الطريقة يعالج بها متناقضات الحياة وأوهام العواطف وجهل الأفراد وغرور الجهلاء وصلف المتكبرين النافهين .

وهكسلي يرى أن العاطفة دائماً تخدع ولذلك لا يريد الاحتكام إلى منطق العقل وهذا ما يلائم نظم الكون ويواكب الحياة .

ويقول في كتابه «أفعل ما شئت» :

— إذا أراد المرء الحياة الحقّة فعليه أن يحيا حياة كاملة ملء كيانه بكل جسمه وغرائزه وعقله الواعي معاً.

يقول عن نفسه :

— أنا لست قصصياً بارعاً ، وإنما كاتب مقالات مطبوع ، لأن المقال هو القلب الذي يتسع لما لدي من آراء طريفة كثيرة .

وقصص هكسلي لا ترتبط بالقواعد الفنية التي إتفق عليها النقاد ، وإنما هي غريبة في حوادثها وأسلوبها وتختلف نهايتها ولا تكون منطقية في الغالب .

ويمكن أن يقال بأنها قصص تعتمد على الفكرة وتعمق النظر في الحياة و الكون والإنسان ، والأشخاص في القصة هم رموز لأفكار عديدة ومواقف غريبة في الحياة ، ولذلك يطلق على قصصه قصص الآراء والأفكار وليست قصص الفن الخالص و الأشخاص المعقدة . وقد تعتمد هكسلي أن تظل الشخصيات في رواياته على قدر كبير من الثقافة و العلم وبذلك تخلق قصصه من الأشخاص العادية .

وأثار في قصصه قضايا الحرب والانفتاح على العلوم الحديثة والمساواة والنظر إلى المستقبل والسيطرة على الطاقة الذرية .

ويقول :

— إن في داخل الإنسان نشاطاً عاطفياً ثائراً إذا لم يوجه للخير اتجه إلى الشر ومن هنا تقوم الحروب المستمرة . ويرى أننا يمكننا معالجة أفكار الناس بالتحكم في عواطفهم والارتقاء بمشاعرهم وعقولهم .



لوتشيان بلاغا

(١٨٩٥ - ١٩٦١ م)

ولد الشاعر الروماني لوتشيان بلاغا في إحدى القرى وكان والده قسًا مثقفًا درس الثقافة الألمانية وأمه سيدة رومانية تميل دائما إلى سرد الحكايات عن تاريخ رومانيا.

اتجه إلى القراءة الفلسفية والأدبية وتأثر بكتابات شوبنهاور وكانت وسبينوزا وهيغل والمفكر الروماني فاسيل كونتا وبرجسون . وحصل على لقب دكتور في فيينا عام ١٩٢٠ .

أول مجموعة شعرية هي « قصائد الضياء » ثم « حجارة لمعبد » وانتخب عضواً في الأكاديمية الرومانية . ثم نشر مجموعات شعرية أخرى هي : خطوات النبي مديح الرقاد ، تقسيم المياه ، عصر الحديد ، بواخر الرماد ، أغنية النار . وفي المسرح نشر عدة أعمال مسرحية ضمها مجلدان نشر عام ١٩٧٧ .

سيطرت الفلسفة على اتجاهات الشاعر لوتشيان بلاغا فتمرد على الحياة وطرح أفكاره الجريئة وكشف تناقضات عصره وكان يرى أن الحياة ليست إلا سجناً كبيراً وأن روحه تود الانطلاق خارج هذى السجون ، ولذلك كتب عليه القدر أن يصارع الطبيعة والكون ، بل أن يعيش كذلك الصراع و التلاحن والحروب بين الإنسان وأخيه الإنسان .

ولهذا يجب أن نثور ضد هذه المبادئ اللاأخلاقية والمفاهيم المتوارثة التي تبيح للآخرين امتلاك الفرد كأنه إرث أو ماله تملك . واكتشف الشاعر ذاته في تلك الشفافية التي ينسجها الشعر حول الحياة والموت والمدائن والزمان والمصير والعدم .

وعشق الشاعر الطبيعة الخضراء والمساحات الشاسعة بلا حدود وشعر بالرتاء لهؤلاء الراحلين إلى العالم الآخر وخشى من سيطرة روح العدم والفناء على هذه الأرض الخضراء ولذلك يغني ويقول :

أيتها الأرض امنحيني أجنحة
أريد أن أكون سهمًا لأشعة اللامتهى
ولا أرى حولي سوى السماء
سماء في الأعلى وسماء في الأسفل
ملتجة في أمواج الضياء
أريد أن أرقص ممزقًا بالحياة الخارقة
ليتنفس الحب في أعماقي بحرية
ولا يعلن أبدًا :
« إني عبد في سجن »

وحاول الشاعر الروماني أن يجد الخلاص لذاته الممزقة في السماء الرحبة و العشب النابت
والبراعم الطالعة في الربيع ورحيق الأزهار الذي يهز أعماق النفس ويبعث في حناياها زهو الحياة
والجمال وارتعاشات الحب .

هواء السماء

يعانق السماء

بحرارة وقت الغروب

ويجعل وجهها أرجوانيا

ممدد على العشب أنا

حالم أن أنهش البراعم

في فصوص الربيع

وفي الطبيعة يتجسد الحزن المنسكب من قلب الشاعر .. حزن عميق لهذه الحروب و الدمار
الذي اكتسح العالم ، وسقط الإنسان في بحيرات اليأس والاضطراب يعاني قهر الأنظمة وتعسف
السلطات وانكسار الروح ..

هواء شمس يمسح دموعه الباردة
علي زجاج النوافذ
إنه يبكي
أحزان غامضة تستبد بي لكني لا أشعر بها في نفسي
في القلب والصدر
وإنما قطرات المطر التي تجري

كان لوتشيان بلاغا شاعر الضوء والشمس والنهار المشتعل بالتساؤلات و القلق الوجودي
يبحث عن الضياء في أكوام الظلام ، وعن الوردة الناضرة بين الخرائب والأطلال .. والعشبة النابتة
في جوف الصحراء ، يقول :

لا أعرف أين ومتى أظهر في الضياء
الإغراء الذاتي يحملني في الظلام
على الاعتقاد بأن العالم أضية
حققت ذاتي مبغوتا ضاحكا بغرابة في ارتقائي
أحيانا انطلق كلاما لا يسعني مضمونه
وأحيانا أحب أشياء لا تجاوبني أبدا

وظل لوتشيان بلاغا يضرب في أنحاء الأرض ويخلق في سماوات الغيب وينشر أحزانه
ودمعاته من أجل الراحلين والضائعين في الحياة والذين توارى بهم القبور . سكنته الحيرة والدهشة
فانقاد وراء غموض الحياة وأسرار الكون وألغازه يفتش في أعماق الإنسان والوجود عن معنى
لتلك المشاعر التي تجتاحه والآلام التي تدميه ، ولكن هل عاش في عبث وفقد المعنى الذي يبحث
عنه؟ .. ربما .

أفتش لا أعرف عما أفتش
عن سماء ماضية وشتاء مخيف
جبهة منحنية في قمم المصير
أفتش لا أعرف عما أفتش
عن هالات بحقل الينابيع تترفق مشتعلة
لكنها الآن فنانة ومكتبة
أفتش لا أعرف عما أفتش .



أندريه بريتون

(١٨٩٦ - ١٩٦٦م)

أندريه بريتون شاعر فرنسي أحدث ثورة فكرية في تطويره لفن ما فوق الواقع الذي اصطلح على تسميته بالسيرالية. ويرى بريتون أن الفن الرفيع ينبع من الأحاسيس الباطنية ومناجاة الوجدان بعيداً عن منطق العقل ومباحث الفكر . فلا حدود قائمة في هذا الفن أو اتباع للقواعد و القوانين المألوفة .

السيرالية عبارة عن أحلام تستمد من اللاوعي واللاشعور سواء في اليقظة أم المنام ، ومن تداعي الخواطر . ومن خلال هذه الشذرات المبعثرة تتجمع الأفكار والأحلام وتتلاقى لتقيم تجربة جمالية جديدة تمنح الشاعر قدرة على التألف مع الواقع والوعي بما يشوبه من انهيارات وضلالة وتناقض .

والسيرالية ترجع إلى الحركة الدادية التي أسسها المفكر الفرنسي تريستان تسارا ١٩١٦ حيث التقى نخبة من المفكرين يعلنون سخطهم على الأنظمة والواقع القائم ، ودعوا إلى منهج إبداعي يتسم بالحرية والتلقائية والعفوية والتعبير عن فردية الإنسان المسحوق .

وكان بريتون أحد أعضاء هذه الحركة ثم انفصل عنها وأجرى تجارب في علم النفس على بعض الأدباء ، وقرأ في نظريات فرويد عن التحليل النفسي وأكد نظريته تلك بأنها فن فوق الواقع أو العالم المحسوس ، وصدر كتابه «ثورة السيرالية» الذي يدعو فيه إلى إعلان جديد لحقوق الإنسان بعد أن دمرته الحروب والحضارة الحديثة .

ويقول بريتون إن المرء له طموحات لا حد لها ويمكنه أن يصل بأعماقه إلى معرفة نادرة يستنير بها لاكتشاف خطواته وتحرير ذاته وإنقاذ البشرية من الهلاك والمادية . فالشعر هنا يتوجه إلى النفس ولا يحفل بقوانين الحياة والتقاليد الفنية الأخرى التي اعتاد عليها المفكرون والشعراء ، ولذلك فالصور غير مترابطة في الشعر دون وحدة عضوية ، أفكار متناثرة ومشاعر متدفقة كثيفة

وعاطفة متأججة ملتهبة وكلمات غريبة وتعبيرات أكثر غرابة فيقول في إحدى قصائده :

(لأنني كنت أنتظرك . كان الهواء ورده بهية تضرب إلى الحمرة وكانت الغابة وأنا أتهدأ لدخولها تبدأ
بشجرة أوراقها أوراق لفافات .. ولأنك إن سرت معي .. حيثما شئت .. يكن فمك النقش العاجي .. حيثما
تنطلق العجلة الزرقاء الغائمة للمحطمة صاعدة تترنح في مدارها القديم .. كانت المفاتن كلها تسرع
للاقائي .. وكان سنجاب قد خف وأرتمى على .. لاصقاً بقلبي .. لأعرف كيف يلتصق .. لكن الأرض
كانت مليئة بانعكاسات أعمق من انعكاسات الماء)

وفي هذا النص السيريالي للشاعر أندريه بریتون لا يمكن أن نفهمه أو نحلله طبقاً لما تعارف
عليه النقد والأدب ، ولكن تنهياً مثله في رحلة باطنية تستمد خيالات وأحلاماً وهواجس عن هذا
اللقاء الذي ينتظر فيه العاشق محبوبته فلا يرى حوله سوى الطبيعة. هي التي يتحدث معها
ويفحص ألوانها ، فالغابات تتشابك وتتعانق كأنها لفافات ، وفم الحبيبة عبارة عن نقش عاجي ،
وربما استقل العاشقان عربة زرقاء تسابق الريح ، والحبيبة بجواره كالسنجاب ، والأرض تتحول
إلى ينابيع ، وكأنهما يسبحان أو يحلقان في الفضاء من فرط هذا الحب . ولا نعجب إذا عرفنا أن
هذا التصوير يحدث في الخيال والأحلام أثناء انتظار العاشق لمحبوبته .

ويقول في نص شعري آخر :

(يقال لي أن السواحل هناك سوداء من حجم ذاهبة إلى البحر وتنسبط علي سفح قمة داخنة من الثلج
تحت شمس ثانية من الترنح البري . ما هي إذن هذه البلاد البعيدة التي تبدو وكأنها تسحب كل نورها من
حياتك وتهتز حقيقة على أهدابك .. رقيقة علي لون بشرتك كيباض غير رمادي)

وقد يسأم القاريء لهذا النوع السيريالي من الشعر ولكنه يتطلب ثقافة عميقة ووعياً بالتجربة
الفنية بحيث يتشكل من خلال هذه الكلمات والصور الممزقة فكرة تبرق أو خاطرة تلمع في نفس
القاريء فيعيد البحث في نفسه لعلها تهديه إلى التغلب على معاناته وقلقه وأزمته .



لويس اراغون

(١٨٩٧ - ١٩٦٣ م)

لويس أراغون أحد شعراء النضال الوطني والكفاح السياسي .. فقد اشترك في صفوف المقاومة حينما احتلت النازية فرنسا وتحول من الاتجاه السيريالي إلى الواقعي حيث أصبحت قصائده منشورات ثورية تغني للحرية والحب .

وفي رحلته النضالية ظلت حبيبته «إلزا» بجواره تكتب القصص القصيرة المحرصة على المقاومة ويرى في عيونها الحرية التي تشتاق لها بلاده ، ولأنه تأثر بقصص الحب العربية فقد اختار لقب «مجنون إلزا» العاشق الذي تجسد في محبته رمز الحرية والنضال .

ولد لويس أراغون في مدينة باريس دون أن يعترف به والده ، وتلقى الصدمة الأولى في حياته عندما أخبرته أمه بالحقيقة في عام ١٩١٧ . عاش حياته يحمل فيها ذنباً لم يقترفه ، وتلك الصدمة ظهر أثرها في بعض رواياته مثل «العالم الواقعي» . درس أراغون الطب واشترك في الحرب العالمية الأولى . وفي عام ١٩٢٠ أصدر مجموعته الشعرية الأولى «نار الفرح» ، واشترك في تحرير مجلة السيريالية مع صديقه أندريه بریتون ، ثم صدرت له رواية «فلاح باريس» .

وبعد عودته من روسيا عام ١٩٣٠ ظهر كتابه الذي يحمل عنوان «السيريالية في خدمة الثورة» . وانضم للحزب الشيوعي وكتب قصائده النضالية ورواية «الأحياء الجميلة» واشترك في المقاومة ضد النازية وأسس مجلة الآداب الفرنسية ونال جائزة لينين للسلام وساهم مع أندريه مالرو في كتاب «التاريخ المتوازي للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي» وكتب ملحمة الطويلة «مجنون إلزا» .

في بداية حياته تعرف لويس أراغون على أندريه بریتون الذي اتخذ مصطلح السيريالية من الشاعر الفرنسي إبولينير في إحدى مسرحياته التي لم تلتزم بالمنهج الواقعي وقام أندريه بریتون بتأسيس مدرسة جديدة في الإبداع الفني متحررة من قيود المنطق والتعبير عن النشاط الحقيقي للفكر سواء في حالة اللاوعي أو الوعي .

وقد أصدر أندريه بريتون أول منشور سيربالي عام ١٩٢٥ واندفع أراغون إلى الإيمان بالسيربالية رافضاً القيم القائمة حوله التي تفرزها الطبقات البرجوازية وكتب في تلك الفترة بعض الأعمال النثرية هي : قروي في باريس ١٩٢٦ ، وبحث في الأسلوب ١٩٢٨ .

يقول أندريه بريتون في منشوره السيربالي الأول :

الإنسان هذا الحالم المقيّد بعاداته اليومية والمرغم على استخدامها ، إنها تمنحه يأسه وكسله وسخطه وعدم رضاه .. فلماذا استسلم لما يدعوّه نصيبه أو قدره ؟ لماذا لا يرفض ؟

ومن هذا المنطلق اعتنق أراغون السيربالية لتغيير الحياة عبر الفن والأدب ، يحلم أراغون بإمكانية تغيير العالم من خلال تحطيم كل الفروض المنطقية في الخارج وتجاوز كل ماهو قانوني ومعقول وشرعي والاستسلام التام إلى اللاوعي للبحث في أعماق الإنسان وتحريضه على التمرد والهروب من سيطرة الوعي .

واتجه أراغون للبحث خارج عالم الواقع عن تغيير العالم وتاريخه ، يقول في كتابه قروي في باريس عن ذلك :

« السيربالية هي القصيدة التي تدفعنا في قلب الحياة فالشعر ليس مجرد حالة فنية أو فكرية ، إنه جوهر الحياة وعقلها ... السيربالية هي رهافة الحس والإحساس وطريق المعرفة »

انفصل لويس أراغون عن الحركة السيربالية عام ١٩٣٠ مؤمناً بأن الحقيقة ليست في عالم الغيب والأحلام والوعي ، إنها في الواقع حيث الاشتراكية ويقول :

إن الرذيلة المسماة سيربالية ماهي إلا رغبة في توظيف القوضوية للصورة الممزقة ، السيربالية هي دوار أطاح بفكر الإنسان وعقله ، إنها وليدة الجنون والظلام .

ويقول في إحدى قصائده التي تحولت هي الأخرى إلى الواقعية والاشتراكية :

قلت لي : كف عن هذا الضجيج الموسيقي ، ثمة فقراء كثيرون لا يستطيعون شراء قواميس ومعاجم يفهمون ما فيهما من معاني الألفاظ ، إنهم يفضلون ويحبون الألفاظ العادية .. التي تسمح لهم بترديدها . وأجيبك : إنني سأفعل ما ينشده كل فم .

ومن أهم الأحداث التي هزت كيان أراغون وجعلته يصحو على هدير الواقع هو الاحتلال النازي لفرنسا ، ومن القصص المرعبة الدامية لمساوي هذا الاحتلال هجوم الجنود على منزل أحد الشعراء الفرنسيين والاعتداء على ابنته والخادمة ، وظل الشاعر يدافع حتى سقط صريعاً إثر الضربات بمؤخرة البنادق والأحذية الثقيلة ، والحادثة الأخرى هي إعدام مجموعة من الشباب الفرنسي لا اشتراكهم في حركة المقاومة .. وصرخ أراغون بقصيدته « زهور الميلاد » يوجه الإدانة

إلى النازية ويحرض المقاومة على الاستمرار ويقول في هذه القصيدة :

ميلاد يا ميلاد هذا الشروق الضئيل أهدأ إليكم الرجال الطيبي الإيمان ... الحب الذي يموت المرء لأجله
بشجاعة ... والمستقبل الذي يعيد الحياة إلى الموت .

ولذلك كان الغزو النازي لفرنسا هو الزلزال الذي قلب السيرالية ونأى بها عن الوجود
فتحول أراغون إلى الشعب وضميره وحسه الثوري ، وصار الكفاح الوطني والنضال بالسلاح
والكلمة هما الهدف من أجل الحرية .

ويذكر أيضاً أن تريستان تزار مؤسس الحركة العدمية المعروفة باسم الدادية قد تحول أيضاً إلى
الواقعية الاشتراكية ومن أصدقاء أراغون كذلك الذين انقلبوا ضد السيرالية الأديب الكبير
مكسيم جوركي .

والتحق أراغون بصفوف الجيش أثناء الحرب كمساعد طبيب وتعرض مع فرقته لحصار ، لكنه
استطاع الهروب إلى إنجلترا ثم عاد إلى فرنسا ووقع أسيراً ولكنه هرب مع مجموعة من الجنود ..
وبعد الحرب نال وساماً لخدمته في القتال ولهروبه من قبضة الألمان .

وفي نضاله ضد الألمان وقفت محبوبته إلزا معه تشجعه وتسانده وتجلس بجواره في الضوء
الخافت يكتب القصائد الثورية وهي تكتب القصص القصيرة .

إلزا امرأة فنانة وأديبة التقى بها أراغون أول مرة في الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٢٨ ، وتكرر
لقاءه بها في مقاهي باريس والندوات الأدبية فكانت تناقشه وتجادله في قصائده وتنصت له
بإعجاب ، ف شعر بعاطفة قوية تملأ قلبه وروحه نحوها وتجلّى هذا الحب العميق بعد زواجهما في
أيام الاحتلال النازي ، حيث لم تفارق إلزا حبيبها .

وقد تأثر أراغون بقصص الحب العربية التي قرأها من أصل فارسي في الأندلس فكتب
ملحمته الشهيرة مجنون إلزا.. وقد تتخيله قيس بن الملوح عاشق ليلى الذي هام في الصحراء
ينقش على وجه الريح قصائد الحب .

ويقول في ملحمته مجنون إلزا :

أريد أن أبوح لك بسر عظيم

الزمن هو أنت ..

وساعة لا تتنفسين أختنق ..

هؤلاء الذين مروا في حياتك لم يحبوك مثلي .



فديريكو غرسيا لوركا

(١٨٩٨ - ١٩٣٦ م)

فديريكو غرسيا لوركا مازال يغني للفجر.. والحب .. والحرية ، وحين اغتاله أعداء الحق والجمال والشعر خرجت من جراحه شجرة النور والبراءة تسكب على العالم روح فنان تكامل في موسيقاه ولوحاته وقصصه وشعره تاريخ عصره وصورة وطنه أسبانيا .

لقد أصبح من المستحيل أن تتخيل غرناطة دون أن تتذكر لوركا الذي هوى فوق الأعشاب مضرجاً بدمائه في غابة الزيتون ، فانكسرت الأغصان وناحت الأطيوار وارتجفت الأرض الخضراء وهي تشرب دمه المنساب هادئاً وادعاً .

لوركا يتهادى فوق أرض أسبانيا ، هذه الأرض الأثيرة التي مازالت تفوح بعبير المجد العربي الإسلامي ، هل هي الحلم ؟ أم الفردوس الضائع ؟ .. ولوركا زهرة حمراء تتفجر بالنزيف وتثير الدهشة والغرابة . بارقة من قصيدة شطرت القلب نصفين ، وأعادت إلى الروح الفتح الإسلامي العظيم ، وأيضاً الخروج الحزين في ١٤٩٢ م .

هناك في إحدى قرى غرناطة ولد لوركا في ٥ يونيو ١٨٩٨ م . في هذه البيئة الأسبانية بدأ الطفل درب النور إلى عالم الإبداع الكبير . والده مزارع وفارس ثري يمتلك مزارع كثيرة ، تفيض روحه بالبساطة ، وأمه سيدة مثقفة تمارس مهنة التعليم في إحدى المدارس .

ومن الأب تسربت إليه النزعة الإنسانية و النفس النقية التي تحب الحياة والناس والخير ، ومن أمه تشرب الثقافة وأحب الكتب والدراسة . ومرت حياته بالمدرسة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية وقد عشق الموسيقى وأحب أنغامها وتدرّب علي العزف تحت إشراف أحد اساتذة الموسيقى الذي وجهه إلى علم الفلكلور والبحث في الأدب الشعبي والتراث . ثم درس لوركا بكلية الحقوق جامعة غرناطة وبدأ في تقديم حفلات موسيقية ، يقول :

لقد أحيت الموسيقى لأنني أحيت غرناطة

قرأ لوركا في الأدب وتعرف على أدباء وشعراء بلاده وتراثها ، والتقى بالمفكرين المعاصرين من كل مكان ، وسافر إلى أمريكا لمتابعة دروسه هناك وإلقاء بعض المحاضرات ، وكذلك سافر إلى كوبا ليشترك في مؤتمرات أدبية وأصبح من الأدباء الأسبان المبدعين في الموسيقى والشعر والقصة والمسرح و التراث الشعبي ، حيث قام بجولة داخل أسبانيا يدون الأغاني الشعبية من أفواه الفجر والناس البسطاء الفقراء ويسجل هذه الأغاني ويدرسها ثم يلحنها ويقدمها للجمهور وذاعت هذه الأغاني الشعبية وعرفها الناس في كل أنحاء أسبانيا .

أول كتاب أصدره لوركا هو « انطباعات ومناظر » عبر عن تأملاته التي شعر بها خلال رحلاته الكثيرة في المدن الأسبانية وأوروبا ، و من الدواوين الشعرية ، ديوان « الأغاني » الذي امتزج فيه سحر الطبيعة بعاطفة الشاعر وتفاؤله وبهيجته بالحياة وطموحه في عناق العالم وتحقيق حلمه الجميل . وديوان « القصائد الفجرية » واحتوى على صور من حياة الفجر من عادات وتقاليد وأفكار ، مع إبراز الجانب الإنساني في علاقتهم مع الآخرين ، وقد اشتهرت قصائد هذا الديوان حتى أطلق الناس عليه شاعر الفجر ، ويقول في إحدى قصائد هذا الديوان :

ما أنت إلا زهرة حمراء .. ممتلئة بالدم .. فقي كل حبة نجمة مضاءة .. وفي كل عشاء أحمر... يموت غروب

رسم لوركا لوحات فنية كثيرة وقد تعرف على الفنان العالمي سلفادور دالي الذي صمم له ديكور بعض مسرحياته « العرس الدموي » والتقى هناك بالشاعر بابلو نيرودا الشاعر الشيلي الذي مُنح جائزة نوبل عام ١٩٧١ ، ومن المواقف التي مثلت أزمة روحية في حياته وفاة صديقه مصارع الثيران « إكناثيو » الذي يعشق الأدب ويصادق الشعراء ، ومات صديقه إثر طعنات قرني الثور في حلبة مصارعة الثيران وكتب عنه قصيدة من أروع القصائد وأنبأها هي :

إكناثيو يصعد إلى النجوم .. يحمل أشجان الموت .. ويبحث عن النهار فوجده قد ذهب .. إنه يبحث عن وجه الحلم الضائع .. والحلم يتلاشى .. يبحث عن جسده النقي .. فانفتح الجرح الدامي.

قرر السفر لقضاء الصيف مع أسرته في غرناطة وحاول أصدقائه تحذيره ومنعه لأن البلاد كانت تسودها حالة التوتر السياسي ولا سيما في العاصمة غرناطة ، ولكنه قرر السفر يوم ١٧ يوليو ١٩٣٦ حيث تأججت الحرب الأهلية الأسبانية ، وقذفت طائرات الجمهوريين غرناطة بالقنابل ونهض لوركا وأسرته من النوم في حالة ذعر .

فوجئ لوركا بشخصين غربيين يقتحمان منزله ويربطان أخاه في إحدى الأشجار ويجلدانه بالسوط ، وضربا لوركا وطرحاه أرضًا . واتصل لوركا بأحد أصدقائه ليعرف منه الحقيقة فقال له بأن هناك شائعة كاذبة تفيد بأنه - أي لوركا - جاسوس على اتصال بالسلطة ، وفي يوم ١٦ أغسطس اعتقل لوركا ووضع في السجن حتى فجر يوم ١٩ أغسطس ١٩٣٦ ، أخذوه إلى غابة الزيتون وأفرغوا في جسده الرصاص مع مجموعة أخرى من الناس الأبرياء وقذفوا بهم جميعا في حفرة واحدة وانصرفوا .

وهكذا انفجر دم لوركا يتدفق فوق الأعشاب جدولا من الحنين و الحب وعزفت الطبيعة لحن الوداع لأعظم شعراء أسبانيا ، وزمجرت نفوس العالم بالسخط و الغضب و الانتقام ، وكتبت قصائد كثيرة عن لوركا فقد تحول إلى رمز كبير وخالد ، وقيمة عليا .

ونادراً ما تقرأ قصيدة في الشعر العربي لأحد الشعراء لم يذكر فيها « لوركا » إنه الرمز لكل المعاني الشريفة و الطموحات الجسورة ضد الظلم و الوحشية و الغدر و الخيانة . ولعل الطريقة المأساوية التي مات بها وانتهت معها حياته هي التي أيقظت ثورة الشعر والفن لتهتف بحياته وباسمه في العالم كله كأن لوركا لم يذهب بل مازال يغني للفقراء و حياة الفجر المكافحة من أجل عالم أفضل ، كأن لوركا مازال يتمشى في وداعة بين معالم غرناطة ينقش قصائده على الجدران والأبواب والأغصان .

ويقال أن الغجر وجدوا جثته ودفنوها في غابة الزيتون ، وأصبحوا يزورون الغابة كل عام في ليلة مقتله ويغنون له المراثي .



برتولد بريشت

(١٨٩٨ - ١٩٥٦ م)

شاعر وكاتب مسرحي أعلن انحيازه للفقراء والعيبد والجباة ، ورفض سياسية المانيا النازية وصور قضية الفرد المعاصر بأنها أزمة اغتراب في المجتمع الرأسمالي . قدم مجموعة من المسرحيات يهدف منها إلى تعرية النظم الرأسمالية وتناقضاتها التي تسحق الشعوب وتمعن في إشعارهم بالاغتراب والضيق ... ولهذا حاول في مسرحه أن يزيل هذا الاغتراب حين يخاطب عقل الجمهور بطريقة لا تثير الشفقة مع البطل أو التوحد في الموقف والذوبان في الفكرة إلى حد أن ينسى الجمهور ذاته .

والمسرح ليس رحلة من السحر والمتعة فقط ، ولكنه واقع يراه الجمهور ويناقشه ويحلله في ضوء الرؤية المنطقية و النظرة الواعية للأحداث . لذلك يرفض بريشت العلاقة التقليدية في المسرح التي تقوم على حالة التعاطف والانفعال الشديد بين الجمهور وبطل المسرحية فالجمهور في لحظة انصهار مشاعره لن يستطيع أن يفسر الأحداث بطريقة موضوعية وتظل نظره محدودة في شخصية البطل . وتصبح لحظات الانفعال الشديدة التي قال عنها ارسطو بأنها : التطهير لا تنسجم إطلاقاً مع مسرح بريشت ، لأنه يود أن يكون الجمهور على وعى تام بأحداث المسرحية وأن يشارك في صنع القرار واتخاذ الأفكار .

وإذا فقد المشاهد ذاته أمام خشبة المسرح وامتزج تماماً بالأحداث فإن هذا هو الاغتراب الحقيقي الذي يشكل نوعاً من الضبابية والظلمات حول قضية الحياة و العصر .

ويقول بريشت عن اغتراب الإنسان في مسرحية (غابة المدن ١٩٢٣) على لسان البطل :

— إن احساس الإنسان بالوحدة عظيم للدرجة يستحيل معها الصراع .

و المسرحية تهاجم الرأسمالية التي جعلت العلاقات الاجتماعية أقرب إلى التجارة والمساخر

الإنسانية ما هي إلا سلعة ، وفي مسرحية القرار ينظر التاجر إلى عناصر الإنتاج على أنها ليست إلا من أجل الربح وإن أدى ذلك إلى دمار الآخرين . ويحلم بريشت بثورة الإنسان ضد اغترابه وزيف الحقيقة وانهيار القيم الأصيلة للمجتمع وخراب الروح و الذات في مستنقع المال والثراء . ولذلك يدعو دائماً إلى الثورة ضد هذا الزيف ويقول في اشعاره :

نحن نناشدكم في صراحة ألا تروا فيما يحدث كل يوم شيئاً طبيعياً لأنه ما من شيء يوصف بأنه طبيعي ، في مثل هذا الزمن الذي يسوده الارتباك الدموي والفوضى المنظمة والتعسف المدبر والانسانية المتنكرة لانسانيتها حتى لا يستعصى شيء على التغير .

وقد عاش بريشت يعاني الاغتراب بعيداً عن وطنه حيث هاجم النازية وفضائعتها ، وتسلم هتلر الحكم فرحل بريشت خارج ألمانيا وعاش في المنفى يكتب شعراً وروايات ومسرحيات وقصصاً وكانت أول مسرحية « طبول في الليل » هي التي جعلت منه كاتباً شهيراً ، وأصبح من أبرز كتاب المسرح الملتزم القائم على الحرية ومحاربة الطغاة ودعوة الشعوب إلى التغير و الثورة على النظم الغاشمة .



أرنست همنجواي

(١٨٩٩ - ١٩٦١م)

ظل همنجواي يخفي رعدة الموت في كيانه ويخشى القلق و التردد والإحساس بعبثية الوجود وخاف كثيراً أن تكون نهايته الانتحار مثل والده الطبيب الذي تملكته رغبة في الهرب من اليأس والفرار إلى عالم آخر ...

ورغم ذلك .. كانت نهاية همنجواي الانتحار أيضاً .

عندما سافر إلى باريس مع زوجته كيت تعرف هناك على السيدة جرتورد شتاين وصالونها الأدبي الذي يحضره كبار الرسامين والأدباء منهم بيكاسو و ماتيس و چاكوب و جان كوكتو والشاعر عزرا باوند وتوماس إليوت ووالتر سكوت وغيرهم .

نشأت علاقة حب شفاقة بين همنجواي والسيدة جرتورد ، وكان يعمل مراسلاً صحفياً يكتب التقارير ويجسد الأحداث ويصف الأشخاص فقالت له صديقتها :

— أنت خلقت لتصبح كاتباً كبيراً وليس مراسلاً للأحداث و الوقائع ..

ومن هنا بدأ همنجواي يغير من أسلوبه التقريرى ويميل إلى الحس الدرامى والنفاد إلى عالم الشعور ووصف اضطرابات النفس وتصوير طبائع البشر بصدق .

ولذلك قال عنها همنجواي :

— هذه المرأة ساعدتني في الإفلات من الصحافة واكتشفت في داخلي الفنان ، وتعلمت منها كيف أتأمل الحياة والطبيعة من حولى .

سأت العلاقة بين همنجواي والسيدة جرتورد عندما قالت للصحافة أنها علمت همنجواي فن الكتابة ، ولكنه رد عليها قائلاً :

— إن حديثها ينقصه الدقة ورغم ذلك كنت أحبها كثيراً وأشكرها لأنها علمتني كيف أكتب وأكتب.

عاش دائماً همنجواي يخشى"ي لحظة الموت ويتذكر ، عندما كان طفلاً ذهب إلى معسكر الهنود الحمر مع والده لإنقاذ امرأة على وشك الولادة وشاهد صراع المرأة مع الموت حتى أنجبت الطفل وماتت . وقال له والده : هذه هي الحياة تولد والموت أيضاً .

وأحب همنجواي مصارعة الثيران وكان يشعر بلذة حين يرقب المصارع في مواجهة الموت ، وتأثر بتلك المشاهد وسجلها في قصصه ورواياته وأصدر كتابه (مات بعد الظهر) ونشر منه عشرة آلاف نسخة .

وصور في هذا الكتاب التفاصيل المتعلقة بمباريات مصارعة الثيران وكيف تكون التضحية التي تصاحب هذا الموت ، ويقول همنجواي عن الموت :

— إن مصارعة الثيران تؤكد انتصار التضحية والشجاعة على الموت ، وبذلك تؤكد أسبانيا تفوقها على أمريكا أرض القوى الخاطئة والمأزق الكبير .

وظلت فكرة الموت تسيطر على ذهن همنجواي وكان يرى أن الموت هو الحقيقة التي لا يمكن تجنبها والشيء الوحيد الذي يستطيع الرجل أن يثق به . فالموت يتجاوز الترف .. فأنت مع الموت لست بحاجة إلى حمام في منزل أو جهاز راديو أو صور تذكارية .

وفكر همنجواي في إحساسه بالعدم وسيطرة الكآبة على روحه ، وتحولت لغته إلى تهويمات أقرب إلى الصوفية أو الميتافيزيقية فالإنسان ليس إلا فراغ وما الحياة إلا لحظات من الرماد والعدم .

وعندما تحولت رواياته إلى أفلام سينمائية أصبح ثرياً وامتلك مزرعة كبيرة وسافر إلى أفريقيا حباً في المغامرة يصطاد الحيوانات البرية . وسافر إلى نيروبي وشاهد ثلوج كليمنجارو التي ألهمته رواية صدرت بنفس الاسم وسافر إلى كينيا وكتب عنها روايته « سهول افريقيا الخضراء » .

وفي هذه الرواية سخر من العقلية والنظم الأمريكية وأيضاً سخر من ذاته حين جاء إلى أفريقيا بحثاً عن المتعة والصيد وحوله أناس يشقون الأرض من أجل رغيف الخبز وقلوبهم تعرف الطهر والقداسة للحيوانات والغابة .

في رواية « ثلوج كليمنجارو » عن البطل هاري الذي يموت في كينيا ويحلم بهذه الثلوج ، وقد ظل البطل يفكر كيف يمكنه مواجهة لحظات الموت ويحلم أن يتزوج امرأة ثرية وتزوجها حقاً ولكن ها هي ذى الثروة لا تعني شيئاً له ، وعندما تظهر الثلوج يدرك معنى الطهر الذي ينقذ الروح .

وجه همنجواي نقده للنزعة الاستعمارية والعنصرية في أمريكا وقال : سأظل أحارب الشر في نفوس البشر حتى لحظات الظلمة .

في عام ١٩٣٦ قامت الحرب الأهلية الأسبانية التي قُتل فيها أعظم شعراء أسبانيا وهو الشاعر لوركا وانضم همنجواي إلى فرقة المتطوعين وشاهد الجثث طافية فوق النهر وانتابه القنوط والحزن وكتب مهاجماً هؤلاء الذين يغتالون الحرية ، وأعلن أن الفرد الأمريكي تخونه المؤسسات والنظام السياسي .

وظل همنجواي يدافع عن مبادئ الحق والشرف ويؤكد مدى التزام الأديب بقضايا وطنه ويقول:

— إن الكاتب الذي لا يملك أي شعور تجاه العدالة أو تجاه الظلم من الأفضل له أن يتخصص بكتابة لائحة سجل الشرف لطلاب الجامعة ، لأن يكتب روايات .

وعندما عاد إلى أمريكا بعد الحرب الأسبانية تحدث في مؤتمر لمكافحة الفاشية وقال:

— إن الفاشية كذبة صنعها المجرمون .

واستطاع أن يقنع الحكومة الأمريكية بتقديم مساعدات للمدافعين عن الحرية في أسبانيا .

في روايته « الشمس تشرق أيضاً » وجه نقداً عنيفاً للحياة في أمريكا وغلبة الجانب المادي والحسي علي الأفراد وعبر عن تلك الغربة التي تسكن روح الفرد وإحساسه بالمتنفي والهلاك .

ناقشت الرواية أيضاً قضية الموت إذ كيف يستطيع الرجل أن يذهب إلى حتفه دون أن يشعر بالسقوط والهوان . وتصور الرواية أيضاً كفاح الأبطال من أجل حياة خالية من الحروب والمحن .

في روايته « وداعاً للسلاح » صور همنجواي محنة الحروب وأكد انهيار الحلم الأمريكي الذي بشر بالرخاء و السلام وذلك من خلال قصة الملازم هنري مع كاترين التي ماتت في النهاية وتركت طفليتهما بين يديه . ونجحت الرواية وبيع منها خلال أربعة أشهر أكثر من ٨٠ ألف نسخة .

وقد ركز همنجواي في الرواية على المواقف الإنسانية ومصير الإنسان أثناء الحرب وأن البطل هنري ظل لا يولي اعتباراً للنصر ، وإنما ما يلاقيه البشر من عذابات وهو في مواجهة الموت . وبذلك تؤكد الرواية مأساة الحروب وما يعاينه البشر .

وعندما تموت البطلة كاترين يصرخ البطل متوسلاً إلى الله أن لا تموت ويقول :

— يا إلهي أتوسل إليك ، لا تدعها تموت ، سوف أفعل كل ما تأمرني به إذا أنقذتها من الموت...

في تلك الفترة بعد الحرب الأهلية الأسبانية كتب رواية (لمن تدق الأجراس) وباع منها ٧٥ ألف نسخة و الرواية تصور كفاح أسبانيا من أجل الحرية ومواجهة الموت بشجاعة ، وكتب في بداية الرواية يقول :

«ليس الرجل جزيرة لكي يتوقع داخل حدود هذه الجزيرة ، إنه جزء من قارة وجزء من كل، إن موت رجل لا يقلل شأني لأنني متمي إلى الجنس البشري ، ولذلك أريد أن أعرف أبداً لمن تدق الأجراس .. إنما تدق من أجلك»

أما في رواية (العجوز و البحر) التي نشرها عام ١٩٥٢ فهي صراع رجل وسمكة ، فالبطل العجوز قد سيطر بحواسه على الطبيعة والبحر و المياه الساكنة وكان يظن أنه أصبح مجرد ورقة جرداء في هذه الطبيعة وأنه أيضاً بلا إرادة .. ولكن عندما بدأ يقاوم أسماك القرش قرر أن ينقذ السمكة من تحت أنيابهم ويحملها إلى الشاطئ برغم أنها أصبحت مجرد عظام . ويقول همنجواي:

وتوالت حفلات التكريم لهمنجواي ، ونال وسام الشجاعة في الحرب وفي عام ١٩٥٤ منح جائزة نوبل في الأدب عن أعماله كلها ..

ورغم ذلك ظل الموت يطارد همنجواي في إحساسه بوطأة المرض والشيخوخة وظل يفكر كيف يقهر الموت وأوتار قلبه ترتعش خوفاً منه . وظل في المستشفى فترة للعلاج ثم غادرها وعاد إلى بيته يشاهد صور التكريم وجائزة نوبل و الصيد في أفريقيا والحرب في أسبانيا وبطولاته العديدة .

وفجأة امتدت يده لتقبض على بندقية الصيد ، ويصوبها إلى صدره
وسقط مضرجاً في دمائه .

وكأنه حقاً واجه الموت بشجاعة وبطولة وشرف فإن الانتحار مغامرة لا يقدم عليها إلا هؤلاء الذين نظروا إلى الحياة باستهانة ، واعتبروها مهزلة وسخفاً وعدمًا .



جاك بريفيير

(١٩٠٠ - ١٩٧٧ م)

أحد أقطاب شعراء فرنسا ، ولد في مقاطعة قرب باريس ، ودرس في المدارس والجامعات هناك . اهتم بالفن السينمائي فكتب حوارات لعدد كبير من الأفلام . ويقال : إنه اشترك في التمثيل أيضاً . تأثر بالسيرالية والوجودية ، وقصائده مرآة لحياته وأفكاره ، ومن مؤلفاته الشعرية هذه الدواوين : كلمات ، المطر والصحو ، حكايات ، أشياء ، وغيرها .

انشغل هذا الشاعر كثيراً بالطبقات العاملة ووضعها الاجتماعي ولذلك تراه في بعض قصائده يتجه اتجاهاً اشتراكياً ويكشف عن الصراع النفسي الذي يعاني منه العمال والفقراء والشعب المضطهد الذي يشقى ولا يجد وقتاً لشراء كتاب أو تصفح جريدة . ووقف الشاعر ضد النظام الرأسمالي وأساليبه التي تسحق الطبقات الفقيرة وتتلعب بمصيرها وحياتها ، فترى الشاعر في إحدى قصائده يصف العامل في لحظة ذهابه إلى مصنعه فيقول :

« أمام باب المصنع .. يتوقف العامل فجأة . الطقس الجميل شده بسترته ، وعندما التفت رأى الشمس الحمراء تبسم في سمائها الثقيلة ، غمز بتدلل .. قولي يا رفيقتي الشمس .. ألا تجدين أنه من الحماسة إعطاء يوم كهذا لصاحب العمل ؟ .. »

في قصيدة جاك بريفيير هذا التعاطف العميق مع العامل الذي يحس بحنان الشمس المشرقة الملتهبة ، والصحو الذي يغطي المكان فيشعر العامل بالحسرة والألم لأن هذا اليوم سوف يفقده ويسلبه منه صاحب المصنع .

هذا النص الشعري البسيط يوضح إلى أي مدى يحيا هذا العامل في عبودية وخضوع لصاحب العمل . إنه يحلم بالخروج من هذا المصنع في يوم رائع كهذا ليستمتع بالحرية في الحدائق أو فوق ضفاف النهر ، ولكن كيف ذلك وهو مازال مقيداً برزقه ويخاف التشرد والضياع ؟

ولا يدهشنا هذا النص الذي يكتبه شاعر فرنسي يعاصر الرأسمالية في عتفوان سيطرتها على كل شيء ، فقد زار الشاعر روسيا وأمريكا والبلاد الشرقية واقترب من هذه الفئة التي تذهب ضحية أصحاب المال . وقد يشعر باليأس أحياناً من هذا العالم فيرى الأطفال أمامه يسكنهم الحزن والهموم ويقول :

« أيها الاطفال المحزنون الضائعون .. نحن نهيم في الليل .. أين أزهار النهار .. للاذات الحب .. أنوار الحياة .. ؟ أيها الأطفال المحزنون الضائعون .. نحن نهيم في الليل .. القمر الأبيض العاري .. في السماء يتبعنا ... ابتسامة متجمدة ... وقلوبنا متجمدة أيضاً ... »

فالصورة الشعرية حزينة ويسودها الكآبة واللوعة . إنه عالم يقتل فرحة الأطفال ، حروب تشتعل ، وشعوب تُباد ، وأحرار يُساقون إلى السجون ، وأنظمة تقرر مطاردة الحرية في كل مكان فكيف لا يحزن الأطفال ؟؟؟ واقرأ ماذا يقول عن الحرية :

« أين تمضي أيها السجان .. بهذه المفاتيح المخضبة بالدم .. أمضي لأطلق سراح من أحب .. قبل أن يفوت الأوان .. حبيبتي التي سبقتها بحنان وقسوة في أعماق رغبتني ... في أعماق عذابي .. في خداع المستقبل .. في تفاهات العهود .. أريد أن أطلق سراحها .. أريد أن تكون حرة .

وتشعر أن جاك بريفييرا يبكي ويرثي الحرية فوق هذه الأرض التي تحيا عليها البشرية .



بول إيللوار

(١٩٠٠ - ١٩٥٢ م)

بول إيللوار شاعر الحب والجمال والثورة الذي أطلق شرارات قصائده في عتمة مدينة باريس وهي تناضل ضد النازية ، وتغنى بالحرية ، وبعث عزيمة الشباب لمواجهة النازية والموت على ثرى الوطن في بسالة وبطولة مالها حد أو نهاية ، يقول :

أنتِ يا من كنت من لحمي

ودمي ضميراً يحس

أنتِ يا من أحب إلى الأبد

يا من ابتكرتني

لم تكوني تحتملين الطغيان

ولا الإهانة

كنتِ تغنين وأنتِ تحلمين

بالسعادة على الأرض

تحلمين أن تكوني حرة

وأنا امتدادك

ولد إيللور في مدينة سان دينيس حيث عواميد الدخان ويقايا نفايات الحديد والفحم والدخان المتصاعد من المصانع يغطي وجه الجداول والأنهار والمراعى . هذه الصور الكثيرة طبعت شعره بالحدة والسأم والضجر وجعلته رافضاً لعصره يبحث عن إرادة البشر ومصيرهم في الحياة . وفي عام ١٩١٤ ذهب إلى الحرب وصهرته تجربة النضال الحقيقية ضد النازية ، فانفجر غضبه

واحزانه ، وإن كان غلب عليه بعض التشاؤم والرفض لهذه الحروب ، يقول :

هناك عند أطراف الألم

نافلة مفتوحة

نافلة مضادة

هناك دائماً حلم يسهر

أمنية تتحقق . جوع يشبع

قلب كريم

يد تمتد مفتوحة

عيون متبهة

حياة هي الحياة لتتقاسمها

واستطاع أن يسهم بقصائده الثورية خلال الحرب في التعبير عن وجدان شعبه وصور مدينته باريس المدينة الشامخة التي ترفض الموت أو الاستسلام .

وأثارت قصائده الشعب وقادته إلى دروب من الأمل والجهد والنضال والتضحية و الفداء من أجل فرنسا . وأدت خطورة هذه القصائد إلى أنه اضطر كل ليلة أن يغير البيت الذي ينام فيه ، وبدأت بلاد العالم جميعاً تنشر هذه القصائد التي مزجت بين عشق الوطن وسلاح النضال في أيدي الشعب الفرنسي .

وأصبح من المؤلف أن يلتقي الشاعر إيللوار تحت ستار الظلام بأفراد المقاومة الفرنسية ليوزع عليهم قصائده ويلصقها على الجدران والأبواب في المدينة ، وهو يؤمن أن الشعر حرفة يصنعها الجميع ، وسلاح للمقاومة والنضال .

وتحررت فرنسا وأصبح إيللوار من أكبر شعراء العالم في الحرية ، وترجمت قصائده لمختلف اللغات .

وفي ذات صباح حينما كان مع زوجته يتجول في الغابة ، ويشاهد من بعيد أمواج الأدخنة والغيوم الآتية من المصانع لتغطي وجه الجداول والأنهار ، يصاب بذبحة صدرية ويسقط فوق أعشاب النهر .



أندريه مالرو

(١٩٠١ - ١٩٧٥ م)

أندريه مالرو أديب فرنسي دعا إلى الحرية وبحث عن الكرامة والسلام . الأديب المتمرد الذي أعلن أن قدر الفرد يكمن في بعثه لطاقات الثورة من أجل عالم أكثر شرقاً وإنسانية .

ويؤكد مالرو أن الإنسان هو أرقى مخلوقات الأرض ويمكنه أن يحقق المستحيل من المعجزات، فالعظمة والقوة والنبيل والكبرياء هم مجده وشرفه ، ولذلك عليه أن يقاوم الشر ويقف ضد خونة العصر وأنظمة القهر والاستلاب .

ومن الجميل أن أندريه مالرو قد عاش هذه الأقوال في الحقيقة ، فقد انضم إلى المنظمات الثورية المناهضة للاستعمار بكل أساليبه الوحشية ، فتجده يذهب إلى الصين ليقاتل مع الشعب الثائر . ونراه يذهب إلى أسبانيا في الحرب الأهلية ١٩٣٦ ليقاوم مع الشعب ضد جيوش الطاغية فرانكو الذي قتل الشاعر الأسباني الكبير لوركا وحارب مالرو مع بلده ضد الألمان ونظم حركات المقاومة السرية إلى أن وقع في أسر القوات الألمانية .

وفي عام ١٩٥٨ شغل منصب وزير الشؤون الثقافية في حكومة شارل ديغول ، وفي عام ١٩٦٧ كتب مذكراته التي أسماها (اللامذكرات) ناقش فيها الحياة والموت والفن والحضارة وأن المرء يظل بلا قيمة إذا لم يستطع التمرد والثورة على كل ما هو ضد الحرية والنبيل والعظمة والجمال .

لقد نالت روايته (قدر الإنسان ١٩٣٣) جائزة الجونكور الفرنسية وهي تُعد من أروع إبداعاته حيث استطاع أن يحول حياته ومغامراته ورحلته مع كل ثورة إلى فن قصصي ، فكل أعماله الروائية تحمل قدراً كبيراً من حياته ، فرواية «قدر الإنسان» هي فلسفته وبطولاته من أجل حياة تنتصر على اليأس والتعاسة ، يقول :

– إذا رأيت القبع يتمشى أمامك فلا مفر من إزالته من فوق وجه الأرض .

أما روايته « الأمل » فقد كتبها عن الحرب الأهلية الأسبانية التي شارك فيها ، وروايته « أشجار الجوز » تحمل صوراً من وقوعه في الأسر لدى الألمان واشتراكه في الحرب العالمية الثانية .

لقد سئم مالرو من مظاهر الحضارة الأوربية وتأكد من خوائها وانهارها طالما لم تقترب من الناس ومشاعرهم وقضاياهم ، فلم تكن ثورته إلا محاولة لرد القيمة لهذه الحضارة واشعال نيران التعاطف والحب والتوحد . فلم تكن الحياة له شيئاً أو الموت ، اختلطاً معاً وصار بينهما يعانق الضوء البارق والشهاب الساطع في السماء ليحول هذه الأرض من جذبها وصخورها وصحرائها إلى مساحات خضراء تبتسم للحياة . وقد أصدر مالرو هذه الأعمال الروائية : الغزاة ، الطريق الملكي ، قدر الإنسان ، الأمل ، عصر الاحتقار ، أشجار الجوز ، أقمار من ورق ، غواية الغرب ، المملكة العجيبة .

ونتساءل : لماذا لا بد أن نقرأ هذا الأديب ؟ إنه نموذج لتكامل الكلمة والفعل . إنه المثقف الثوري الذي التزم بقضايا البشر فوق الأرض . وليس قضايا بلده وحدها ، وقد أثبت أن المثقف لا يحيا من أجل جماعته أو مجتمعه بل للعالم الإنساني . ولذلك عندما كتب عبر عن فلسفته وأفكاره التي بوجهها لكل العالم ، لقد تجاوز حدود البلاد وأرضه وخبر الحياة، واقترب من الموت وشاهد فظائع الحرب ، وآمن بأن الكلمة هي الحياة والواقع الذي يعطي القيمة والإحساس ويتغلب على عبث الوجود . الكلمة ليست شعاراً نطلقه في الهواء أو ألفاظاً نتلاعب بها ، إنما هي الثورة على الطغيان والثورة على الهزيمة والسقوط والضياع .

إن أدبه يملؤنا بالحماس والأمل ويحرضنا على الابتكار والإنتاج والحركة من أجل هدف كبير تجنب البشرية منه خيراً وثنماً . ورغم أن أباه مات متحسراً من اليأس ، وجدته انتحراً بعد إفلاسه ، وماتت زوجته في حادث قطار حتى إنه شعر بالوحدة والعراء – رغم ذلك لم يهزم واندس بين الثوار في كل البلاد المناضلة ليرفع راية الكفاح والعزيمة ويتحدى القدر والظروف الصعبة بتفاؤل وروح لا تعرف اليأس أو التراجع .



أرمان برنييه
(١٩٠٢ - ١٩٨٠ م)

أرمان برنييه شاعر من بلجيكا درس الآداب واللغات الأجنبية وقرأ الشعوب الأوروبية واليونانية والشرقية واستطاع أن يحقق لإبداعه صفة التمرد والتميز .

فحاول أن يسجل قلق العمر وخوفه من القوى الطاغية التي تدبر المكائد والحروب وتخلق المحن والأزمات وتسحق الفرد والشعوب تحت جنون السلاح والتفوق والسيطرة المادية .

فبدأت قصائده كأنها روح تتحسس الطريق في ظلمات حالكة وصراعات دموية متوحشة فكتب عن اتجاهات وراء الغيب وعبر عن قلق ميتافيزيقي ورؤى غامضة حول العالم والأحداث المتلاحقة .

ومن أجمل سمات قصائده تلك البساطة في الغناء العذب للحياة ومحاولة التفرد بالذات والعزلة الروحية والتأمل الذهني فيقول :

دعوني وحدي في الغابة

فقد تجذرت خطاي الحائرة

في هذا الطين البارد الندي

دعوني وحدي في الغابة

مع المطر لكلمات البراءة

مع الريح مع أرغفتها الضخم

فستحط فوق كتفي الأخضر

أطيار ستحط لتشرب

ولا عجب أن تحس بوجع روح معذبة شقية بين الناس تحلم بالصفاء والعودة إلى حالة السلام مع النفس ومهادنة الواقع والارتباط بقوى عليا غيبية يثق المرء في قدراتها وإرادتها . ويرى أن الخلاص قد يكون بين أزهار الغابة حيث الكائنات هاجعه تم الجذور في الأرض بالخصب والأشجار تمد ظلالها الوارفة لتحنو على الأرض أيضاً .
فيقول :

دعوني سأجرح نفسي

متلداً كيما أزهر

بين العشب والضياء

ألا إن اللقاء ليحلو في الغابة الهادئة

ويعذب بين شتيت الأطيوار المفردة

أتراني أعمر ألف عام أتراني أولد ثانية ؟

صرخ الشاعر البلجيكي أرمان برنييه بصوت الحرية والنضال ضد الظلم والثورة على الخيانات والأنظمة الفاسدة وعبر عن ذلك في قصيدة « جواد يحلم بالحرية » ويقول :

إن ثمة عالماً لا تخلو فيه الجياد مما يوقر ظهورها

عالمًا تكون فيه الجياد حرة والأفق رحباً

وفي اتجاه تأملي وروحاني يستشف من السماء روعة الجلال والعظمة في الخلق والدهش للجمال المذهل والنظام الكوني البديع ويقول :

عبر هذه المجرة التي ينتشر فيها

عالم مجرى في اتساع بطيء

تهرب فيه سدم لولبية

هي عوالم جمّة ادركها المخاض

ألا لقد ضعت بين المشاهد الخارقة

فيما وراء السماء التي تتلامح فيها نجوم جمّة

فتؤلف بلا نهاية مجرات جديدة

ويسثم الشاعر برئيسه من هذه الحياة التي تكالب الناس فيها على المتع المادية وأهملوا القيم
الجمالية وحياة التأمل ومتعة الحب الروحي ولذلك يحاول الرحيل أو الهروب :

إنني لأبتغي الهرب من هذا الخواء

أبتغي الفرار من ريحه المجنونة

فيا أيتها الأرض إنني لأنضم إليك

فقد آن لي أن أنسى

ويرحل الشاعر من الحياة بعد أن لاذ برعاية الأرض الحنونة التي ظل يغني لها ويدعو إلى
الحب والحرية والجمال .



جون شيتاينيك

(١٩٠٢ - ١٩٦٨ م)

هذا الأديب الأمريكي عاش في ولاية كاليفورنيا وخبر طبائع وعادات الناس وأحلامهم في الشراء ولمس جراح وعذابات الفقراء والمزارعين الذين يحلمون بثورة على شقائهم الذي بلا انتهاء. وقد عمل مزارعاً في الحقول وموظفاً في أحد المختبرات وحارس بناية وتعلم في جامعة ستانفورد واكتسب عشقاً جميلاً للحياة والناس وتعاطف مع آلامهم وأشفق على آثامهم وجنوح أفكارهم ومشاعرهم .

وفي لحظة إبداع يختار الأديب حالة اجتماعية لهؤلاء المزارعين الفقراء حين وجدوا أنفسهم في العراء بلا عمل بعد أن انتشرت الآلات الحديثة في المزارع واستولى كثير من الأثرياء ورجال المصارف على المزارع الصغيرة وطرّدوا العمال واستخدموا الآلات الحديثة .

ويصبح الموقف الآن بين الآلة التي تحتاج كيان الإنسان المعاصر وتجعله بلا أهمية وتقذف به على هامش الحياة بلا قيمة أو ضرورة له وموقف المزارع الذي يحلم بعالم آخر وحياة جديدة يقاوم الخراب الذي يحاصره.

ويفكر المزارعون في الهجرة إلى ولاية كاليفورنيا فهي الحلم وأرض الشراء حيث العمل في مزارع القطن ، والحصار وتهاجر الآلاف من الأسر إلى هذه الولاية ولكن لا يواجهون سوى الجوع والتشرد حيث احتكر الأثرياء المحاصيل والمواد الغذائية وأقاموا مصانعاً للتعليب وأهلكوا فائض المحصولات .

وصور الأديب جون شيتاينيك رحلة هذه الأسر المهاجرة إلى ولاية كاليفورنيا في روايته «عناقيد الغضب» هذه الرواية التي جعلت الحكومة الأمريكية تنظر إلى هذا الوضع المأساوي وتحاول علاجه .

والأديب جون شيتاينيك حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٢ ، وله عدة روايات منها : الكأس الذهبية ، ومراعي المساء ، وفتران ورجال ، والوادي الكبير ، والليالي السوداء ، وإلى شرقي عدن.



ميكزيسلاف جاسترون

(١٩٠٣ - ١٩٥٦ م)

من شعراء بولونيا يبرز الشاعر ميكزيسلاف جاسترون الذي بدأ حياته الشعرية في مرحلة ساكنة يتأمل النهر المتدفق ويرهف السمع للنسيم المفرد أو الأصوات الراحلة في الليل معبراً عن خلجات النفوس وعذابات القلب العاشق لوجه النهار .

وعندما احتل الألمان بولونيا في الحرب العالمية الثانية تفجرت الأرض تحت الشاعر الهادئ .. وثارت العواصف من خلف الأنهار العذبة وتدفقت الحمم من براكين الغضب والتمرد والثورة ، ويكتب أروع قصائد النضال فوق جبين بلاده ويقول :

حين يستأنف النضال

في سبيل الإنسانية المحررة

يلوح الابن بذكرى أبيه

كأنها السيف من فولاذ أسود

وقد ظل الشاعر جاسترون في مرحلته الأولى الساكنة بطارد الزهرة ويعشق العيون الجميلة ويقف علي حافة النهر يرقب ارتجافة السنابل تحت قبلات النسائم ويقول :

أنا في قرارة نفسي مجنون

أطارد زهرة

والأحق ظلاً وارثاً

وفناً من نسيان

يفر عبر مرج الصباح

هذا السكون يتحول إلى ثورة والتزام عميق بقضايا الوطن في الحرية والنضال ، وبعد أن كان يصف الطبيعة والسحر والجمال اتجه إلى القنابل والدبابات ويقول :

انفجار القنابل وصرير الدبابات

كما لو أن الأرض جوقة مأساوية

عاهدت السماء أن تطيل غنتها

هكذا الشاعر البولوني جاسترون يجسد روح النضال ويزرع في قلب بلاده قنبلة في وجه الأعداء بعد أن عاش سنبله على الضفاف البولونية .



ميخائيل شولوخوف

(١٩٠٥ - ١٩٧٢ م)

يصبح الأديب شولوخوف ويطل من نافذة بيته الريفي على نهر الدون في رقة انسيابه بين الحقول والمزارع ويشاهد أمه الفلاحة من قبائل القوزاق تلملم الأعشاب وتنتثر حبات القمح للدجاج والطيور ، وأبوه صياد السمك الفقير يحمل شبكته ويبحر في النهر باحثاً عن الرزق تحت شمس يوم جديد .

عاش شولوخوف هذه الحياة البائسة ، يزرع الأرض ويرعى الأغنام ويعاني الفقر والحرمان ، وأيضا تنتابه لحظات من الألم حين يقترب من حياة الناس على ضفاف نهر الدون حيث انقسموا إلى طبقة الملاك الفقراء الذين يبحثون عن ضوء فجر قادم يجتاح ظلمات الظلم والقهر وينقذهم من استبداد طبقة الملاك . ولذلك حينما قامت الثورة الروسية دافع عنها الفقراء ووقف ضدها الأثرياء ، ومن هنا كان الصراع الذي تصوره رواية شولوخوف الرائعة « الدون الهادي » .

عشق شولوخوف وطنه وقريته « فيشسكايا » ورفض أن يرحل إلى موسكو ويقول :

— في هذه القرية كتبت أجمل رواياتي وعاش أبطال قصصي هنا ولا أحتمل الفراق عنهم ولولا هؤلاء الناس في قريتي لما استطعت أن أكتب أو أكون أديباً مشهوراً .

ويعود شولوخوف يقول :

— لقد ألهمني نهر الدون قصصاً كثيرة فكتبت « مصير إنسان » عندما شاهدت جندياً مع ابنه في قارب صغير يعبر أحد روافد النهر ، وعن الفلاح في أرضه وشقائه كتبت قصة « الأرض المعمرة » .

ورواية « الدون الهادي » من الأعمال الكلاسيكية الخالدة التي تحولت إلى مسرحية وفيلم سينمائي وأوبرا يغنيها الشباب على مسرح بولشوي في موسكو ، بل إنها لا تقل روعة عن رواية « الحرب والسلام » لتولستوي أو « البؤساء » لفكتور هوجو .

والرواية ملحمة النضال والكفاح ضد العبودية والفقر والاستغلال وتصوير لهذه البطولات والصراع الدموي العنيف وكيف يرتبط الإنسان بأرضه ويتمى إلى قضايا بلاده محارباً من أجل العدالة والشرف والكرامة و كشف الحقيقة .

وقد صور شولوخوف الثورة البلشفية ضد روسيا القيصرية ، واتخذ شولوخوف من النهر رمزاً لتاريخ روسيا والحقب التي مرت عليهما والعواصف التي اجتاحت الأرض وفجرت الغضب وأشعلت نيران الثورة .

وترى في الرواية شخصيات حادة العواطف عاشقة للوطن تموت من أجل العدل والخير وتحارب الشر وتقف ضد الفساد والتدهور الأخلاقي .. شخصيات كُتب عليها أن تضحي من أجل مستقبل جديد تسوده الحرية وترفرف عليه حمائم السلام .

وقد دعا إلى الواقعية الاشتراكية في رواياته مؤكداً على روح العطاء الإنساني وتلاحم الشعب في مواجهة الطغاة والمفسدين والتمرد على الطبقة والأثرياء الذين يكنزون الأموال ويعيشون في نقاهة وترف وفساد .

إن رواية « الدون الهادئ » تحمل بعض ملامح من حياة شولوخوف فقد اشترك في الحرب الأهلية ولم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من عمره ، ووقع أسيراً لدى قوات حركة المقاومة للنظام الجديد وكاد يُعدم إلى أن أنقذه زعماء الثورة .

وارتبط بتاريخ بلاده وتراثها واكتشف كيف ظل هذا الشعب صامداً في وجه القياصرة بين سياط العذاب والخوف والمنفى حتى تحررت بلاده من الخوف عند قيام الثورة .

بعد الحرب العالمية الثانية كتب رواية « قاتلوا في سبيل الوطن » عام ١٩٤٤ واتجه إلى التعبير عن كفاح الشعب السوفيتي وقتاله في الشوارع والبيوت حتى استطاع أن يهزم الغزو النازي .

وبعد رواية "الدون الهادئ" أصبح شولوخوف من كبار الأدباء في روسيا وانتخب عضواً في مجلس السوفييت الأعلى واللجنة المركزية للحزب الشيوعي ووقف بجاهر بصوت الحق دون خوف أو تردد من أجل شعبه الفقير ومشاكل بلاده .

وبعد أن نال جائزة نوبل عام ١٩٦٥ وسافر إلى أوروبا سألوه عن انطباعاته للحياة في أوروبا فقال :

— بلادكم جميلة ولكن أفتقد فيها قاربي الصغير الذي أخرج فيه لاصطياد السمك ، وافتقدت الغابة التي أجلس فيها للتأمل ساعات طوال .



وليام إمبسون

(١٩٠٦ - ١٩٧٥ م)

ينتمي وليام إمبسون إلى الأدب الإنجليزي الحديث ، تلك الفترة التي سادت فيها روح العلم وأدرك الانسان أن الحروب والمجازر البشرية لم تعد ذات معنى في مجتمع يتطلع إلى حرية الفرد وبناء كيانه الإنساني على أسس من العقيدة والكفاح والنضال والإضافة إلى إنجازات السابقين في شتى العلوم والفنون .

ولذلك نشأ أدب جيد يهتم في المقام الأول بالحركة الإنسانية ويترجم عواطف البشر والمشاعر والأحاسيس ويولي اهتماماً للظواهر العلمية ويؤمن بوحدة المجتمع العالمي ، فلم تعد العزلة أو النعرات الإقليمية لها صدى في عالم العلم والتكنولوجيا والتحليق في الفضاء واكتشاف كواكب جديدة .

وشهدت تلك الفترة أيضاً ولا سيما بعد الحربين العالميتين واصابة العالم بنكسة اقتصادية ومحنة نفسية اتجه الأدب إلى التبشير بعصر جديد يسوده التفاؤل والابداع الذاتي وتوجيه النقد الحاد إلى سياسة إنجلترا والتمرد على الفوضى والنظم التقليدية ، وكتب جورج برنارد شو وهكسلي وويلز و كبلنج ودعوا إليها وناضلوا من أجل حرية الفكر والإنسان .

ولذلك درس الشاعر وليام إمبسون الرياضيات في جامعة كامبردج وأكد أن تحليل الشعر لابد أن يقوم على تفسير دقيق للألفاظ فإن اللغة ذات دلالات يجب أن يحاول الناقد لمس أعماقها ومعانيها الخفية . ولذلك لابد من تربية ذهن القارئ على التفكير العميق والبحث فيما وراء الكلمات وربطها بالواقع الاجتماعي والوجداني .

ويقول الشاعر وليام إمبسون :

إن القصيدة هي مجموعة من الطاقات الإبداعية المتصلة بالذهن والنفس والوجدان وعلى القارئ المبدع أيضاً أن يستشف رموز هذا العمل دون أن ينتظر من الآخرين كشفه له أو تفسيره .

وأصدر الشاعر كتاباً شرح فيه منهجه النقدي في تناول وتذوق الشعر وأطلق عليه « سبعة أنواع للغموض » عام ١٩٣٠ ويعتبر النقاد أن هذا الكتاب من أهم الأعمال التي تناولت الشعر الحديث وقضاياها لأن الشاعر استطاع أن يقدم منهجاً لم يكن مطروقا من قبل .

وأصدر وليام إمبسون كتاباً آخر اسمه « أنماط القصيدة الرعوية » ويقصد بها تلك القصيدة التي تتناول موضوعات مختلفة مستوحاة من التقليد القديم ، منها البكاء على فراق الأحبة ومباريات الإنشاد والرثاء والمديح والهجاء السياسي الخفي وقد برز الشاعر آدموند سبنسر في هذا النوع من الشعر عندما أصدر ديوانه (تقويم الرعاة) .

اهتم إمبسون بتحليل نفوس الطبقات الفقيرة البسيطة وعبر عنها في قصائده ويقول :

— إن الشعر ما هو إلا تعبير عن البسطاء وأحلامهم ولغتهم الخاصة .

وفي إحدى قصائده يعبر عن مشاعر سيدة عجور مفسراً كيف أن النضج هو التمام أي الوصول إلى نهاية الحقيقة الأخيرة . وتلك الفكرة عبر عنها الفلاسفة في قولهم أن الإنسان إذا وصل إلى الحكمة والخبرة الخصبة الثرية واستلهم الحقائق فإن تلك هي النهاية .

يقول إمبسون في قصيدته النضج :

النضج هو التمام قدسها في كوكبها

البارد ولا تظن أنها صارت همًا يذفنها ذنب تخططه .

وتؤهله الآلهة ويخبو على التوالي

بينما الشمس تعيش بعدهم طويلاً

مازال ملكوت روحها قائماً بلا استدعاء

التفاصيل الكثيرة لحياة اجتماعية

بديهة حاضرة في تدير البيت ولعب البريدج

وحماس مأساوي في صرف الخدم .



صموئيل بيكيت

(١٩٠٦ - ١٩٨٢ م)

حين طرح الشاعر والكاتب المسرحي صموئيل بيكيت تساؤله هذا : من أنا؟ بدأت معه رحلة الضنى والهلاك والبحث عن غمامة فياضة بالمطر في مدن الجمود والقحط والرماد .

كيف يعيش الانسان معذباً في عصر الخواء .. والهشاشة والتفاهة ؟ تلك هي قضية بيكيت الذي أكد بأن لا شيء معقول فكيف يكتب المبدع أدباً معقولاً ؟ .

ومن هذا الانفجار نشأ مسرح اللامعقول الذي ينظر إلى الواقع بشيء من الغرابة ويوجه نقده إلى السفهاء والتافهين والأفاكين واللصوص والخونة والسطحيين الذين نخروا في عظام الحياة وسيطروا على أذهان الآخرين حتى دانت لهم المراكز والمناصب وساهموا في كآبة الواقع واستغلال النفوس الطيبة وتحقير الهمم العظيمة والقيم الجميلة وجاءت مسرحية « في انتظار جودو » نوعاً من العبث فلا شيء حقيقي ، والعالم ليس إلا سراباً والوجود زائف والحب مستحيل في أرض بلا منطق يحكمها أو قانون .

مسرحية غامضة معقدة تحطم كل ماهو مألوف في المسرح التقليدي .. وتفرض حالة من السأم على المشاهد والمعاناة إلى الحد الذي تصبح أقرب إلى المشاهد المرعبة .. وقد قصد بيكيت ذلك أو هذا ما تهدف إليه المسرحية : إثارة المشاهد في السخط والسأم على نفسه والواقع .

ويبدأ الفصل الأول بشخصين متشردين هما : إستراجون وفلاديمير ، يتحدثان في طريق خال من البشر ولا يصلان إلى نتائج وينتظران قدوم شخص غريب اسمه « جودو » هو القادر على خلاصهما من حالة الارتباك والفوضى التي يعيشان فيها .

وكذلك القصائد التي كتبها بيكيت تدهشك وتعذبك وترهق ذهنك في محاولة فهمها ، ثم إنه لا يعنيه أن تفهم ، أولاً تفهم كل ما يبحث عنه بيكيت أن يمتلك القدرة على طرح تساؤله : من أنا؟

فيقول :

ولا شيء للبكاء

وجدتني أعرفها معرفة سيئة

عندي الوقت هذا ما أقوله لنفسي عند الوقت

لكن أي وقت عظمة جائئة وقت الكلب

تلك محاولة عاشها أدباء اللامعقول في تفسير واقع بعيداً عن العقل وأقرب إلي الجنون .
ولد صموئيل بيكيت في مدينة دبلن ودرس الأدب الفرنسي والإيطالي وذهب إلى باريس
ليعلم الأدب الإنجليزي في مدارسها .

تعرف على الحياة الأدبية في فرنسا واقترب من الشعراء وتأثر بالمرح الثوري وبدأ في نشر
قصائده هناك . عاد إلى دبلن ونال شهادة الماجستير في الأدب الفرنسي عن الكاتب الفرنسي
«مارسيل بروست» . أحبته ابنة صديقه الكاتب جيمس جويس ولكنه لم يبادلها هذا الحب
ورفضه مما أدى إلى سقوط الفتاة في حالة عصبية .

بدأ بيكيت يحس بأن الحياة ليست إلا عبثاً ثقيلاً وشيئاً غير معقول واحساساً بالمتنفي عندما
عاش فترة من حياته بعيداً عن موطنه إنجلترا . وأكد صموئيل بيكيت بأنه ليس هناك عالم عقلائي
محكم التنظيم فقد غابت الأسس الواضحة والقيم القائمة على العدل والحب والحرية .

ولذلك بدأت مسرحيات صموئيل بيكيت تهزأ بجميع المعايير وقوانين المسرح التقليدي فليس
هناك حوار في المسرحية بالمعنى المتفق عليه وإنما قد يكون هناك ثرثرة لا معنى لها تبدأ بطريقة
مصطنعة ومتعسفة .

ويفسر صموئيل بيكيت مسرحه اللامعقول بأنه نوع من الاختزال الفكري لنمط معقد التشابه
من التناول والطريقة والتقليد ومن الأسس الفنية والفلسفية المشتركة سواء أكان ادراكاً بوعي أو
بلا وعي ، ومن التأثيرات الناجمة عن رصد مشترك من التراث .

وأصبح بيكيت أحد رواد مسرح اللامعقول مع يوجين يونسكو وجان جينيه وأرثر أداموف
وفرناندو أريال وادوارد إيلي .

وأسباب اتجاه هؤلاء إلى هذه الطريقة في الكتابة المسرحية هو انتشار الخواء الروحي في أوروبا

وأمریکا وسيادة التشاؤم بعد عالم الحروب ونتائجها غير المنطقية بحيث إنه تلاشت الآمال والطموحات الكبيرة وأصبحت عهود الدول مجرد سراب في سراب .

ولذلك نجد في مسرح اللا معقول هذا الابتذال في اللغة ولأن الناس فقدوا الرغبة في التواصل الحميم ، والحديث عن أحلامهم فكل منهم قد صدمته الحقيقة .

وقد بث صموئيل هذه الأفكار في مسرحياته :

في انتظار جودو ، نهاية اللعبة ، الأيام السعيدة ، أفعال بلا أقوال ، الكلمات والموسيقى .
وأیضا تلمح في قصائده هذا الإحساس بالضجر والتشاؤم والعبث ويقول :

بين المنظر وبين الزجاج

خال إلا منها

البطن على الأرض

مرمي على أحشائها السود

زيانيتان مدهورتان

جناحان مربوطان

قوائم معقوفة فم ممتص الفراغ

ساق الأثير منسحق على اللامرئي

تحت إيهامي العاجزة تسقط

البحر والسماء الصافية



فابيتساروف

(١٩٠٩ - ١٩٤٣ م)

الشاعر البلغاري فابيتساروف يقف رافعاً جبينه للشمس الحارقة يتطلع من فوق الوديان إلى قرى بلاده ، وأحلام قومه الصاعدة في خفق الليل الكتيب .

وقف الشاعر يناضل ضد الاحتلال الألماني لبلاده ، إنه الضوء المتكسر على أجفان وطنه ، والعصفور النازف مرتعش الأجنحة يغني لبلاده أن تصحو مع الفجر وترحل مع أطياف النور إلى غايات نبيلة وصادقة . لذلك يصف الشاعر صورة المناضل الذي وهب بلاده روحه ودمه فيقول :

آمن برعشة الألم طريقاً إلى الغاية .. وأن الفردوس الذي تراءى أطيافه من بعيد في سماء الحرية المقبلة يتخذ صورة العصافير الزرقاء .

ولد الشاعر في إحدى قرى بلاده « بانسكو » ودرس في مدينة فارنا وعمل في البحرية ورحل إلى بلاد كثيرة ومدائن في الشرق والبحر المتوسط . قرأ كثيراً وناقش مع رفاقه في كل مكان قضايا الحرية والنضال من أجل شرف الوطن . صادف الشاعر في حياته معاناة شديدة ناتجة عن الظروف الاجتماعية والسياسية الرديئة التي عاشت فيها بلاده من فقد وبطالة ، وتشرد ، وضياح وقد ضاقت به الأحوال حتى مرض ابنه وعجز عن علاجه لفقره الشديد فيقول :

ليس لدي خبز .. ليس لدي ما أغذيك به .. انظر سوف أهدئ جوعك بالإيمان بالمستقبل .. وكم تكون الحياة سعيدة عند ذاك .. سنغني جميعاً .. نغني ونحن نعمل .. وستكون أغاني سعيدة .. تمجد الإنسان في كل مكان ...

ومن هنا انطلق الشاعر مؤمناً بدوره في المجتمع ، عليه أن يكتب ليقود أمتة إلى مستقبل مشرق تنتهي فيه حالات الفقر ، وصرخات الجوع ، والشعر ليس أغنيات تنساب من الروح إلى الفضاء بلا جدوي ، الشعر حياة جديدة وبناء ورحيل نحو عالم جديد ، شعر يشيد أفكاراً ويهدم أفكاراً

وتلك من مزايا الشعر المقاوم الذي يدفع إلى العمل وحب الحياة و الموت من أجل الآخرين.

ومن أروع قصائده تلك التي يصف فيها امرأة تنتظر زوجها العائد من الحرب وتشعر الزوجة بالوحدة والمصير المظلم في غياب زوجها حتى إنها تكره الحرب وكلمة الحرية التي أطاحت بحياتها وأرغمت زوجها على الرحيل والمقاومة من أجل عيون هذه الحرية ، فتقول المرأة اليائسة :

لقد انتهت المعركة يا حبيبي ..ولكنك لن تعود .. كنت أريد أن أسترذك .. أنا غيرة .. أكره حتى كلمة الحرية .. هذه التي جذبتك بجنون .. ربما كنت على حق يا حبيبي .. ولكنها مرهقة .. وثقيلة هذه الوحدة .هذه الدخيلة في غرفتنا .

وظل الشاعر البلغاري يكتب أروع قصائده المقاومة متحدياً رصاص الاحتلال الألماني حتى قادوه إلى السجن فكتب على الجدران أناشيد التمرد والغضب حتى أيقن أنه ذاهب إلى المشنقة فصرخ قائلاً :

من يسقط في معركة الحرية .. لا يموت أبداً .. لا يستطيع أن يموت

فانتشرت قصائده بين الناس في الشوارع ، والمدرسة والمعاهد والقرى والمصانع يغنون للوطن ..للفلاح ، والعامل ، والطالب ، و الطفل والمرأة ، أن يهبوا جميعاً في ثورة هادرة .. أن يتحدوا معاً ، يزرعون الفيافي والحقول معا دون خوف أو تراجع .

وبذلك ذاع اسم الشاعر في كل أنحاء بلاده ، وعرفه الأحرار والثوار في كل أرض تناضل الأعداء ، إنهم يرددون جميعاً قصائده :

من يسقط في معركة الحرية

لا يموت أبداً

لا يستطيع أن يموت

وحين سُئِلَ الشاعر وأعدمه الألمان ، صرخت فوق أشجار قارنا عصافير الوطن وتساقطت أوراق الشجر حزناً في غابات صوفيا ، وصوت الشاعر بجوب الآفاق :

ضارية هي المعركة .. لا هوادة فيها .. والنضال خليق بالملاحم .. لقد سقطت وسيحتل مكاني مناضل آخر سيحتل مكاني مناضل آخر .



جان جينيه

(١٩١٠ - ١٩٨٦م)

جان جينييه الشاعر والروائي والكاتب المسرحي الفرنسي الذي يُعد في طليعة رواد مسرح اللامعقول مع يوجين يونسكو وصموئيل بيكيت وآرثر أداموف وإدوارد إيلي وغيرهم .

وكل هؤلاء ثاروا في كتاباتهم بعد الحرب العالمية الثانية ضد المجتمع وقيمته البالية التي لم تحقق السعادة للبشر وإنما تقاذفت بهم من هاوية إلى أخرى ومن سراب إلى صحراء ومن ضياع إلى إحساس بالفقد والاستلاب ، فلا قيمة لهذا الواقع الذي تفشى فيه الخراب وسادت دول كبرى وبادت دول أخرى و كان الثمن هو دم الشعوب وقهرها واستنزاف الكوارث والمصائب التي حلت على المجتمع .

ويهاجم أيضا التفرقة العنصرية في مسرحيته « السود » عن البطل الزنجي الذي يندفع إلى محاولة القضاء على الرجل الأبيض . إنه صراع نفسي واجتماعي قد أحكمت نسيجه قوى الشر والعنف والاضطهاد .

وفي مسرحية « الستائر » يقف ضد حركة المد الاستعماري وما فعلته فرنسا وطنه في الجزائر من ظلم واستعباد . فكانت المسرحية صرخة كبرى ضد الظلم والطغاة . وتهكم على مبادئ الثورة الفرنسية التي أعلنت الحرية والمساواة والإخاء ثم راحت تسيطر على الشعوب العربية النامية .

فلم يكن مسرح هذا الكاتب الفرنسي إلا وسيلة لتعرية النظام السياسي ومواجهته بآثامه وشروعه دون رحمة ، فإذا فقد العالم معناه الإنساني حاول مسرح اللامعقول البحث من خلال الجرأة والصراحة والمخاطرة بتمزيق ستائر الظلام أمام شمس المعرفة والحقيقة . فكان المسرح أقرب إلى الصدمة التي تحرك الشعور وتوقظ الإحساس وترد الوعي المسلوب وتوجه الإنسان إلى غايات أكثر حرية وإنتاجاً وإبتكاراً .

لقد وقف جان جينيه أمام المجتمع متمرداً على قوانينه وأساليبه الظاهرية وعلاقاته المادية التي لا تلمح فيها شيئاً من اليقين أو لمسات من الروح والتعاطف مع البؤساء والمنبوذين والمقهورين والمرفوضين والضائعين في أعماق المجتمع ولذلك يقف الكاتب مع هؤلاء ، سواء كانوا منحرفين أم أشراراً أو ساقطين . ويرى أنهم من خلال موقفهم الشرير قد توردوا بشكل أو بآخر على قيم المجتمع الفاسدة . إن هؤلاء هم ضحايا العصر ولا ذنب لهم لقد حولهم الواقع إلى قوى شريرة تنتقم من النظام السائد .

ولا غرابة في موقف الكاتب منهم لأنهم عالمه الذي عاش فيه وهو واحد منهم ، فقد مارس السرقة وحُكم عليه بالسجن أكثر من مرة وصادق المجرمين في السجون ، وكانت أول تهمة وجهت إليه في طفولته حين اقترف السرقة وتم إيداعه خلف الأسوار يعاني مصيراً مظلماً بلا أب أو أم أو أسرة ترعاه فقد وجد لقيطاً على حافة الطريق وقامت على تربيته أسرة لم تكن تهتم إلا بالمال الذي ترسله الحكومة لها مقابل العناية بالطفل ، فلم يذق الحب أو الحنان ولم يعرف الطفولة البريئة والحياة المستقرة ، فانتقل الطفل إلى وحش وشرير قاس ينظر إلى الناس حوله بحقد وانتقام ولا يعرف له أصلاً أو انتماء فهو ابن الرذيلة فإلي أين يهرب وكيف يواجه هذا العالم ؟

لم يجد أمامه إلا الشر والمعصية . إلى أن كتب أول قصيدة له في السجن وبدأ يقرأ ويكتب حتى نشر روايته الأولى « سيدة الزهور » وعرفه الناس وقد وقف معه في أزمتيه بعض الأدباء الفرنسيين ، وخرج من السجن ليبدأ رحلة الإبداع والتمرد على الورق .



يوجين أونيسكو

(١٩١٢ - ١٩٩٤م)

الأديب الساخط على عالم فقد منطقته العقلاني وسقطت فيه العقائد وانهارت المعتقدات وتمدد الخراب الروحي في كيان البشر فإذا بوعود الحرية والرخاء والحكمة ليست سوى أوهام لا وجود لها في عالم لا معقول ...

ومن هنا برز دور أونيسكو في مسرح اللامعقول القائم على رفض كل الأشكال التقليدية للمسرح سواء الأرسطية أم الملحمية ، وتأسيس مسرح ثوري غاضب ومتمرد لبعث الإنسان مرة أخرى .

مسرح أونيسكو محاولة لإيقاظ الجماهير وتطهير نفوسها وإثارة وجدانها وغضبها على ما يحدث حولها من فساد وسقوط وخراب ولذلك يقدم سلسلة من المشاهد قد تثير الضحك أحياناً ولكنه ضحك كالبكاء حيث يضحك المشاهد من شقاء الآخرين ، ثم يكتشف أنه من هؤلاء التعساء فيبكي على نفسه .

وقامت مسرحيات أونيسكو على التوغل في اللا شعور وتحريض الجماهير على التمرد والرفض واكتشاف ذاتها ، واستخدم في ذلك القصة الغريبة والحكاية النادرة والمشهد الكئيب واللغة الممزقة والأحاسيس المشوهة والإرادة العاجزة عن الفعل والصوت المختنق في الروح .

وفي مسرحيته « الخرتيت » يشعر البطل « برنجيه » أن كل الناس حوله مجموعة من الخراتيت المتوحشة التي تسعى إلى افتراس بعضها . كائنات فقدت عقلها وإحساسها وانطلقت بغرائزها تفسد في الأرض ، ويصبح هدف المسرح هنا رد الضمير الواعي المستنير لهذه الكائنات المخبولة . ويقول أونيسكو :

— إننا نصدم عندما ندرك أننا نحيا في وهم كبير والسلوك الإنساني يؤكد عبث التاريخ ولا جدوى مما يحدث حولنا . فكل شيء ممزق وفارغ من محتواه وبلا معنى . وفي مواجهة هذا العبث لا يملك المرء إلا الضحك من قلب ممزق حزين باك .

وهكذا ظل أونيسكو يحاول إبراز هذه الوحشية التي تسكن البشر فنرى على المسرح أبطالاً يعانون الوحدة والسأم والضجر والاعترا ب ، إنهم فئة عاجزة عن التواصل مع الآخرين واحاسيسها مبتورة فاترة مصابة بالشلل وعندما يحاول الأبطال البحث عن وسيلة للتواصل والإحساس بالتعاطف مع الآخرين يتساقطون ويتحطمون وتتكرر أحلامهم وتتلاشى طموحاتهم ويعيشون في لحظات تهددهم دائماً وإما بالموت بالانتحار .

وحين يواجه المشاهد هذا التوتر والتناقض واللامعقول في العمل المسرحي فإنه يبحث عن الحياة المحكمة النظم القائمة على أسس ومبادئ أخلاقية وقوانين معقولة .
ويقول أونيسكو :

إنني أعرض العالم الخفي الداخلي في أعماق الجماهير تلك محاولة لفهم الكون وإيجاد نغمة انسجام وتوافق مع العالم حين ترفضه وتناقضه.

ولذلك يلاحظ المشاهد أن ما يحدث على خشبة المسرح مشاهد مروعة وغير مقنعة ، وقد يستاء ويغضب وينتابه الملل و يدفعه هذا الإحساس إلى التفكير في حياة أخرى .

في مسرحية «أميديه» زوجان لم يغادرا بيتهما منذ سنوات وفي حجرة نومهما جثة متعفنه ربما تكون جثة عاشق الزوجة الذي قتله الزوج أو جثة لص حاول اقتحام الغرفة . والجثة تنمو وتكبر حتى تندفع قدم ضخمة من حجرة النوم وتهدد الزوجان بالطرد خارج البيت .

وفي مسرحية « المغنية الصلعاء » تقول البطلة : إنني أفضل أن أبيض بيضة على أن أسرق بقرة . وهنا يفكر المشاهد في هذا العبث الذي يقع على المسرح ويرفضه ويحاول أن يجد طريقه للخلاص من هذا الوهم وتلك المأساة .

لقد عاش يوجين أونيسكو طفولة قاسية مع أمه الفقيرة بعد وفاة أبيه ، وشاهد كيف تعاني أمه في الحياة وحدها من أجل الرزق الحلال ، ومع ذلك لم تنج من وحشية المجتمع وسفاهة أناس لا ترحم كأنهم حقاً وحوش ضارية لا يعرفون سوى غرائزهم الحيوانية . ولا شك أن هذه الطفولة قد تركت آثاراً في إبداعه المسرحي .

ويقرر أونيسكو بأنه فشل في التلاؤم أو التناغم مع الحياة حوله ، ولعل الحروب والهجرة وبشاعة النظم الأوروبية الاستعمارية قد شكلت موقفه ضد أساليبها ومبادئها الزائفة .

وقد تأثر أونيسكو بكتابات كافكا وراسين ودستوفسكي وأندريه جيد وجوستاف فلوبر ويعتبر أحد رواد مسرح اللامعقول مع صموئيل بيكيت وجان جينيه وأرثر أداموف وفرناند أربال وقد آمن بكلمة شكسبير التي يقول فيها :

إن العالم قصة أبطالها مجانين يرويها أبله



أوكتافيويث

(ولد ١٩١٤)

شاعر من المكسيك نشأ في أسرة ثرية دفعته إلى القراءة المبكرة في الأدب والفنون .. فاتجه إلى الشعر وعشقه حتى بدأ يكتب بعض القصائد متأثراً بأعلام مدرسة الشعر الرومانسي الإنجليزي وهم :شيلي ووردز ورث وبايرون . وكذلك اهتم بالشعراء الثوار الراضين للطغاة والصارخين دائماً بالشعر الغاضب الذي يمجّد ثورة الإنسان على الظلم وتأييد الحق ومناصرة المسحوقين والبؤساء .

تأثر كذلك بأعلام المدرسة الفرنسية مثل أراجون وإيللواروبيكيت وآرتو وأبولينير ويقول :

— إنني حين أكتب قصيدة ما لا بد أن أجسد فيها مصير البشر ودور الإنسان في انتصاره على العدم والهلاك .

أنهى دراسته وعمل في السلك الدبلوماسي وزار بلاداً عديدة واقترب من وجدان الشعوب وأحلامهم في الحرية والسلام والحب . وقرأ ثقافات وتراث هذه البلاد التي عاش فيها ، وأصبحت ذاته منشورة في جذور الشعوب في كل مكان .. وقضيته الحقيقة لا تكمن في ما يدور داخل بلاده ، ولكن العالم بأسره .

وفي عام ١٩٦٨ عندما كان سفيراً لبلاده في الهند قامت مظاهرات بقوة السلاح والرصاص مما أدى إلى تساقط القتلى بالآلاف على الأرض . وفي الحال استقال الشاعر أوكتافيويث من منصبه وقرر أن يضم صوته إلى حناجر شعبه ويعري فضائح حكومة بلاده التي استخدمت الإرهاب والقتل والذبح علناً في الشوارع ضد الشعب الأعزل من كل شيء سوى صوته ويقول :

إذا ما الضوء الأبيض حقيقي

من هذا المصباح

وحقيقة اليد التي تكتب

فهل حقيقة العينين

اللتين تنظران إلى ما أكتب ؟

من كلمة واحدة لأخرى

يتلاشى ما أقول

أعرف أنني حتى بين هلالين

يحاول باث في شعره أن يجسد لك الصور المجردة بحيث يخيّل لك أنك تلمسها ، فهو لا يلجأ إلى المباشرة أو الصور البسيطة وإنما فكرة ترتج في ذهنه ويبدأ في تشكيل عناصرها في معان مختلفة ومختفية أحياناً ولكنها ليست إلى حد الغموض المبهم .
إنه شاعر الغموض الساحر وتحويل الاحاسيس الإنسانية من حب وخوف وتمرد وغضب وثورة ورفض واجتياح وإعجاب بجمال الطبيعة إلى أفكار زاهية أمامك واضحة كل الوضوح وأيضاً غامضة كل الغموض فيقول :

يداي تفتحان ستارة كينونتك

تلبسانك بمزيد من التجرد

تعريان أجساد مشاعرك

يداي..

تبدعان جسراً آخر

لجسلك

ويحاول في قصيدة أخرى التعبير عن عالمه الداخلي ولحظات اليقين بالحب والاضطرار والفرح والموج والكوكب المضيء من خلال رموز تطرحها امرأة ما ، يقول :

هناك شجرة واقفة

وهناك شجرة تمشي

نهر أشجار يضرب صدري

إنه الفرح والتموج الأخضر

تلبسين الأحمر

خاتم السنة المشتعلة

ومن أجمل قصائد الغضب والثورة يقول :

نحن باقون ضد الطفاة

نحن اللهب المستعر ضد الخونة

نحن الانفجار الكبير ضد أعدائنا

نحن باقون حتى الموت على أرضنا .



أنطونيو أوغستينونيتو

(١٩٢٢ - ١٩٨٢ م)

شاعر ناثر من أنغولا وقف ضد الاستعمار البرتغالي وكتب قصائد وطنية حماسية تدعو إلى النضال والحرية .

ولد في قرية « كاكزيكان » القريبة من العاصمة « لواندا » وأنهى دراسته الثانوية وعمل في الخدمات الصحية ، شارك في تأسيس جمعية ثقافية أصبحت ذات نبرة وطنية واضحة .

سافر الشاعر إلى البرتغال لدراسة الطب في جامعة « كواميرا » ونشر قصائد تحمل عذابات قومه المقهورين فقامت السلطات البرتغالية باعتقاله بينما كان يجمع توافيع لدعم مؤتمر السلام العالمي الذي عقد في أستوكهلم . وأفرج عن الشاعر ثم اعتقل مرة أخرى من ١٩٥٥ حتى ١٩٥٧ ، بعد وساطة لجنة العفو الدولية تم الإفراج عنه . في عام ١٩٥٩ أنهى دراسة الطب وعاد إلى أنغولا وتزوج الشاعرة ماريا أوجينيا .

ظلت أنغولا تعاني الارهاب البوليسي والعنف السياسي حيث أحكم المستعمر قبضته على .. البلاد فقام نيتو بالانضمام إلى حركة التحرير الشعبي عام ١٩٦٠ .

وقبض عليه مرة أخرى وأودع في السجن وقامت السلطات بقتل المواطنين وإحراق القرية فخرج الأهالي في ثورة عارمة ضد الإرهاب وتم إبعاد نيتو إلى « لشبونه » ليسجن هناك .

ووجهت حركة التحرير الشعبي نداء إلى المقاومة بالكفاح المسلح . وقام الثوار بالتوجه إلى «سجن لواندا» لإطلاق سراح زعمائهم وواصلوا النضال ضد القمع والقتل والموت . وتمكن نيتو من الهرب من سجن لشبونه وعاد إلى وطنه مرة أخرى وأصدر مجموعات شعرية هي الأمل المقدس .

وقام المؤتمر الرابع لكتاب أسيا عام ١٩٧٠ بمنحه جائزة لوتس لتتويجاً لنضاله الوطني وتقديراً لفهم رسالة الأديب أو الشاعر .

يقول نيتو :

إن رسالة الأيب والشاعر هي أن يحول الرغبة إلى قوة فعالة وذلك عن طريق الكشف والتوعية وأن يحول الساكن إلى متحرك والمهزوم إلى مناضل والعبد إلى سيد والمحروم إلى مطالب بحقه ولو بالقوة .

ويقول في إحدى قصائده عن الزنجي المستعبد :

مبيع

غضوب من أشغاله الشاقة

مجلود من الناس

معاقب في المدن الكبرى

مسلوب في آخر فلس

مهان حتى الغبار

مغلوب على أمره دوماً وأبداً

مجبور على الخضوع للناس

ضال فقد وطنه

جعلوه يقلد حركاتهم

وروحه تغاير أرواحهم

خرقة بالية سوداء

ضائعة في الزمان

منعزلة في الفضاء

حين يعقد وزرته

يتهامسون

فتمعن روحه في التواري

في صمت العبارات المقعرة

فياله من زلجي يائس

يدعى الشعراء إنهم إخوته

وفي قصيدة أخرى يقول :

تمثل في خاطري

دروب لم تطأها قدم

تتناهى إلى سمعي أصوات نائية

لأناس ما تغنوا أبدا

تساور ذهني أيام هائلة لم أعشها

أهب فيها جسدا

لحيوات لم تكن أبلارل

وآرنو إلى ضياء

لا ألقى فيه سوى ظلمات



الشاعرة البولندية
فيزلافا سيزيمبورسكا
(١٩٢٣ - م)

منحت جائزة نوبل في الأدب عام (١٩٩٦) للشاعرة البولندية فيزلافا سيزيمبورسكا. وقد توجهت الشاعرة إلى السويد وتسلمت الجائزة من الملك في الاحتفال الذي يقام لهذه المناسبة وتعتبر الجائزة هي السادسة للحائزين عليها من بولندا .

إن أول سيدة بولندية حصلت على هذه الجائزة في مجال الفيزياء عام ١٩٠٣ والثانية هي السيدة ماري كوري عام ١٩١١ . في عام ١٩٨٣ منحت الجائزة إلى ليش ويلزا في السلام .

أما في مجال الأدب فتلك الجائزة هي الرابعة حيث حصل عليها عام ١٩٠٥ هنريك سنكلير عن روايته «كوفاديس» التي عبرت عن الروح البولندية في صدق وإبداع متميز حقيقي . وفي عام ١٩٢٤ حصل على الجائزة الأديب البولندي ويلاويسلاوا عن روايته «المزارعين» وفي عام ١٩٨٠ منحت للشاعر والأديب سيزيسلاو ميلزوز .

وفي المرة الرابعة تكون الجائزة أيضا لبولندا للشاعرة فيزلافا سيزيمبورسكا حيث جاء قرار اللجنة : بأن أدب هذه الشاعرة يسمو إلى مستوى عال معبراً عن الروح الإنسانية للشعب البولندي هذا بالإضافة إلى رغبته الحميمة في تحليل قضايا الإنسان من خلال المجتمع البولندي .

وجاء أيضاً في قرار اللجنة بأن أدب فيزلافا يرقى إلى شاعرية ونبضات موسيقية حاملة كأن موزارت يعزف ألحاناً عذبة جميلة ، بل أن الشاعرة أيضاً مزجت هذه الأشعار بوهج بينهوفن .

عندما تلقت الشاعرة فيزلافا خبر حصولها على جائزة نوبل كانت تجلس في بيتها تكتب قصيدة جديدة . وغرقت في بحر من الصمت لبرهة ثم قالت في دهشة وغرابة وكلمات متكسرة يشوبها التلعثم :

— لا لا أستطيع أن أتكلم . . . لا أستطيع أن أخبر عن إحساسي ، ماذا أقول ؟ سوف أظل مدة طويلة

أعيش ضد رغبتني حيث لا بد أن ألتقي بوسائل الإعلام ووكالات الأنباء وأنا أعشق العزلة والصمت والسكون .

وهكذا كان رد فعلها عندما علمت بالخبر لأول مرة .

ولدت فيزلافا في ٢ يوليو ١٩٢٣ في مقاطعة بوزنان ويعد الحرب العالمية الثانية درست علم الاجتماع والأدب البولندي في إحدى أكبر وأقدم جامعات بولندا الشهيرة وهي جامعة جاجيلونيان التي تأسست عام ١٣٦٤ .

وأول قصيدة كتبتها عام ١٩٤٥ وعنوانها : "ابحث عن العالم" . ثم جاء الديوان الشعري الأول عام ١٩٥٢ واسمه : "لهذا السبب نحن نعيش" . وقدم هذا الديوان ملامح من أفكار الشاعرة البولندية تجاه الحروب وأزمة الإنسان وفقدان القيم والتعلق باهداب الآمال وشق درب المستحيل وإعادة بناء الحياة .

وأصبحت في نفس العام عضواً في جمعية الأدباء البولنديين، وأصدرت مجموعتها الشعرية الثانية عام ١٩٥٤ وهي : تساؤلات لذاتي . ويرى النقاد أنها في هذه المجموعة قد بدأت تتميز بأسلوب خاص ورؤية متفردة .

أما نقطة التحول في حياتها فقد حدثت عام ١٩٥٧ في كتابها الرائع « صرخة نداء إلى يوتي » حيث برزت القيم الشعرية السامية والبحث عن مصير الإنسان والتعاطف مع هؤلاء الذين فقدوا الطريق ونهاووا وضلوا في لجج الضياع وانكسرت أحلامهم . وتوالت مجموعات شعرية أخرى منها : "ضحكات الملايين" و"حالة طارئة" و"الرقم الكبير" ، والمجموعات الشعرية الأخيرة صدرت عام ١٩٩٣ وهي : "النهاية والبداية" .

وقد اتجهت في بداية الستينات إلى كتابة الشعر الحر والتعبير عن صورة الإنسان وعلاقته بالكون والطبيعة .

والشاعرة فيزلافا تعمل أستاذة للأدب البولندي في الجامعة وهي تتميز بثقافة عالية وحس إنساني كبير ، ورغم شهرتها فإنها خجولة لا تحب الضجة الإعلامية حول أعمالها أو شخصيتها . وقد ترجمت أعمالها الشعرية إلى ٣٦ لغة وحصلت على عدة جوائز أدبية من وزارة الثقافة البولندية ونادى الأدب وجائزة جوته ومنحتها إحدى الجامعات البولندية الدكتوراة الفخرية كما أن قصائدها يدرسها الطلاب في المدارس الثانوية ضمن المنهج المقرر عليهم .

ترى فيزلافا أن الشعر لا يمكن أن نحده في كلمات ومن الأفضل للمبدع أن يعايش إحساسه الداخلي ويعبر عنه بصدق أكثر من محاولة البحث عن معنى لهذا الإحساس . فالشعر في كل مكان وزمان ونحسه في الفنون التشكيلية والتصوير والنثر والرواية والقصة القصيرة ، بل نحن نحيا تجارب شعرية خصبة ولذلك نتجه إلى التعبير عنها وليس البحث عن معنى لها .

وتضيف الشاعرة قائلة : إن العالم يصبح شيئاً مختلفاً عندما يتحول إلى شعر فإذا كان العلماء قد قرروا أن الأرض كروية أو مستديرة فإنها في نظر الشعراء قد تكون مسطحة أو مربعة وتدور فوق رؤوسهم مباشرة .

أما عن إتجاهاتها الفكرية أو الأفكار التي تخوض فيها شعرياً فتقول : إن ما يشغلني هو الإنسان في المجتمع المعاصر سواء في السياسة أم التاريخ أم الاجتماع واعتقد أن هذا أيضاً ما يشغل ذهن الأدباء المبدعين في الغرب وبولندا .

إن موقف الشاعرة فيزلافا من الإنسان موقف يفيض بالتفاؤل والآمال العريضة والطموحات التي بلا حدود لأن الإنسان ليس إلا جزءاً من هذا العالم ولا بد أن تمتد مشاعره وإنجازاته الإنسانية لتتوحد بالكائنات الأخرى ويحلم معها بالخير والحب والسلام .

وليس هناك تميزاً لكائن عن آخر في الطبيعة والكون الكبير حتى النباتات الصغيرة والحيوانات الكبيرة والافلاك السابحة في الفضاء إنها جميعاً تشكل وحدة متكاملة مع الكائن المعاصر . والإنسان مشهود حيوي من مشاهد الطبيعة ومن هنا تأتي ثورته من أجل الحق والعدل والجمال والحرية ومقاومة الطغاة ، والمستبدن الذين يحاولون بتر من اعماق الطبيعة .

ومن ناحية أخرى ليس هناك في شعر فيزلافا عداً بين الطبيعة والعلم أو بين الروح والطبيعة ويمكن للفرد أن يجد الخلاص من أزمته الروحية إذا كان متوافقاً أو منسجماً مع هذا الكون .

وفي قصائد فيزلافا إحساس دائم بالفقدان هذا الإحساس النابع من عشق حميم للأرض والمدائن المندثرة التي فقدت في الحروب والدمار الذي اجتاح العالم . فإن هذه المخلوقات التي اندثرت كان يمكنها أن تملأ العالم سحراً وجمالاً مثل مدينة «أطلانتس» وهي رمز للحلم البعيد . وقد كتبت الشاعرة قصائد كثيرة في هذا المجال ومنها قصيدة تحمل اسم مدينة اطلانتس .

ولم تكن فيزلافا تهرب إلى عالم الحلم ضجراً من الواقع وإنما محاولة لاستعادة الحلم المثالي أو المدينة الفاضلة التي تحدث عنها توماس مور والفارابي وصورتها العقائد الدينية . فالحلم هنا

تجاوز لحدود المكان والجسد والزمان .

أما عن قضية الحب في شعر فيزلافا فإنه الحب الروحي الخرافي ، دفء عاطفة عميقة شجية
ثرية بالرؤى والتفاصيل الدقيقة عن مصير الكائن البشري ومواجهته للعدم والرماد حين انفصل
عن الطبيعة وتلوّث روحه وتزيّفت الحقائق وعجز عن التواصل والخروج من خلف ركامات
الاحزان وإرثه العتيق .

وتلك قصائد من الشاعرة فيزلافا سيزيمبورسكا البولندية الحائزة علي جائزة نوبل لعام ١٩٩٦

* عودة :

عاد إلى البيت ولم يذكر آيا من الأشياء

رغم أنني كنت صفحة بيضاء

حدث شيء غير مفرح

في سريره دفن رأسه تحت الغطاء

لم ركبته

كان في الأربعين

ولم يكن يبدو عليه

إنه يحيا كما لو كان في بطن أمه

يقط في سباته ونومه

في ظلام داس

غدا سيلقي محاضرة في التوازن والائزان

وفي علوم المجرة والألوان .

* قصيدة الرابعة صباحا :

من الرابعة حتي الخامسة

ساعة ولادة الضوء من الظلمة الدامسة

تمثل الثلاثين الفاتنة

تزحف الساعة مع صياح الديكة ساعة تخذلنا الأرض

ساعة تهب الريح من النجوم الخافتة

ساعة لم يبق لنا أثر

سوى التسليم للقدر

النور الزخير من الساعات الأخرى

لا أحد يشعر بالرفاة

عند الرابعة صباحا

فإن النمل كان يتشكل

مرحي مرحي للنمل

ولتأت الساعة الخامسة

إن كنا سنستمر في الحياة

✽ مديحا لأختي :

أختي لا تكتب شعراً

لكن يبدو أنها ستبدأ ذلك فوراً

لقد ورثت ذلك عن أمها

وعن والدها الذي لم يصنع الشعر قلائد

في بيت أختي أشعر بالاستقرار

لا شيء يحث زوجها على كتابة الأشعار

رغم أن الأمر يبدو كإحدى قصائد آدم ماكدونسكي

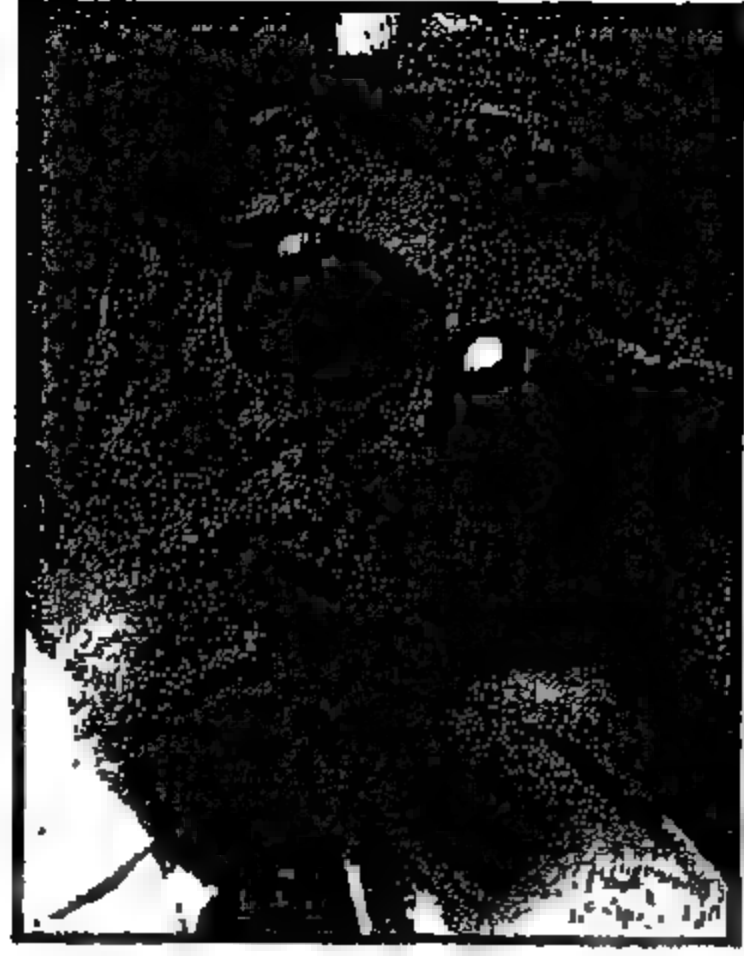
فلا أحد من أقاربي يحفل بكتابة الشعر

وفي مكتب أختي لا يوجد هذا الأمر

لا قديم لديها

ولا جديد في حقيبة يدها

وعندما تدعوني إلى العشاء
لا تقرأ الشعر بل تصنع رائع الحساء
بلا تجريب
وتعد قهوة بلا دلق أو تخريب
عائلات كثيرة لا أجد فيها من بالشعر يحفل
إن حدث فشخص واحد يفعل
فأحياناً تجود بالشعر الأجيال
تشكل ظواهر مرعبة في العلاقات الأسرية والأحوال
أختي تبذل نثرًا راقياً
خاصة على بطاقات التهنئة
وذلك يشير بعودتها كل عام
وعندما تعود ستخبرنا بكل شيء
بكل شيء



جون اسبون

(١٩٢٩م)

الأديب الإنجليزي جون أسبون رائد حركة الغضب والسخط والرفض وأعلن عن ذلك في مسرحيته « انظر وراءك في غضب » حيث يقف البطل جيمي بورتر في وجه الجمهور ويصرخ غاضباً :

— اللعنة عليكم جميعاً ...

هذا بطل فقد قدرته على الحياة ، لم يعد هناك ما يثيره أو يدعو به إلى النضال أو يدفعه إلى الثورة ضد الظلم ، لقد سقطت القيم والمعاني الجميلة ، ولم يعد هناك يقين يؤكد بأن من يعيشون على هذه الأرض من سلالة البشر .

ويعود بطل المسرحية يقول :

— دعونا نتظاهر إننا بشر. دعونا نتخيل أننا بشر ولو لفترة قصيرة ..

إن ثورة جون اسبورن من أجل محنة الفرد في مجتمع الهشاشة والتفاهة والقشور بحيث أصبح عاجزاً عن تحقيق معنى جديداً بعد أن دمرت الحروب والشعارات الكاذبة كل الطموحات النبيلة .

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد سيطر السفهاء والتافهون والمخربون والأدعياء والصوص على وكالات الإعلام ومنافذ النشر والصحافة وتحول الجنس والمال والنفوذ إلى لعبة لاضطهاد الشرفاء واصحاب المواقف والرسالات الكبرى .

ولذلك يقول صديق جيمي بورتر في المسرحية :

— ليست عندي الشجاعة لأعتمد على نفسي .. أنا إنسان تافه جداً .

وهذا يرمز إلى واقع المجتمع الذي يسخر منه الكاتب ، وتبدو كذلك زوجة جيمي بورتر امرأة

من الطبقة الثرية التي لا هدف لها في الحياة سوى إشباع ملذاتها . ويثور ضدها البطل ويوجه الالهات ويحاول تحطيم ما في داخلها من قيم هذه الطبقة العفنة واساليبها المادية المخزية ، حتى تقرر الزوجة في النهاية أنها خسرت القضية وتنحاز إلى فكر زوجها البطل المأزوم وتنهار أمامه مستسلمة لصرخاته وكأن وعيها قد تفتح وفكرها قد استنار .

عاش الأديب المسرحي الساخط جون أسبورن فقيراً يرى والده البائس الحزين يصارع المرض والفقر الذي اهلكه . وبعد رحيل والده عاشت أسرة جون أسبورن في معاناة أليمة ومرارة وحرمان حتى اضطر أن يعمل حمالاً وهو مازال فتى .

واستطاع خلال رحلة كفاحه أن ينضم إلي أحد المسارح ممثلاً صغيراً ثم اتجه إلى كتابة المسرحيات .

وقدم مسرحيته « انظر وراءك في غضب » عام ١٩٥٦ بعد هجوم إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر وإذا بالمسرحية تصبب اللعنات علي سياسة إنجلترا المتناقضة والواقع القاسي الذي يسيطر عليه أصحاب الأموال والثقافات الزائفة والصحافة المأجورة والأرستقراطية المتعجرفة الساقطة .

ويقف بطل المسرحية ليعلن أن كل المبادئ التي كانت تنادي بها بريطانيا العظمى قد سقطت بهجومها على مصر وسياستها تجاه الشعوب الأخرى .

ويصرخ بطل المسرحية في وجه الجمهور ليثير انفعالهم ويحرضهم ضد الفساد ويهاجم آراءهم وسليبتهم ويدعوهم إلى الغضب علي حياتهم وواقعهم المنهار .

إن اسبورن استيقظ فجأة ليوواجه بلاده وهي تحتل مدينة بورسعيد وتضربها بالمدافع مع فرنسا وإسرائيل عام ١٩٥٦ .

«إن كل ما يتعلمه الأبناء من قيم الحرية والديمقراطية ونبل السلوك والقيم الأصيلة لا وجود لها في الحياة البريطانية ، وحرب السويس وبورسعيد خير دليل على ذلك لأنها حرب ضد المثل العليا..»

وكتب اسبورن مسرحي «المهرج» لتعلن هذه الأفكار على الجمهور .

اسبورن أحد الكتاب الشبان ، عبر عن واقعه بحرية وجرأة وشجاعة ، فصور إبطاله على المسرح يعانون من الشقاء والبؤس الاجتماعي نتيجة هذه الأساليب السياسية التي تنتهجها بريطانيا ، فإذا أصبح العنف والشر والقبح وسيطرة المال ونفوذ الأثرياء والقوة هم المبادئ السائدة في المجتمع فقد أعلن رفضه التام لهذا السائد حوله وقدم في مسرحيته «انظر وراءك في غضب» صورة لهذا

الرفض والسخط .

قُدمت المسرحية على البلاط الملكي في ٨ مايو ١٩٥٦ لتوضح أن هناك انشقاقاً يتمثل في الفصل بين النظرية والواقع . فالقادة الكبار يقولون وينادون بمبادئ وشعارات كبيرة وعظيمة ولكنهم ينفذون شيئاً آخر . وتحس أن اسبورن في مسرحيته تلك عنيف جارح حتى إنه جعل بطل إحدى مسرحياته يصبح في وجه الجمهور :

اللعة عليكم جميعاً

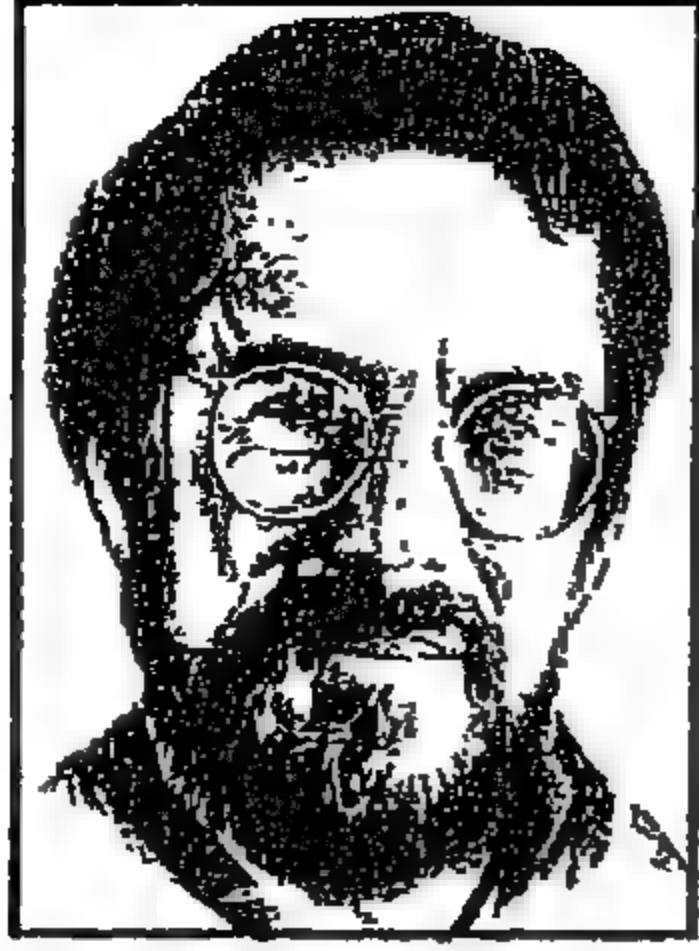
كان المشاهد يرتعد حقاً في مواجهة هذا العالم المسرحي أو اللا مسرحي ، مواقف واقعية أو هي مسرح اللا واقع . الفن يغمر كل مكان على المسرح . تذوب الفواصل بين الجمهور والشخص المسرحية ، يصبح المسرح أداة أو مرآة التغيير حين يرى المشاهد بشاعة وجه حياته ودوره الهابط الساقط مع الآخرين ومع ذاته .

إن مسرحية «انظر وراءك في غضب» تقدم أيضاً بطلاً فقد متعته للحياة ، وكل شيء ساكن حوله لا يثير عواطفه أو أفكاره إنه يتجرد من أحاسيس البشر ، يتلاشى وحيداً في الظلمات ولا يدري هل حقاً يتألم أم فقد القدرة على الإحساس بالوجع ، ينزوي إلى الأشياء من حوله فيراها غريبة لا تمنحه الدهشة أو البراءة أو الإحساس بالجمال . وكأنه جاء إلى هذا العالم غريباً دون أن يدرك حقيقته من قبل . أنه عالم يتساوى فيه مع الأشياء التافهة والمهدورة الإرادة والمطموسة المعالم.

إن جون اسبورن يمثل الكاتب الملتزم بقضايا بلاده ومحاولة الإشارة إلى الخلل الذي انتشر وأصبح يحاصرنا في كل مكان . وهذا الكاتب قد نشأ فقيراً ورحل عنه والده وهو ما زال طفلاً .

لقد ذاقت أسرته الفقر والمرض والتنقل بين المصحات العلاجية . وعاش اسبورن مع الفقر في صراع دائم حتى بدأ يقرأ ويهتم بالمسرح . فانضم عام ١٩٤٨ إلى فرقته للتمثيل وكتب أول مسرحية حققت نجاحاً كبيراً ويقال أن المسرح الذي قمت عليه هذه المسرحية أعاد له مكانته المادية وفتح أمامه أبواب الثراء إذ كان هذا المسرح على وشك إغلاق أبوابه وإعلان إفلاسه للجمهور .

وانضم إلى اسبورن مجموعة من الشبان الأدباء كان هدفهم مهاجمة هذا الواقع وإيجاد مساحة نقية للفرد المعاصر ليمارس حياته بشرف وكرامة وكبرياء وقد هاجموا كل شيء : السياسة ونظم الحكم والصحافة والفن وضيق عقول الناس وتجمدهم وتعاليتهم دون سبب وهاجموا المنافقين السفهاء الذين لا يبحثون إلا عن مصالحهم الذاتية حتى قامت إنجلترا بالاعتداء على مصر عام ١٩٥٦ مع فرنسا وإسرائيل فكان الانفجار الكبير في مسرحية : «انظر وراءك في غضب» .



دانيال مور

(١٩٣٠ م)

الشاعر الأمريكي دانيال مور كان في زيارة إلى المغرب والتقى هناك بالشيخ محمد بن الحبيب الفاسي وتعرف على الإسلام من خلاله وظل يقرأ في السيرة والفتوحات الإسلامية والحديث الشريف والقرآن الكريم والتفسير وبدأ يشعر أن روحه تتأثر ونفسه تتوق إلى هذا النور الذي غشى روحه وشفى ذاته فأعلن إسلامه في المغرب وعاد إلى أمريكا يحلم بمجتمع أمريكي أكثر إنسانية وعدلاً .

وكتب معبراً عن هذا النور في داخله ، ويقول في إحدى قصائده الإسلامية :

عند تلاوة القرآن الكريم

جهرًا في صلاة الصبح

أدرك أن هذا الخلق لم يخلق

إلا لقراءة القرآن

اسمع رجفة في القلب

مندفعًا كجوف النبع

اسمع أحلك الأصاقي من روعي

تشر ملامح مائة الألحان

فأصرف كيف ينبغ

حول نشيدها الإنسان

كمنزل سبية خلقت من الإحسان

فزادك وجهها حسناً
برجع تلاوة السور
كم أحكمت يا رباه
خلق جوارح الانسان للقرآن
فصار غشاؤه الحجرة وكم يحلو
لهذا الثغر بعد الفجر
الإنشاد والترتيل

بدأ دانيال مور يوجه انتقاداته للنظام الأمريكي السائد وأصبح شاعر الإسلام في اللغة الإنجليزية وتعلم اللغة العربية ليقراً كتب التاريخ الإسلامي في لغتها الحقيقية ولكنه ظل بعيداً عن ذاته باللغة الإنجليزية . وأصدر ديواناً من الشعر يحمل قصائد أغلبها عن شهر رمضان وتجربة الصوم وإرتفاع روح الإنسان فوق مستوى الواقع المؤلم الذي تعايشه البشرية كل .

يوم وفي الحقيقة لم يكن دانيال مور راضياً عن المجتمع الذي نعيش فيه قبل إسلامه وقد عشق العزلة والتأمل في الليل ، ولم يكن يدري أين الخلاص من هذه الأزمات التي تعصف بروحه ولذلك عندما سافر إلى المغرب وانفتح بعقله عن الإسلام وحواسه ومشاعره أيقن أن هذا هو باب الخلاص وسكينة الروح واستقرارها الأخير .

يقول عن الصوم في شهر رمضان في قصائده :

وأخيراً فرض الله الصوم
واستحضر الروح
وسألها أن تسمو فارتجفت وسمت
وسألها أن تنأى فارتجفت ونأت
وسألها أن تدنو فارتجفت ودنت
بالصوم انكسرت شوكتها
صارت أمة الله

وتحولت قصائد دانيال مور إلى لغة شفافة تنشر معاني القرآن الكريم وتتجاوز مستويات الحياة وماديتها . ومضى الشاعر لا يكثرث لهذا العالم الغارق في البؤس والشقاء الأزلي .. إن وحدة الوجود وانصهار الإنسان في تجربة مثالية شفافة لا يصح لها إلا الدخول في الإسلام ، لقد توحدت الروح بالنور القادم من السماء .
ويقول أيضاً من خلال تأملاته :

إلى الحضرة يلتو العاشق الولهان

في حذر

ويسبقه إذا ما لاحت الأنوار

ويشعشع وجهه المهزول في خطف من الألق

ومن يقرأ قصائده قبل إسلامه يدرك أنه كان يغني في شجن داخل صحراء النفس الخربة ومن عناوين قصائده تلمح ذلك : القلب المحترق ، مرثاة لموتى الحرب ، جسد النور الأسود .. في هذه القصائد نعي الحضارة الأوروبية الحديثة وقدم رثاءه إلى الاكتشافات العلمية التي تفخر بها أمريكا ولكنها دمرت الإنسان وحولته إلى آلة ومسح جديد .

وبعد إسلامه أصدر هذه الأعمال الشعرية :

الصحراء باب النجاة ، ورد ومولد ، حوليات الآخرة ، صاح كما لم أصبح من قبل .



ألبير كامو

(١٩٣١ - ١٩٦٠ م)

الحياة لا تستحق هذا العناء ، تريث يا صديقي واهداً ، ليس هناك ما هو غال ، أو مشمر ، أو جدير بالاهتمام ، نحن نطفوا على موجة القدر ، وتسحقنا المحن فلا نملك أن نردها ، وتذبحنا الكوارث فنهوى من عل ممزقين .

هكذا يصبح أحد روائي الغرب الحديث وهو الأديب البير كامو الذى ذاق مرارة الخضوع للمستعمر وعاش النضال السياسى ليحقق الحرية لبلاده فرنسا . ولأنه ولد فى الجزائر فجاءت إحدى رواياته وهى (الطاعون) لتسرب فكرة القدرية والعشبية فى أذهان القراء ، فالمرء فى عالم لامعقول ؛ لا جدوى من النضال أو الكفاح أو حتى الصراع مع الحياة . إستسلم أيها الانسان . فلا فائدة .

ولذلك تقرأ فى رواية الطاعون عن الجرذان التى هاجمت المدينة وانضم الناس فى عمل كفاحى مشترك لطردها عادوا بعد الأزمة الى عاداتهم وخمولهم .

كذلك البطل فى رواية (الغريب) تموت أمه ويذهب للقاء حبيبته وفجأة يرى نفسه متورطاً فى جريمة قتل ، فلا يهتم حتى يواجه لحظة الإعدام وتكشف له الحياة بأنها ترتبط بالنضال الانسانى . وفكرة القدرية التى يعبر عنها البير كامو أقرتها من قبل المذاهب اليونانية وعبر عنها الأدب اليونانى فى أعمال سوفوكليس (أوديب ملكا) وغيرها ، ويظهر الانسان خلالها بلا ارادة أو قوة فكل شىء قد تقرر فى الغيب ولا يملك الانسان الحرية الكاملة لرفض واقعه .

ولذلك يقول البير كامو : لم نتعلم الحرية من الكتب ولكن من البؤس ، ورغم ذلك نتعجب من هذا الأديب كيف لم يدافع عن حرية الشعب الجزائرى وعاش فى وهران يبت نوعاً من الآداب التى تقتل عزة النفس وتبعث اليأس والتشاؤم فى الأذهان .. ومن الغريب أيضاً أن موته جاء فى حادث سيارة وكأن القدر كان يترصده ليسجل نهاية مفاجئة لأديب ظل يدعونا الى

التخلي عن مواقفنا لأننا بلا قيمة أو شأن ...

وإذا كان كامو يعتقد بأن الموت قد كُتب على الانسان وأن عليه أن يقاوم وجوده وبأسه فقد عبر عن ذلك في كتابه (أسطورة سيزيف) تلك الاسطورة اليونانية التى تصور شقاء الانسان وان حياته مجرد عبث فى عبث ولا جدوى منها فقد حكمت الآلهة على سيزيف أن يرفع الصخرة إلى قمة الجبل ثم تعود الصخرة وتنزل من القمة إلى القاع ويقوم سيزيف مرة أخرى بمحاولة رفع الصخرة إلى القمة ، وفى كتابه سيزيف هذا كتب البير كامو عدة مقالات عن قضية شعب الجزائر ووجه الإدانة لفرنسا وشعبها ولكن لم يكن دوره فعالا قويا فقد كان مجرد كلام فى كلام ويقول :

إن نفوس الفرنسيين مليئة بالحقد وهو حقد أسود أرفض أن أشارك فيه .. لقد كلفتنا هذه القضية كثيرا وما زالت تكلفنا.

ورغم هذه الكلمات لم يتخذ البير كامو موقفا مشهودا أو ثورى ضد احتلال فرنسا للجزائر، هذا الوطن الذى ولد فيه وعاش طفولته وعشق شوارع وبيئته الجميلة.

وظل كامو مهتما بالانسان وحده وقدرته على التصدى لهذا الشقاء الكبير الذى اسمه : الحياة . وكتب فى قصصه ومسرحياته ومقالاته يدعو إلى مقاومة الظلم والعبث وهذه السخرية التى تحيط بنا فى حياة ترغمنا على الانتحار والضياح والموت دون ثمن .

وفى مسرحياته (العادلون) عبر عن دعوته إلى مقارمة جنون الحياة وفى رأيه أن هذا الجنون يتمثل فى إدعاء الحرية بينما فى الأرض هناك من يعانى الذل والاستعباد من اجل الرزق . ان الحرية تصبح لا معنى لها إذا كانت شعارا يطلق فى الهواء .

ودعا كامو إلى التمرد على هذا الواقع الزائف والبحث عن الحرية الحقيقية التى تمثل القوة الحياتية المناضلة فى وجه السقوط والعنف والدمار والهزيمة ، وعلى الانسان المعاصر ان يبصر ما حوله بجدية ووعى وفكر متجدد يرفض كل ما يقف ضد كرامته وشرفه ، وقد نال البير كامو جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٧ لتلك الآراء والمبادئ الجريئة التى اطلقها من اجل تحرير الانسان من الخوف ويقول البير كامو:

إن اكبر معركة يجب أن يخوضها الانسان هى معركة مع نفسه.. معركة ينتصر فيها حب العدالة على شهوة الحقد وتستسلم فيها الكراهية والعنف والتعصب الأعمى لكل ما هو نبيل فى الحياة .



يفغيني يفتوشينكو

(١٩٣٣ - م)

في بداية الخمسينات صدحت قصائد يفتوشينكو بنغمة تختال في تنهداتها نبضات
ماياكوفسكي .. حيث الانتماء الوطني إلى أرض روسيا والحماسة الثورية والدفاع عن قيم الحب
والعدل ورفض الحروب والدمار الذي سحق المزارع والحقول واغتال الطيور في السماء .
كانت غنائيات يفتوشينكو تنتمي إلى قصيدة النضال والحرية والثورة على الطغيان والظلم
والعبودية وهذا التيار قد أبدع فيه معظم شعراء روسيا الذين واكبوا الثورة وعاصروا صور
الإقطاع وشاهدوا كيف يعاني الإنسان الروسي ويسقط تحت استغلال السادة الكبار .
يفتوشينكو شاعر يسكن وجدان بلاده ويمضي حاملاً رسالة للنور والريح والضياء الجديد
فوق العالم . ويقول :

أحببت روسيا

بكل جوارحي بلمي

أحببت أنهارها الفوارة في الربيع

والقابعة تحت الجليد في الشتاء

أحببت أنفاس منازلها الخشبية

وعطر صنوبرها

أحببت بوشكين ورازين

والعجائز والشيخوخ

والشاعر يفتوشينكو يقف رافعاً رايات الرفض والإحتجاج علي هذه الحروب التي دمرت بلاده

وأحالت الثلوج البيضاء إلى غبار ودم يسيل من قلب أبناء روسيا . إن الشاعر يؤمن بأن المجد الحقيقي للإنسان أن يبدع في وطنه ويحقق قيمًا جمالية وإنسانية للبشر وليس السيطرة والاستعمار ولذلك فهذا الشعب الروسي يرفض الحروب ويؤمن بالسلام والحب :

اسألوا الصمت

المخيم على المروج والحقول

اسألوا أشجار البتولا والخور

هل يريد الروس الحروب

اسألوا الجنود

الراقدين في المدافن تحت البتولا

فيجيئكم ابتائهم عن السؤال

هل يريد الروس الحروب ؟

ويكشف الشاعر يفتوشينكو عن مصير الإنسان وأحواله في الكون عارضا فلسفة قائمة على الغربة والاستلاب والبحث عن مصير جديد يموت فيه البشر بشرف وكرامة .

ويرى الحياة لعبة يفرضها الكبار على الفقراء المسحوقين ولا أحد قادر على إدراك دوره الحقيقي وتفسيره ، فمانحن إلا كائنات هائمة بخطاياها ، وفضائلها ولكنها عاجزة عن التواصل الحميم مع الآخرين وتلك مسألة أخرى يطرحها الشاعر في نغم حزين :

تلك هي أصول اللعبة التي لا ترحم أحد

الذين يموتون ليسوا مجرد بشر

بل هو الكاملة

نحن نتذكر الناس بخطاياهم وأفعالهم

ولكن ما الذي نعرفه عنهم في حقيقة الأمر

ويشعر الشاعر بالعجز عن الخلاص من أزمته وما يعانيه من وحدة واغتراب وتأمله لوطنه الكبير الغارق في الحروب والفواجع وتفشي الكآبة والانكسار في روح الشعب ، ويقرر :

أنا عاجز عن بلوغ الخلود

ولكن أملني كله

في بقاء روسيا

ففيها بقائي

وتتفاقم مشاعر العشق وروابط الانتماء العميق لوطنه ويتمنى أن يضحى ليحيا هذا الوطن
والأجيال القادمة :

لا يهمني أن تنسى روسيا

اسمى بعد حين

فالذي أريد

أن تبقى روسيا أبد الأبدين

هكذا يغني يفتوشينكو لحرية بلاده وخلصها من النزعات الدموية ويحلم بعصر السلام الذي
يخلق للإنسان مناخًا يمكنه أن يبدع ويتقدم ويواكب الحضارات العالمية .



شيريل أنور

(١٩٤٩ - م)

شيريل أنور رائد الشعر الحديث في أندونيسيا حيث بث في صوته صرخات المقاومة والنضال ضد الاحتلال الهولندي لبلاده ، وصدحت أشعاره في الآفاق تغني للمناضلين والثوار الأحرار والشرقاء المثقفين الذين أعلنوا الرفض للطغاة وقرروا أن يضيئوا المصابيح في ليل الظلم الدامس . ويعبر الشاعر شيريل أنور عن موقفه النضالي في صور شعرية تمزج بين الغناء في عشق الوطن وتحدي الموت والضيق والإصرار على زرع رابات الحرية في أرضه بلاده ويقول :

أما دنت ساعتني

فلن ابتغي أحداً يذرف الدمع علي

حتى ولا أنت

فما انتماهي بهذا الألم

أنا الثوري الخارج على القانون

الذي أبعد القطيع عن بلاده

أولول فآلهب الأفق

بلين أمامي وغضبتني

وتوغل الشاعر في وجدان شعبه وعاصر المحن والأزمات التي تمر بها بلاده حتى حققت الاستقلال والحرية ، ومن سماته الفنية هذا التعاطف والحنين مع آلام الشعب والانسحاب الرقيق في مشاعر الإنسان الأندونيسي فإذا كان أحد كبار الثوار المناضلين في غصبة العواصف وقصف الرعود فإنه من ناحية أخرى يتدفق بالركة والأحاسيس الرومانسية الدافئة ، يقول :

ثمة من مكان ما في هذا المساء

فتاة تمزج

بأغنية حزينة من بلاد قصية

ثمة ملامح تفرد في زرقة اليم

ثمة أناس صامدون

لنسيان أغلى ما تتوق إليه نفوسهم

وهناك سمة أخرى في أدب شيريل زنور هي تعمقه في التراث الشعبي لبلاده ، تلك الأغاني التي يرددوها الصيادون والأطفال والنساء حول الجزر وعلى ضفاف البحيرات واستطاع أن يستثمر هذا التراث الشعبي في بناء قصائده ، ولذلك يصور قلب فتاة حزين في لحظة انتظار للغد حيث يعود الملاح الغائب عنها وفي الحقيقة أن الملاح قد أطعمته الريح للبحر ولن يعود .
ويقول الشاعر :

ألا فلتكن الأغنيات إذن جميلة

أترى سئمي ذلك أخيتي

التي تلدف الدمع الذي يمزق كبدي

أترى سئمي أن الروح التي ما فتئت هاربة

ليست إلا أشد وحدة .

أترى سئمي أن النهار في أقاصي البلاد

لن يطلع أبداً

وقرأ الشاعر الأندونيسي شيريل زنور في الآداب الفرنسية والألمانية والهولندية ودرس الأدب العربي وتأثر ببعض أعلامه في العصور المختلفة ولذلك يقول :

— يظل الأدب العربي روحاً تسكنتي وتحفزني دائماً إلى الحلم الآتي .

وقد سكنه حقا بعض ملامح الحزن الذي ارتبط بالرحيل والفراق وتحولات الظروف وإستشهاد أبناء الوطن وغياب الجيبة وحلمه أن يرى بلاده تواكب الدول المتقدمة وأن تحقق لها

مكانة في العالم ، ونعمة الحزن نشعر بها من خلال هذه القصائد الفياضة بالأسى والألم.

ليس ثمة روح تطوف هذا للمساء

ملتزمة حباً بيناليوت العتيقة

ليس ثمة تلك الحكايا التي تسمى خلف

صواري السفن والحبال

ليس ثمة سفن شراعية وزوارق

ملدنة لريح رخاء

تخادعها بموجة منبعثة من عرض اليم

وقد ولد الشاعر شيريل أنور في جزيرة سومطرا وتأثر به أبناء شعبه وسكنت قصائده في
مشاعرهم ترتعش لها الأفتدة وتخفق الأرواح .

المراجع والمصادر

- ١ - صرخات في وجه العصر . جلال العشري ، دار المعارف .
- ٢ - كتاب الشعر الفرنسي . بول شاوول . دار الفارابي ، بيروت .
- ٣ - ادباء القرن العشرين . د. نبيل راغب .. الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨ .
- ٤ - مختارات من الشعر الإنجليزي . حكمت تلحون ، دار الحداثة ١٩٨٥ .
- ٥ - الشعر العالمي . سليم مكرزل . مؤسسة عز الدين للنشر ١٩٨١ ، بيروت .
- ٦ - المعجم الأدبي . صبور عبد النور .. دار العلم للملايين ١٩٨٤ ..
- ٧ - عريف بالرواية الأوروبية . د. سيد حامد النساج . الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ .
- ٨ - شموع لا تنطفئ . منير نصيف . دار العلوم ، الكويت .
- ٩ - مختارات من الشعر السوقي . عبد الرحمن الخميسي ١٩٨٥ .
- ١٠ - من الشعر اليوناني الحديث . إلياس معوض . طلاس للنشر ١٩٨٤ .
- ١١ - في رياض الشعر العالمي . سعد صائب . دار الرائد العربي ١٩٨٥ .
- ١٢ - مختارات من الشعر الأسباني المعاصر . د. محمود صبح . العراق .
- ١٣ - مختارات من الأدب الأفريقي . د. علي شلش . العراق ١٩٨٦ .
- ١٤ - قمم في الأدب العالمي . د. بديع حقي ، سوريا ١٩٧٣ .
- ١٥ - النظريات الجمالية . د. محمد شفيق شتا . بيروت ١٩٨٥ .
- ١٦ - قصائد من الشعر التركي المعاصر . عبد اللطيف بندر . العراق .
- ١٧ - رواد الفن التشكيلي . دار الهلال . ١٩٨٥ .
- ١٨ - الموسوعة الإنجليزية .
- ١٩ - الموسوعة الأمريكية .
- ٢٠ - الكوميديا والتراجيديا . عالم المعرفة . (١٨) ترجمة د. علي أحمد محمود ود . شوقي السمرى ،
- ٢١ - قضايا أفريقية .. عالم المعرفة (٣٤) د. محمد عبد الغنى سعودى ١٩٨٠ .
- ٢٢ - الرواية الروسية في القرن ١٩ . د. مكارم الغمري ١٩٨١ .
- ٢٣ - الموت في الفكر الغربي ، ترجمة كامل يوسف حسين ١٩٨٤ ، عالم المعرفة .
- ٢٤ - الأدب اليوغسلافي المعاصر . د. جمال سيد محمد ١٩٨٤ ، عالم المعرفة .
- ٢٥ - الأدب الألماني في نصف قرن . د. عبد الرحمن بدوى ١٩٩٤ عالم المعرفة .
- ٢٦ - الأدب الأفريقي د. علي ، شلش ١٩٩٣ .
- ٢٧ - ادب أمريكا اللاتينية . سيزار فرناندث مورينو ١٩٧٨ .
- ٢٨ - الأدب في البرازيل ، د. شاكر مصطفى ١٩٨٦ .
- ٢٩ - دستوفسكي . حسن محمود . دار المعارف (٥) .
- ٣٠ - الشاعر الرجيم بودلير ، عبد الرحمن صدقي . دار المعارف (٧) .
- ٣١ - بايرون ، امينة السعيد . دار المعارف (١٥) .
- ٣٢ - دراسات في الآداب الأجنبية ، د. عيسى الناعورى . دار المعارف (٢٤) .

الفهرس

٥	إهداء
٧	مقدمة
٩	فـيـرـجـيـل (٧٠ - ١٩ ق.م)
١١	كـونـفـوشـيـوس (٤٧٩ - ٥٥١ ق.م)
١٤	جـيـوفـانـي بـوكـاشـيو (١٣١٣ - ١٣٧٥ م)
١٦	جـمـحـري تـشـوسـر (١٣٤٠ - ١٤٠٠ م)
١٩	أدموند سبنسر (١٥٥٢ - ١٥٩٩ م)
٢١	وليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦ م)
٢٣	دانيال ديفو (١٦٦٠ - ١٧٣١ م)
٢٥	جون دي لافونتين (١٦٢١ - ١٦٩٥ م)
٣١	جان دريدن (١٦٣١ - ١٧٠٠ م)
٣٣	جوناثان سويقت (١٦٦٢ - ١٧٤٥ م)
٣٥	الكسندر بوب (١٦٨٨ - ١٧٤٤ م)
٣٧	فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م)
٤١	صامويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤ م)
٤٣	توماس جراسي (١٧١٦ - ١٧٧١ م)
٤٥	ألزرد جولدسميث (١٧٢٨ - ١٧٧٤ م)
٤٧	يوهان جوتله (١٧٤٩ - ١٨٣٢ م)
٤٩	وليم بايك (١٧٥١ - ١٨٧٢ م)
٥١	روبرت بيزرنز (١٧٥٩ - ١٧٩٦ م)
٥٤	فريدريش شيلر (١٧٥٩ - ١٨٠٥ م)
٦٠	مدام دي ستال (١٧٦٦ - ١٨١٧ م)
٦٢	شـاتـوبـريـان (١٧٦٨ - ١٨٤٨ م)
٦٥	فريدريش هيلدرلين (١٧٧٠ - ١٨٤٣ م)
٧١	وليم وردزرت (١٧٧٠ - ١٨٥٠ م)
٧٣	بييتيهوفن (١٧٧٠ - ١٨٢١ م)
٧٨	السيرو لترسكوت (١٧٧١ - ١٨٣٢ م)
٨٠	كولردج (١٧٧٢ - ١٨٣٤ م)
٨٢	آرثر شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠ م)
٨٥	اللورد بايرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤ م)

۸۷	شــــــــــــيـــــــــا لـــــــــي (۱۷۹۲ - ۱۸۲۲م)
۸۹	لـــــــــــــامــــــــــــار قــــــــين (۱۷۹۰ - ۱۸۶۹م)
۹۴	تومــــــــاس کــــــــار ثــــــــيل (۱۷۹۵ - ۱۸۸۱م)
۹۶	جــــــــون کــــــــيــــــــتس (۱۷۹۵ - ۱۸۲۱م)
۹۸	الفــــــــرد دى فــــــــيني (۱۷۹۷ - ۱۸۶۳م)
۱۰۰	بــــــــوشــــــــکــــــــين (۱۷۹۹ - ۱۸۳۷م)
۱۰۳	بــــــــــــــــــــــــــز اـــــــــــــــــــــــــز اک (۱۷۹۹ - ۱۸۵۰م)
۱۰۸	إدوارد مــــــــانــــــــيه (۱۸۰۱ - ۱۸۸۳م)
۱۱۱	فــــــــيکتــــــــور هوجو (۱۸۰۲ - ۱۸۸۵م)
۱۱۹	ســــــــانت بــــــــوف (۱۸۰۴ - ۱۸۶۹م)
۱۲۱	الــــــــيزابيت باريــــــــت (۱۸۰۸ - ۱۸۶۱م)
۱۲۳	الفــــــــرد تــــــــيســــــــون (۱۸۰۹ - ۱۸۹۲م)
۱۲۷	الفــــــــرد دى موســــــــيه (۱۸۱۰ - ۱۸۵۷م)
۱۳۴	هاريــــــــت بت شــــــــرســــــــتو (۱۸۱۱ - ۱۸۹۶م)
۱۳۶	تشــــــــارک زديکــــــــنز (۱۸۱۲ - ۱۸۷۰م)
۱۳۸	روبيرت براونــــــــنج (۱۸۱۲ - ۱۸۸۹م)
۱۴۰	عــــــــائله برونــــــــتي (۱۸۱۶ - ۱۸۵۵م)
۱۴۲	تــــــــورجــــــــنــــــــيف (۱۸۱۸ - ۱۸۸۳م)
۱۴۵	جــــــــورج الــــــــيــــــــوت (۱۸۱۹ - ۱۸۸۰م)
۱۴۷	جــــــــون رسکــــــــن (۱۸۱۹ - ۱۹۰۰م)
۱۴۹	وولت ويتــــــــمان (۱۸۱۹ - ۱۸۹۲م)
۱۵۲	بودليــــــــر (۱۸۲۱ - ۱۸۶۷م)
۱۵۵	جوستاف فلوبير (۱۸۲۱ - ۱۸۸۰م)
۱۵۹	دوســــــــتويــــــــفسکي (۱۸۲۱ - ۱۸۸۱م)
۱۶۲	هنريــــــــک اېــــــــسن (۱۸۲۸ - ۱۹۰۶م)
۱۶۴	جــــــــول فيــــــــرن (۱۸۲۸ - ۱۹۰۵م)
۱۶۶	قسطنطين ميلادنيوف (۱۸۲۰ - ۱۸۶۲م)
۱۶۸	مــــــــارک توــــــــين (۱۸۲۵ - ۱۹۱۰م)
۱۷۰	تشــــــــايکوفــــــــسکي (۱۸۴۰ - ۱۸۹۳م)
۱۷۲	الفــــــــوس دوديه (۱۸۴۰ - ۱۸۹۷م)
۱۷۴	تومــــــــاس هاردــــــــي (۱۸۴۰ - ۱۹۲۸م)
۱۷۶	امــــــــبل زولا (۱۸۴۰ - ۱۹۰۲م)

۱۷۸	اناتول فرانس (۱۸۴۴ - ۱۹۲۴م)
۱۸۱	نیتشه (۱۸۴۴ - ۱۹۰۰م)
۱۸۴	مدام گیافیه (۱۸۴۷ - ۱۹۰۷م)
۱۸۷	خریستوف بوتیف (۱۸۴۸ - ۱۸۷۶م)
۱۸۹	روبرت لويس ستيفتسون (۱۸۵۰ - ۱۸۹۴م)
۱۹۲	اوسكار وایلد (۱۸۵۴ - ۱۹۰۰م)
۱۹۴	✓ جورج برنارد شو (۱۸۵۶ - ۱۹۵۰م)
۱۹۷	انطون تشیکوف (۱۸۶۰ - ۱۸۲۴م)
۲۰۲	رابندرانات طاغور (۱۸۶۱ - ۱۹۴۱م)
۲۰۸	فابریل دانونزیو (۱۸۶۳ - ۱۹۳۸م)
۲۱۰	ولیم بطاریی-تس (۱۸۶۵ - ۱۹۳۹م)
۲۱۳	رودیارد کیپلینگ (۱۸۶۵ - ۱۹۳۵م)
۲۱۵	هربرت جورج ویلز (۱۸۶۶ - ۱۹۴۶م)
۲۱۷	مکسیم جورکی (۱۸۶۸ - ۱۹۳۶م)
۲۱۹	✓ بول فالیری (۱۸۷۱ - ۱۹۴۵م)
۲۲۱	✓ برتراند رسل (۱۸۷۲ - ۱۹۷۰م)
۲۲۴	سومرست موم (۱۸۷۴ - ۱۹۶۵م)
۲۲۶	رینییه ریله (۱۸۷۵ - ۱۹۲۶م)
۲۲۹	روبرت فروست (۱۸۷۵ - ۱۹۶۳م)
۲۳۱	انطونیو ماتشادو (۱۸۷۵ - ۱۹۴۰م)
۲۳۶	جورج صاند (۱۸۷۶ - ۱۹۰۴م)
۲۳۸	بیتروماغنیس (۱۸۸۰ - ۱۹۵۲م)
۲۴۱	غیوم ابولینییر (۱۸۸۰ - ۱۹۱۸م)
۲۴۴	جیمس جویس (۱۸۸۲ - ۱۹۴۱م)
۲۴۶	ذیونیسوس کوکینو (۱۸۸۳ - ۱۹۶۹م)
۲۴۸	فرانز کافکا (۱۸۸۳ - ۱۹۲۴م)
۲۵۰	آزرا باونلد (۱۸۸۵ - ۱۹۷۲م)
۲۵۲	جان جون برس (۱۸۸۷ - ۱۹۷۵م)
۲۵۴	توماس الیوت (۱۸۸۸ - ۱۹۶۵م)
۲۵۸	وین بی-تسو (۱۸۸۹ - ۱۹۴۶م)
۲۶۱	بوریس باسترناک (۱۸۹۰ - ۱۹۶۰م)
۲۶۳	✓ مآتوسی تونخ (۱۸۹۳ - ۱۹۵۳م)

۲۶۶	اولدس هكسالي (۱۸۹۴ - ۱۹۶۲م)
۲۶۸	ئوتشيان بلاغا (۱۸۹۵ - ۱۹۶۱م)
۲۷۱	آندريه بريتون (۱۸۹۶ - ۱۹۶۶م)
۲۷۳	لويس آراغون (۱۸۹۷ - ۱۹۶۲م)
۲۷۶	ئوركسا (۱۸۹۸ - ۱۹۲۶م)
۲۷۹	برتولد بريشت (۱۸۹۸ - ۱۹۵۶م)
۲۸۱	ارنست همنجواي (۱۸۹۹ - ۱۹۶۱م)
۲۸۵	جالك بريفر (۱۹۰۰ - ۱۹۷۷م)
۲۸۷	بول ايلاوار (۱۹۰۰ - ۱۹۵۲م)
۲۸۹	اندريه مالرو (۱۹۰۱ - ۱۹۷۵م)
۲۹۱	ارمان برينيه (۱۹۰۲ - ۱۹۸۰م)
۲۹۴	جون شتاينبك (۱۹۰۲ - ۱۹۶۸م)
۲۹۵	ميكزيسلاف جاسترون (۱۹۰۳ - ۱۹۵۶م)
۲۹۷	ميخائيل شولوخوف (۱۹۰۵ - ۱۹۷۲م)
۲۹۹	وليام امبسون (۱۹۰۶ - ۱۹۷۵م)
۳۰۱	صموئيل بيكيت (۱۹۰۶ - ۱۹۸۲م)
۳۰۴	فابتساروف (۱۹۰۹ - ۱۹۴۳م)
۳۰۶	جان جينيه (۱۹۱۰ - ۱۹۸۶م)
۳۰۸	يوجين أونيسكو (۱۹۱۲ - ۱۹۹۴م)
۳۱۰	اوكتافيويات (۱۹۱۴ - م)
۳۱۳	انطونيو اوجسطينونيتو (۱۹۲۲ - ۱۹۸۲م)
۳۱۶	فيزلافا سيزيمبورسكا (۱۹۲۳ - م)
۳۲۲	جون اسبورن (۱۹۲۹ - م)
۳۲۵	دانيال مور (۱۹۳۰ - م)
۳۲۸	البير كامو (۱۹۳۱ - ۱۹۶۰م)
۳۳۰	يصفيني يفتنوشينكو (۱۹۳۳ - م)
۳۳۳	شيريل انور (۱۹۴۹ - م)

صادر للمؤلف

- الصعاليك ينفجرون بالغناء .
- العصفور والسنبلة .
- الغربة والإبداع .
- عشاق الحزن الجميل .
- سيد قطب (سيرة ذاتية) .
- أعلام الشعر في الكويت .
- العدوانى فى عيون معاصريه ..
- العدوانى وثائق وصور (مشترك مع د. دلال الزين) .
- (صدرت كتب العدوانى عن مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعرى)
- مواقف أدبية فى الحب والجمال والحرية .
- شخصيات أدبية .
- أعلام فى الأدب العالمى .
- الصوت الهامس (نصوص نثرية) .

تحت الطبع :

- الغاضبون فى الأدب .
- مواقف من حياتهم
- السمكة الذهبية (قصص علمية للأطفال) .
- دراسات أدبية .

قائمة الإصدارات

أسرار الجاسوسية ولعبة المحابرات	يوسف هلال	موسوعة تاريخ حصادات العالم	سميث . ترجمة : زينات الصباغ
الجماعات السياسية الإسلامية والمجتمع المدني للمصري د. أحمد حسين حسن		أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث	صلاح زكي
جماعات المصالح للمصرية والسلطة السياسية	د. أحمد فارس	تاريخ العلم	د. عبد الحكيم بدران
أزمة الانتماء في مصر	عبد الخالق فاروق	العلوم للجماهير	باربارا كاستيل . ترجمة د. عبد الحكيم بدران
التطرف الديني ومستقبل التغيير في مصر	عبد الخالق فاروق	خيانه المثقفين	د. عبد الحكيم بدران
كارثة المعونة الأمريكية	جمال غيطاس	صراع الحضارات (إثبات أننا ونفي الآخر)	شعيب عبد الفتاح
قضية لوكيربي وأحكام القانون الدولي	د. ميلود المهدي	الجات والتعبية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
أزمة لوكيربي والخروج من بيت الطاعة الأمريكي	د. السيد عوض	حقيقة الغرب	د. مصطفى عبد الغنى
العلاقات الليبية - الأمريكية	د. السيد عوض	صورة العرب في الغرب	د. عزة على عزت
بان أمريكيان ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)	مجموعة باحثين	حفايا المستقبل إلى أين تمضي البشرية وابن موقعا	محمد الحديدي
حلايب .. نزاع الحدود بين مصر والسودان	أحمد محبوب	المياه العربية بين خطر العجز ومخاطر التبعية	عبد الله العقالي
الإخوان والعسكر	حيدر طه	العرب وإسرائيل .. ميزان القوى ومستقبل للواجهة	د. محمد عبد الشفيق عيسى
القوى الخارجية والاتجاهات الإقليمية في السودان	د. السيد فليفل	السلام الإسرائيلي (قراءة في التشريعات الإسرائيلية)	حسين معلوم
نظم الحكم العنصرية في جنوب أفريقيا	د. السيد فليفل	السلام المتكاث	محمد خليفة
أيام الفرع في الجزائر	خالد عمر بن قفه	أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
الإسلام والعرش	سيد زهران	السوق الشرق أوسطية (من منزل إلى باراك)	إكرام عبد الرحيم
من يحمي عروش الخليج (النفط والتعبية)	د. أحمد ثابت	البديل الإسرائيلي للعروبة	سيد زهران
إعدام صحفي	سعيد حبيب	مشروع للانتحار القومي !	مصباح قطب
الكرامة الضائعة	حمادة إمام	في جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل	شفيق أحمد على
عبد الناصر واليمن	د. عبد العزيز المقالح	الملف السري للسادات والتطبيع	شفيق أحمد على
عبد الناصر .. هذا المواطن	سليمان الحكيم	مخابرات ومحدرات	شفيق أحمد على
حوارات عن عبد الناصر	سليمان الحكيم	عبادة الشيطان علي ضفاف النيل	حسين عبد الواحد
عبد الناصر .. والإخوان (أسرار العلاقة الخاصة)	سليمان الحكيم	الماسونية	خليل إبراهيم حسونة
المرأة التي أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على	الحركات الهدامة	خليل إبراهيم حسونة
عبد الناصر وعبد الحليم والزمن الخميل	حسن صابر	الصهيونية السياسية	خليل إبراهيم حسونة
البديل الناصري (قراءة في أوراق التنظيم الناصري)	سيد زهران	العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
أسرار وحمايا نوار بولبو	محمد متولى	الاستيطان الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
عن الناصرية والناصريين (حوار مع د. الأتاسي)	مجدي رياض	الإرهاب الأمريكي	خليل إبراهيم حسونة
الأفليات التاريخية في الوطن العربي	د. أحمد الصاوي	القدس	خليل إبراهيم حسونة
الناصرية والتاريخ	سيد حسان	حماس .. حركة المقاومة الإسلامية	خالد أبو العمرين
الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران	يهود ضد إسرائيل	ياسر حسين
التنمية المستقلة في النموذج الناصري	جورج المصري	حلف الضحية والخلاد	ترجمة : زينات الصباغ
فلسطين الانتماسة .. حبل الوطن والأمة	د. أحمد ثابت	التواطؤ الصهيوني النازي	بن هخت ترجمة : حمدي متولى
كاريزما الرعامة الناصرية	د. السيد الزيات	غرة أريحا - المأزق والخلص	عبد القادر ياسين
الناصرية والتحديد	مجدي رياض	عزة أريحا - النسوية المستحيلة	جورج المصري
ناصرية جمال عبد الناصر	جورج المصري	صفقة النسوية الأردنية الإسرائيلية	د. السيد عوض
ناصرية الناصرية الغائبة	جورج المصري	أساطير الثورة	عاطف عبد الغنى
الحركة الإسلامية في مصر	صالح الورداني	التناقض في تواريح وأحداث الثورة	محمد قاسم
الحركة الإسلامية في مصر	صالح الورداني	بروتوكولات حكماء صهيون	
الكلمة والسيف	صالح الورداني	التلمود	
عود الرمر - حوارات ووثائق	أحمد رجب	الحرب العالمية الرابعة	ياسر حسين
الله واحد في الإخيل	ترجمة : عادل حامد	القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
المسيحية والإسلام	حسين السيد	سقوط خم محابرات إسرائيل	جمال الدين حسين
الحكومة والسياسة في الإسلام	ترجمة : سيد حسان	عملية السرب الأحمر	جمال الدين حسين
الوحي في بداية التكوين	عبد العزيز محمد ، مصطفى الخولي	الاحتراق الإسرائيلي للزراعة في مصر	صلاح بديوي
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق د. محمد عمارة	احتراق الأمن الوطني المصري	عبد الخالق فاروق

الإسلام والعروبة	مجلدي رياض	لا أحد يحبك	أمانى فهمى
الوطن وحقوق غير المسلمين	محمد محمود عبد الله	ألم يخلقها الله امرأة	أمين العزب
كيف نقرأ القرآن	محمد محمود عبد الله	مأساة أسرة	أمين العزب
كيف تحود القرآن	محمد محمود عبد الله	دنا هتدلي (من دفاتر التدوين ١)	جمال الفيطنى
كيف تحفظ القرآن	محمد محمود عبد الله	مطربة الغروب	جمال الفيطنى
التربية الإسلامية	محمد محمود عبد الله	دموع إيريس	حسنى لبيب
القرآن - حل مشاكل الأمة	محمد محمود عبد الله	أحزان رجل لا يعرف الكاء	خالد غازى
قبس من نور الأسماء	محمد محمود عبد الله	الحب والتناثر	خالد عمر بن ققه
الأحرف السبعة وأصول القراءات	محمد محمود عبد الله	يومية هروب	خيرى عبد الجواد
صوموا نصحووا (الصيام والصحة)	محمد محمود عبد الله	مسالك الأحبة	خيرى عبد الجواد
الأيام المباركة في القرآن والسنة	محمد محمود عبد الله	العاشق والمعشوق	خيرى عبد الجواد
علمني يا أبني (حوار حول رسالة الصلاة)	حسن سليمان	حرب أطاليا	خيرى عبد الجواد
حروب المشايخ	أحمد الدسوقي	حرب بلاد غنم	خيرى عبد الجواد
أمن وحماية البيئة	خالد القاسمي / وجيه البعيني	حكايات الديب رماح	خيرى عبد الجواد
ما هي السيما	صالح أبو سيف	التوهيمات	خيرى عبد الجواد
قصايا الموبتاح للعاصر (حزبان)	د. عفت عبد العزيز	الطريق والعاصفة	رأفت سليم
الصوت والضوء	د. مصطفى عبد المطلب	في لهيب الشمس	رأفت سليم
المواد شبه الموصله ودورها	د. مصطفى عبد المطلب	اركبوا دراحتكم	رجب سعد السيد
الأعشاب الطبية	د. موسى الخطيب	أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
الإبر الصينية في العلاج والتحدير	د. لطفي سليمان	أنا ونورا وماعت	رفقي بدوي
المساحد الأئمية في الإسلام	د. أحمد الصاوي	سيرة عزيزة الحسر	سعد الدين حسن
معالم في تاريخ حضارة آسيا الوسطى	د. أحمد الصاوي	شجرة الخلد	سعد القرش
النقود الإسلامية في مصر	د. رأفت النبراوي	شهقة	سعيد بكر
كشف المستور من قبائح ولاية الأمور (تراث)	د. أحمد الصاوي	حبيبى يا ناس	سليمان كابوه
رمضان .. زمان	د. أحمد الصاوي	أيام هند	سيد الوكيل
برلنتي والمشير (القصة الحقيقية)	سيد زهران	للمنوع من السمر	شوقي عبد الحميد
اعترافات الأميرة جيهان	ماجلي البسيوني	أيام الغربة الأخيرة	صالح سعد
الجنس والشباب الذكى	كولن ولسون ترجمة أحمد عمر شاهين	الدميرة	د. عبد الرحيم صديق
تجارة الجنس	جاري جوردون ترجمة زينات الصباغ	حسد في ظل	عبد النبی فرج
صناعة اللحوم	سكوت أونيل ترجمة زينات الصباغ	المور للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
أشهر مصائح القرن العشرين	حسن صابر	ليس هناك ما يهيج	عبد خال
أسوأ حكام القرن العشرين	حسن صابر	لا أحد	عبد خال
خوم في الوحل	حسن صابر	صعبي صُح	د. عزة عزت
الأميرة العارية وعرش سين السبعة	حسن صابر	الشاعر والحرامي	عزت الحريرى
رؤساء أمريكا في الوحل	حسن صابر	هي انتطار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
أميرة علي قائمة الاعتيال	محمد رجب / حسن عبد الواحد	سرديد	عفاف السيد
أمريكا الانهيار السياسي والأخلاقي	حسن عبد الواحد	إيمارو	د. على فهمى خشيم
سات إنليس (نساء في ملكة الشر)	حسن عبد الواحد	خولات الحشش الذهبي	لوكيوس أبوليوس ترجمة د. على فهمى خشيم
حسناء السوك ومعالى الورير	أسامة الكرم	الرحاح المكسور	د . غبريال وهبه
ليلة العشق والد	إبراهيم عبد المجيد	يلابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
حمدان طلبقاً	أحمد عمر شاهين	يوميات عابر سسل	فيصل سليم التلاوى
الثلاثية الروائية	د. أحمد إبراهيم الفقيه	وبر مشدود	قاسم مسعد عليوة
حذاء السيد المسى	أشرف العوضى	حبرات أنتويه	قاسم مسعد عليوة
تاريخ الوقائع والحوار	إدوار الخراط	حب وطلال	كوثر عبد الدايم
رقفة الأحلام الملحبة	إدوار الخراط	مرانيت	ليلى الشربيني
محلوقات الأنشواق الحلانرة	إدوار الخراط	مشوار	ليلى الشربيني
عندما نبص للديوك	أمجد صابر	الرجل	ليلى الشربيني

رجال عرفتهم	ليلى الشرييني	انذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الحلم	ليلى الشرييني	العربة والعشق	مجدى رياض
العم	ليلى الشرييني	مشاعر همجية	محسن عامر
عريس لبنت السلطان	محفوظ عبد الرحمن	غربة الصبح	محمد الفارس
الغراب ٢٠٠٠	محفذ الشرفاوى	وتس	محمد الحسينى
كوميديا الانسحاب	محمد بركة	ليالي العنقاء	محمد محسن
أشياء لا تموت	محمد صفوت	العحوز للراوع يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
إلحاح	محمد عبد السلام العمرى	هذه الروح لى	نادر ناشد
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى	هذه الليلة الطويلة	د.أحمد صدقى الدجاني
لوحة ممنوع	محمد علي سعد	الدمية والدم	أنور عبد المغيث
الخروج إلى النبع	محمد قطب	محرقه سافونا رولا	ميلاد حكيم
رشحات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين	اللعبة الأبدية .. مسرحية شعرية	محمد الفارس
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش	مكة القروى	محمود عبد الحافظ
فسق بدون جرم	د. محمود دهموش	هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
الهروب مع الوطن	ممدوح القديري	خديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
هوق لهيب الشموع	ممدوح القديري	حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
ثلاث حقائب للسمر	منى برنس	حقول الرماد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
دم الأبتوس	ناجي الشكري	أثر الثقافة العربية في الأدب الأسباني	د. أحمد أبو حمد
حافة المردوس	نبيل عبد الحميد	مطريات التلقى وتخليل الخطاب وما بعد الحدانة	د. أحمد أبو حمد
الحصور في غياب قرط اللؤلؤ	نهلة السوسو	الوقوف علي الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
ديسمبر الدافئ	هدى جاد	عند الله البردوتى .. حياته وشعره	د. أحمد عبد الحميد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة	قراءة للعانى في بحر التحولات	أحمد عزت سليم
فرد حمام	يوسف فاخوري	ضد هدم التاريخ وموت الكتانة	أحمد عزت سليم
رويدا باخاه الأرض	إبراهيم زولى	معاصر حتي النهاية	إدوار الخراط
قصائد حب من العراق (البياتي وآخرون)	إعداد : بثينة الناصري	مسالك الرؤي (قراءة في أعمال خيرى عبد الجواد)	إدوار الخراط
بدلاً من الصمت	درويش الأسبوطى	اللغة والشكل	أمجد ريان
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسبوطى	المنقسمون العرب والنترات	جورج طرايشي
تماماً إلى جوار حنة بونسكو	رشيد الغمرى	ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
كانها نهاية الأرض	رفعت سلام	المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
تصبح علي خير	سعدني السلاموني	أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
الألوان ترتعد بشرائه	شريف الشافعي	العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
صلاة المودع	صبرى السيد	أباطيل المرعوبية	سليمان الحكيم
ديبا تناديننا	طارق الزباد	مصر المرعوبية	سليمان الحكيم
تلف	ظبية خميس	البعد العائب ، نظرات في القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
البحر المحوم العشب في كف واحدة	ظبية خميس	رواد الأدب العربي في السعودية	شعيب عبد الفتاح
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى	البواكير في القصة القصيرة	شوقى عبد الحميد
حواديت لعمدى	عصام خميس	الثقافة الشعبية وأوهام الصموة الرثة	د. صلاح الراوى
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادى	رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
رانب الأئمة	علوان مهدي الجيلاني	بحثاً عن مرعون العربى	د . على فهمى خشيم
إصاءه هي حيمة الليل	على فريد	أعلام في الأدب العالى	على عبد الفتاح
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن	هيمحواي .. حياته وأعماله الأدبية	د . غبريال وهبة
عطر العمم الأحصر	عمر غراب	رمن الرواية صوت اللحظة الصاحبة	مجدى إبراهيم
سراب القمر	فاروق خلف	في للرجعية الاجتماعية للمكر والانداع	محمد الطيب
إشارات صمت المكان	فاروق خلف	أبو رجل مسلوحه	محمد مستجاب
أسواق الصني الطائر	فاروق خلف	أنت الطمّل العربي بين الواقع والمُسلسل	ممدوح القديري
عت ممر بالمرارى	فاروق خنق	مقالات في الحياة والأدب	ممدوح القديري
أوراق مسافر	قيصل سليم التلاوى	الرواية العربية رسوم وقراءات	نبيل سليمان



أعلام في الأدب العالمي

أعلام في الأدب العالمي كتابة تحليلية يطوف فيها المؤلف في خبايا النفس البشرية وأسرار الروح كاشفاً عن أعمق الأحاسيس والمشاعر الثرية بالمواقف الإنسانية والقيم الجمالية والمثل والمعاني السامية .

شخصيات يقدمها الكاتب من خلال نبض الوجدان وبساطة التعبير وتمسيد أجمل مشاعر الحب حين تمتلك الذات وتبحر بها في عالم من دهشة وسحر وجمال .

وقد استطاع على عبد الفتاح في هذا الكتاب الذي يتحدث عن أكثر من ١٢٠ شخصية من الأدب العالمي أن يربط بينهم جميعاً بسمات من بحر الإنسانية الفياض . فالإنسان يبحث في الفضاء عن صدى لقطرات دموعه .. ويجوب القفار هارباً من رهبة الزمن باحثاً عن انتماء جديد .

ومن خلال هذه الصور تشعر بذاتك وتتذوق إبداعات عالمية غيرت وجه الكون ومنحتنا رحيق الورد في زمن الغبار وشيدت في أعماقنا مدائن الحب والجمال في مواجهة وحشية الواقع وقسوته .

ولعل هؤلاء الأعلام زهور ما زالت نابطة ومزهرة في حديقة الأدب لا تذبل أبداً .

الناشر

